ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس، وترك الاستئثار عنهم وتساوى بهم، وأخبر
أهل الغنى والشرف، بكل مدينة وقرية، أنه إن بلغه إنساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك
المدينة أو الجهة التي يموت بها، وينكل بهم أشد النكال. فقيل إنه لم يهلك في هذا القحط
والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رستاق.
قال: ثن أغاثه الله فأمطرت السماء، وجرت الأنهار ونبعت العيون، وصلحت الأشجار،
وسمنت المواشي؛ فاستوثق له الملك، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم. وبنى مدناً إحداها
بين جرجان وباب صول وأخرى بناحية أذربيجان.
ثم سار بجنوده نحو خراسان لقصد حرب أخشوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه
ولأن الهياطلة كانوا يأتون الذكران ويركبون الفواحش فسار إليهم؛ فلما بلغ أخشنوار ملك
الهياطلة خبره خافه واشتد رعبه منه، وعلم أنه لا طاقة له به، وأن جيشه كبير السن من
أهل بلاده وقال: أنا أفدي الملك وأهل مملكته بنفسي، فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر
في جسدي آثار العقوبة بضرب السياط، ويلقني في الطريق التي يمر فيروز بها، ويحسن إلى
ولدي وعيالي الذين أخلفهم؛ ففعل له ذلك وأمر بإلقائه في الطريق. فلما مر به فيروز أنكر
حاله، فأخبره أن أخسنوار فعل به ذلك لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار
بعبوديته، وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يرضيه؛ فرق له الملك فيروز ورحمه وأمر
بحمله معه، فنهاه أكابر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم، ثم قال له ذلك الأقطع كالمتنصح له:
أنا أدل الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد أخشنوار، فتصادف غرته؛
وسأله أن يشفى له منه. فاغتر فيروز بذلك؛ وأخذ الأقطع بفيروز ومن معه وعدل بهم عن
الطريق الجادة وشرع يقطع بهم مفازة بعد مفازة. فلما شكوا العطش مناهم بقرب الماء
وقطع المفازة. ولم يزل يتقدم بهم حتى بلغ بهم موضعاً علم أنها لايقدرون فيه على التقدم ولا
الرجوع، فتبين لهم أمره، فعندها سقط في أيدي القوم وقالوا لفيروز: ألم ننهك عن هذا الرجل
فلم تنته؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش، ومضى على وجهه بمن نجا معه؛ فوافى

أخشنوار وقومه؛ وهو من نجا معه على سوأ حال، وقد أجهدهم العطش، فدعوا
أخشنوار إلى الصلح على أن يخلي سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم، وعاهدوه على ألا
يغزوهم أبداً، فرضي أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يجعلا بينهما حداً لا
يتجاوزه واحد منهما، ووضع عند الحد حجر، وحلفه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر،
فحلف له وأخذ عليه العهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار، فعاد فيروز إلى بلاده.
فلما سار إلى مملكته داخلته الحمية وحملته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به، فنهاه
أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه نقض العهود والمواثيق، فلم يرجع إلى أقوالهم وأبى إلا
غزوه. وسار بجيوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والحجر الذي حلف أنه لا يتجاوزه إلى
بلاد الهياطلة، فأمر فيروز بالحجر أن يصمد فيه خمسون فيلاً وثلثمائة رجل، فجره أمامه
وأمر العسكر ألا يتجاوز ذلك الحجر ولا يتقدم الفيلة، وزعم أنه يكون قد وفى بيمينه ولم
يتجاوز ما عاهد عليه. فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه يقول: إن الله عز وجل لا يخادع
ولا يماكر ونهاه عن الغدر وقبحه عليه، وهو لا يكترث بقوله، وأحجم أخشنوار عن محاربة
فيروز وكرهها، ثم أعمل الفكرة وأخذ يفكر في وجوه المكايد والمكر والخداع، فحفر حول
عسكره خندقاً عرضه عشرة أذرع، وعمقه عشرون ذراعاً، وغطاه بخشب ضعيف وألقى
عليه التراب، ثم ارتحل بمن معه ومضى غير بعيد، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار بجنده من
معسكره، فما شك أنه انهزم ومضى غير بعيد، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار بجنده من
معسكره، فما شك أنه انهزم منه، فركب في طلبه وأغذ السير بجنوده - وكان مسلكهم
على الخندق - فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف
عليهم أخشنوار واحتوى على كل شيء كان في معسكر فيروز، وأسر موبذان موبذ
وجماعة من نساء فيروز منهن دخت ابنة فيروز، فكان هذا عاقبة مكره. وكان ملكه
سبعاً وعشرين سنة.

ولما هلك تنازع الملك بعده ابناه قباذ وبلاش؛ فملك بلاش بن فيروز ابن يزدجرد. وكان
حسن السيرة حريصاً على العمارة؛ وبلغ من حسن نظره انه كان لا يبلغه أن بيتاً خرب
وجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركهم إنعاش أهله
وسد فاقتهم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن أوطانهم. ثم هلك بعد أربع سنين.
وملك بعده أخوه قباذ بن فيروز. قال: وكان قباذ لما ملك أخوه بلاش سار إلى خاقان
يستنصره على أخيه ويذكر أنه أحق منه بالملك؛ فمطله بذلك أربع سنين ثم جهزه بجيش،
فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش. وكان قباذ في مسيره إلى خاقان مر على
نيسابور متنكراً وتزوج بها بابنة رجل من الأسورة وواقعها، فحملت منه بأنوشروان وتركها
بنيسابور، فلما عاد في هذا الوقت سأل عن الجارية فأتي بها وابنه منها أوشروان، فتبرك
بهما وفرح بابنه، ثم عاد إلى بلاد فارس وبني مدينة أرجان وحلوان وعدة مدن أخر.
قال: وكان لقباذ خال يقال له سوخرا وقيل فيه: ساخورا، وكان يخلف فيروز والد قباذ
على مدينة الملك بالمدائن، فجمع جموعاً كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار ملك الهياطلة
وحاربه وانتقم منه واستنقذ جميع من كان أسره من الفرس ومن سباه من نساء فيروز،
واكثر ما كان قد احتوى عليه أخشنوار من خزائن فيروز؛ فعظم قدره عند الفرس،
وحسن فيهم أثره، وكبرت منزلته عند بلاش، وقباذ إلى أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة
واحدة، وتولى سياسة الأمر بحنكة وتجربة؛ ومال إليه الناس وأطاعوه، واستخفوا بقباذ ولم
يعبأوا بأمره، وهان عندهم فما حملت نفسه هذه الإهانة والذل، فأخذ في التدبير على
ساخورا وكتب إلى سابور الرازي، وهو الذي يقال له اللبيب، وهو أصبهذ البلاد، في القدوم
عليه بمن قبله من الجند، فقدم بهم سابور فخاطبه قباذ في أمر خاله، فوافقه سابور عليه،
فأمره قباذ بالتلطف في هذا الأمر وكتمانه، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه، فغدا سابور
على قباذ فوجد خاله ساخورا عنده، فتقدم سابور إليه وهو آمن، فألقى وهقاً في عنقه

واجتذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن، وقتله قباذ وخافته الفرس وبعده.
وفي أيام قباذ ظهر مزدق - ويقال فيه: مزدك، وتفسيره: حديد الملك؛ وإليه تضاف
المزدقية، ويقال لهم العدلية - وقال: إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة
ليقسمها عباده بينهم بالسوية، ولكن الناس يظلمون؛ واستأثر بعضهم على بعض، فانضم
إليه جماعة وقالوا: نحن نقسم بين الناس بالسوية ونرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء،
ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء والمتاع وغير ذلك فليس هوله ولا أولى به من
غيره؛ فافترض السفلة ذلك واغتنموه واتبعوا مزدك وأصحابه، فقوى أمرهم حتى كانوا
يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردهم
عنه ولا يدافعهم. ورأى الملك قباذ رأى مزدك وأصحابه وتابعهم فازداد قوة، فلم يلبث
الناس إلا قليلاً حتى صار الأب لا يعرف ولده، ولا الولد يعرف والده، ولا يملك أحد شيئاً،
وصيرت العدلية قباذ في مكان لا يصل إليه غيرهم، فاجتمعت الفرس على خلع قباذ من
الملك ففعلوا ذلك.
وملكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز. وهو أخو قباذ.
وقيل: إن المزدكية هم
الذين أجلسوه. قال: ولما جاماسف قبض على أخيه قباذ وحبسه فاحتالت أخت قباذ
في خلاصه. وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو فيه وحاولت الدخول إلى أخيها، فمنعها
الموكل به من الدخول إليه، وطمع أنه يفضحها، وأعلمها أنه لا يمكنها من العبور إليه إلا أن
وافقته على قصده، فأطعمته في نفسها وقالت: إني لا أخالفك في شيء مما تهواه مني،
فمكنها من الدخول إلى السجن والاجتماع بأخيها قباذ، فدخلت إليه وأقامت عنده أياماً،
ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمله فحمله على عاتقه، فلما مر الغلام بالموكل
بالحبس سأله عن حمله فاضطرب الغلام فلحقته وقالت: إنه فراش كنت أفرشه تحتي
وعركت فيه؛ وأنها خرجت لتتطهر وتعود فصدقها ولم يمس البساط ولم يدن منه استقذاراً

له على مذهبهم في ذلك، فمضى الغلام به وخرجت أخته في أثره، وهرب قباذ فلحق بأرض
الهياطلة يستمد ملكها ليمده بجيش يحارب من خالفه، ويقال: إن زواجه بأم كسرى
أنوشروان كان في هذه السفرة لا في تلك، وأنه تزوجها بأبرشهر، وهي ابنة رجل من
عظمائها، وأنه رجع به وبأمه عند عوده من بلاد الهياطلة. قال: وسار قباذ إلى ملك
الهياطلة فأقام عنده عدة سنين، ثم عاد إلى بلاده بأمداده، فغلب على أخيه ونزعه من
الملك بعد أن ملك ست سنين.
ثم عاد قباذ إلى الملك ثانياً، ولما عاد إلى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من
أصحابه على مزدك فقتله، فسعى به إلى قباذ فقتله بمزدك. قال: ثم غزا الروم وافتتح آمد،
ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته. وهلك قباذ إثر ذلك.
وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن امرئ القيس،
وملك العرب وما كان ملكه النعمان، فبعث قباذ بن فيروز إلى الحارث بن عمرو يقول: إنه
كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد، وإني أحب لقاءك، وخرج للقائه في عدد وعدة،
وجاءه الحارث والتقيا بمكان، فأمر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه وبطبق آخر على حالته،
فوضعا بين أيديهما، وجعل المنزوع بين يدي قباذ، والذي هو بنواه بين يدي الحارث، فجعل
الحارث يأكل التمر ويلقي النوى، وقباذ يأكل التمر ولا يحتاج إلى غلقاء شيء. فقال للحارث:
مالك لا تأكل كما آكل؟ فقال الحارث: غنما يأكل النوى إبلنا وغنمنا، وعلم أن قباذ يهزأ
به. ثم افترقا على الصلح على ألا يجاوز الحارث وأصحابه الفرات، إلا أن الحارث
استضعف قباذ وطمع فيه. فأمر أصحابه أن يعبروا الفرات ويغيروا على قرى السواد
ففعلوا ذلك، فجاء الصريخ إلى قباذ وهو بالمدائن، فكتب إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً
من العرب قد أغاروا على السواد، وأنه يحب لقاءه فلقيه، فقال قباذ كالعاتب له: قد
صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك، فطمع الحارث فيه من لين كلامه وقال: ما علمت
بذلك ولا شعرت به، وإني لا أستطيع ضبط لصوص العرب، وما كل العرب تحت طاعتي،

ولا أتمكن منهم إلا بالمال والجنود. فقال له قباذ: فما الذي
تريد؟ قال: أريد أن تعطيني من
السواد ما أتخذ به سلاحاً، فأمر له بمايلي جانب العرب من أسفل
الفرات؛ وهو ستة
طساسيج؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه، وأرسل الحارث بن
عمرو إلى تبع وهو باليمن:
إني قد طمعت في ملك الأعاجم، وقد أخذت منه ستى
طساسيج، فأجمع الجنود وأقبل
فإنه ليس دون ملكهم شيء؛ لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا
يستحل هراقة الدماء، وله
دين يمنعه من ضبط الملك؛ فبادر إليه بجندك وعدتك، وأطعمه
في الفرس. فجمع تبع
جنوده وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات، فآذاه البق،
فأمر الحارث بن عمرو أن
يشق له نهر الحيرة فنزل عليه، ووجه ابن أخته شمرا ذا الجناح
إلى قباذ فقاتله فهزمه شمر
حتى لحق بالري، ثم أدركه بها فقتله.
وملك بعده ابنه كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز. ولما ملك
استقبل الأمر بجد
وسياسة وحزم. وكان جيد الرأي، كثير النظر، صائب التدبير،
طويل الفكر؛ فجدد سيرة
أردشير وعمل بها، ونظر في عهده وأخذ نفسه به، وأدب رعيته
وبطانته، وبحث عن
سياسات الأمم فاستصلح لنفسه منها ما رضيه، ونظر في تدابير
أسلافه المستحسنة
فاقتدى بها. وكان أول ما بدا به أن أبطل ملة زرادشت الثاني
الذي كان من أهل فسا،
وأبطل ملة المزدكية وقتل على ذلك خلقاً كير، وسفك من
الدماء بسبب إبطال هذين
المذهبين مالا يحصى كثرة، وقتل قوماً من المانوية، وثبت ملة
المجوسية القديمة، وكتب في
ذلك كتباً بليغة إلى أصحاب الولايات والأصبهبذين، وقوى ملك
الفرس بعد ضعفه بإدامة
النظر وهجر الملاذ وترك اللهو، وقوى جنوده بالأسلحة والأمتعة
والكراع، وعمر البلاد
وحفظ الأموال وثمرها، وسد الثغور واستعاد كثيراً من الأطراف
التي غلب عليها الأمم.
قال: وأما تدبيره في أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه فإنه ضرب
أعناق رؤسائهم، وقسم
أموالهم في أهل الحاجة، وقتل جماعة كثيرة ممن عرف من
الذين كانوا يدخلون على الناس في

بيوتهم، ويشاركونهم في أموالهم وأهاليهم، ورد الأموال إلى أربابها. وأمر بكل مولود اختلف
فيه أن يلحق بمن هو في سيمائه، وأمر بكل امرأة غلب عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى
يغرم لها مهر مثلها، ثم تخير المرأة بين الإقامة عنده وبين تزويج غيره؛ إلا أن يكون لها زوج
أول فترد إليه.
وأمر بكل من أضر برجل في ماله أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق، ويعاقب الظالم بقدر جرمه.
وأمر بعيال ذوي الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل
جهازهم من بيت المال، وأنكح بينهم من بيوتات الأشراف وأغنيائهم. وأمرهم بملازمة بابه
لستعين بهم في أعماله، وخير نساء والده أن يقمن مع نسائه فيواسين ويصبرن في الأحرار،
ويبتغي لهن الأكفاء من البعول، ثم أمر بكرى الأنهار وحفر القنى. وأمر بإعادة كل جسر
قطع، أو قنطرة خربت أن ترد إلى أحسن ما كانت عليه، وتخير الحكام والعمال وأمرهم أن
يسيروا بسيرة أردشير ووصاياه.
فلما انتظمت له هذه الأمور واستوثق له الملك ووثق بجنده سار نحو أنطاكية فافتتحها،
وأمر أن تصور له المدينة على هيئتها وذرعها وطرقها وعدة منازلها، وأن تبنى له مدينة
على صفتها إلى جانب المدائن، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية، ثم نقل أهل أنطاكية إليها.
فلما دخلوا باب المدينة مضى كل أهل بيت إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية.
وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية، ثم أخذوا نحو الخزر، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم
بفيروز، وصاهر خاقان ملك الترك، وتجاوز بلخ وأنزل جنوده فرغانة، وبنى باب الأبواب.
وقد ذكرناه في المباني القديمة.
ولما بنى هذا السور هابته الملوك وراسلته وهادنته؛ فورد عليه رسول ملك الروم بهدايا
فنظر إلى إيوانه في ميزانه اعوجاجاً، فقال: ما هذا الأعوجاج؟ فقيل له: إن عجوزاً لها
منزل في جانب هذا الاعوجاج فأرادها الملك على بيعه وأرغبها في الثمن فأبت، فلم
يكرهها وبقي الاعوجاج على ما ترى. فقال الرومي: هذا الاعوجاج أحسن من هذا

الاستواء. وكتب إليه ملك الصين: من نقفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر،
الذي يخرج من قصره نهران يسقيان العود والكافور، والذي توجد رائحته على فرسخين،
والذي يخدمه بنات ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى
أنوشروان. وأهدى إليه هدايا عظيمة. وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم
ملوك الشرق، وصاحب قصر الذهب، وأبواب الياقوت والدر، إلى أخيه كسرى أنوشروان
ملك فارس، صاحب التاج والراية. وأهدى إليه هدايا؛ منها ألف من من العود يذوب على
النار كالشمع، ويختم عليه كما يختم على الشمع. وجام من الياقوت الأحمر فتحته شبر
مملوء دراً، وعشرة أمنان كافور كالفستق، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها
خديها، وكأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها، مقرونة الحاجبين، لها ضفائر تجرها؛
وفراش من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي. وكان كتابه في لحا الشجر
المعروف بالكاذي مكتوباً بالذهب.
وكتب إليه ملك التيبت: من ملك التيبت ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند، إلى
أخيه كسرى المحمود السيرة والقدر، ملك المملكة المتوسطة في الأقاليم السبعة، أنوشروان.
وأهدى إليه أنواعاً مما عمل من عجائب أرض تبت، منها مائة جوشن ومائة ترس تبتية
مذهبة، وأربعة آلاف من من المسك من نوافج غزلانية.
واستغاث به ابن ذي يزن
يستصرخه على الحبشة فبعث معه قائداً من قواده. وسنورد ذلك إن شاء الله في خبر
سيف بن ذي يزن.
ولما استتب له الأمر ووظف الوظائف على الترك والخزر والهند الروم غيرهم، نظر في
الخراج وأبواب المال. وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاع، ومن بعضها الربع
والخمس والسدس على حسب العمارة. وكان قباذ أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن
يستحكم له أمر تلك المساحة؛ فجمع أنوشروان أهل الرأي فاتفقوا على أن جعلوا على كل
جريب من الحنطة والشعير درهماً، وعلى الجريب من الكرم ثمانية دراهم، وعلى الرطاب

تسعة دراهم، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً، وعلى كل ست نخلات دقل مثل ذلك،
وعلى كل ستة أصول زستون مثل ذلك، ولم يضعوا إلا على نخل في حديقة، أو مجتمع غير
شاذ، وتركوا فيما سوى ذلك من الغلات السبع، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات
والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب، ومن كان في خدمة املك، وصيروها على طبقات:
اثني عشر درهماً، وثمانية دراهم، وستة دراهم، وأربعة دراهم، على قدر إكثار الرجل
وإقلاقه، ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين، ورفعوا
هذه الوضائع إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضائها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة،
وسماها ابراسيار. ومعنى ذلك الأمر المتراضي به.
وكان أنوشروان - لما أراد أن يضع هذه الوضائع - أمر بإتمام المساحة التي بدا بها قباذ،
وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك، والجماجم؛ ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل ذلك غير
تفصيله، وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من
أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم، فقرأ ذلك عليهم. ثم قال كسرى: إنا قد
رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان هذه المساحة وضائع، فأمر بإنجامها في السنة
ثلاثة أنجم، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من الثغور أو طرف من
الأطراف فتق أو ما نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه بذلنا الأموال التي عندنا ولم
نحتج إلى استئناف جبايتها، فما الذي ترون فيما رأيناه من ذلك وأجمعنا عليه؟ فلم يشر
عليه أحد منهم بمشورة، ولا نطق بكلمة. فكرر كسرى عليهم القول ثلاثاً، فقام رجل من
عرضهم وقال: أتضع أيها الملك - عمرك الله - خالداً من هذا على الفاني؟ من كرم يموت،
وزرع يهيج، ونهر يغيض، وعين أو قناة ينقطع ماؤها. فقال له كسرى: يا ذا الكلفة المشئوم،
من أي طبقات الناس أنت؟ فقال: من الكتاب. فقال كسرى: اضربوه بالدوي، حتى
يموت، فضربه الكتاب خاصة تبرؤا منهم إلى كسرى من رأيه، وما صدر من مقالته حتى

قتلوه. وقال الناس: نحن راضون بما الزمتنا أيها الملك يه من خراج. ثم اجتمعت الآراء
على وضع ما ذكرناه من الوضائع، فاستقرت على ذلك إلى أن الإسلام، وبها أخذ عمر
رضي الله عنه لما فتحت بلاد فارس.
كسرى أنوشروان
قال الشيخ أبو علي احمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم:
إنه قرا فيما كتبه أنوشروان من سيرة نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته:
قال كسرى: كنت يوماً جالساً بالدسكرة وأنا سائر إلى همذان لنصيف هناك؛ وقد أعد
الطعام للرسل الذين بالباب من قبل خاقان والهياطلة والصين وقيصر ونقفور؛ ودخل رجل
من الأسورة مخترطاً سيفه حتى وصل إلى الستر في ثلاثة أماكن، وأراد الدخول حيث نحن
والوثوب علينا، فأشار علي بعض خدمي أن أخرج إليه بسيفي، فعلمت انه إن كان إنما هو
رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يغني شيئاً؛ فلم
أخف ولم أتحرك من مكاني؛ وأخذه بعض الحرس فإذا هو رجل رازي من حشمنا
وخاصتنا، فلم يشكوا أن على رأيه كثيراً من الناس، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر
للشرب حتى يستبين الأمر، فلم أجبهم إلى ذلك لئلا ترى الرسل مني جبناً، فخرجت
لشربي، فلما فرغنا هددت الرازي بالعقوبة وقطع اليمين، وسألته أن يصدقني عن الذي حمله
على ذلك، وأنه إن صدقني لم تنله عقوبة بعد ذلك؛ فذكر أن قوماً وضعوا من قبل أنفسهم
كتباً وكلاماً، وذكروا أنه من عند الله، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتلته وإن قتلني
أدخل الجنة. فلما فحصت عن ذلك وجدته حقاً؛ فأمرت بتخلية الرازي وبرد ما اخذ
منه، وتقدمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم أدع منهم أحداً.
وقال انوشروان: إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه،
بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث،
حتى إني سألت أفضلهم رجلاً على رءوس الناس عن استحلاله قتلي، فقال: نعم، استحل

قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا! فلم آمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن
يحبس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما
ذكر؛ فأجاب الرسول إن ذلك حق، ولكن سألني الملك أن أصدقه عن ذات نفسي ولا
أكتمه شيئاً مما أدين به، وغنما أدين بما أخذته من مؤدبي.
قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذل وطلب الصلح وأنفذ إلي بمال وأقر بالخراج
والفدية، تصدقت على مساكين الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعيهم مما بعث به قيصر
بعشرة آلاف دينار، وذلك فيما وطئته من أرض الروم دون غيرها.
وقال: لما أمرت بتصفح أمر الرعية بنفسي ورفع البلاء والظلم عنهم، وما ينوبهم من ثقل
الخراج؛ فإن فيه مع الأجر تزيين أهل المملكة وغناهم وقدرة الوالي على أن يستخرج منهم
إن هو احتاج إلى ذلك - وقد كان في آبائنا من يرى أن وضع الخراج عنهم السنة والسنتين
والتخفيف أحياناً مما يقويهم على عمارة أرضيهم - جمعت العمال ومن يؤدي الخراج فرأيت
من تخليطهم ما لم أر له حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورستاق،
وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة في نفسي، وجعلت في كل بلد
مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضي القضاة بكل كورة النظر في أهل كورته،
وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إلينا إلى القاضي الذي وليته أمر كورهم
حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئاً، وأن يؤدوا الخراج بمشهد من القاضي، وأن تعطى به
البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يزاد الخراج ممن لم يدرك من الأحداث، وأن يرفع
القاضي وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعامل محاسبتهم إلى ديواننا
وقت الكتب بذلك.
وقال: رفع إلينا موبذان موبذ أن قوماً سماهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهداً
وبعضهم ببلاد أخر، دينهم مخالف لما رويناه عن نبينا وعلمائنا، وأنهم يتكلمون بدينهم سراً
يدعون إليه، وأن ذلك مفسدة للملك، وحيث لا تقوم الرعية إلا على هوى واحد، فيحرمون

جميعاً ما يحرم الملك، ويستحلون ما يستحل الملك في دينه؛ فإن ذلك إذا اجتمع للملك قوى
بجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فاستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك
المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يخاصموا حتى يقفوا على الحق ويقروا به، وأمرت أن
يقصوا عن مدينتي وعن بلادي ومملكتي، ويتتبع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك.
وقال: إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة، وأنهم لا يجدون
بداً - إن لم نعطهم شيئاً - من أن يغزونا، وسألوا خصالاً إحداها أن نتخذهم في جندنا،
ونجري عليهم مايعيشون به، وأن نعطيهم من أرض الكرج وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون
به، فرأيت أن أسير في ذلك الطريق إلى باب صول، وأحببت أن يعرف من قبلنا من الملوك
هناك نشاطنا للأسفار وقوتنا عليها متى هممنا، وأن يروا ما رأوا من هيبة الملوك وكثرة
الجنود وتمام العدة وكمال السلاح ما يقوون به على أعدائهم، ويعرفون به قوة من خلفهم إن
هم احتاجوا إليه، وأحببنا بمسيرنا أن نجري لهم على أيدينا الجوائز والحملان، والقرب من
المجلس واللطف في الكلام ليزيدهم ذلك مودة ورغبة فينا، وحرصاً على قتال أعدائنا،
،أحببت أيضاً التعهد لحصونهم، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا. فسرت في
طريق همذان وأذربيجان. فلما بلغت إلى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يممت تلك
المدائن العتيقة، وتلك الحدود، وأمرت ببناء حصون أخر. فلما بلغ خاقان الخزر نزولنا
هناك تخوف أن نغزوه؛ فكتب أنه لم يزل - منذ ملكت - يحب موادعتي، وأنه يرى الدخول
في طاعتي؛ ورأى بعض قواده - لما شاهد حاله - تركه وأتانا في ألفين من أصحابه، فقبلناه
وأنزلناه في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بحصن هناك،
وأمرت بمصلى لأهل ديننا، وجعلت فيه موبذاً وقوماً نساكاً، وأمرتهم أن يعلموا من دخل
من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاة من المنفعة العاجلة في الدنيا، ولاثواب الآجل في
الأخرى، وأن يحثوهم على المودة والصحبة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا

أحداثهم رأينا ومذهبنا، وأقمت لهم في تلك التخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت
السكك. ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فغذت هو بحيث لو كان بوسط
فارس لكان منزلنا بها فاضلاً.
وقال: فلما أتى لمكنا ثمان وعشرون سنة جددت النظر في أمر المملكة والعدل على
الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظالمهم، وإنصافهم. وأمرت موبذ كل ثغر ومدينة وبلد
بإنهاء ذلك إلي. وأمرت بعرض الجند، من كان منهم بالباب بمشهد مني، ومن غاب في
الثغور والأطراف بمشهد من القائد وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا. وأمرت بجمع أهل
كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مصرها مع القائد وقاضي البلد والكاتب والأمين.
وسرحت من قبلي من عرفت صحبته وأمانته ونسكه وعلمه، ومن جربت ذلك منه إلى
كل مصر ومدينة حيث أولئك العمال والغلمان وأهل الأرض ليجمعوا بينهم وبين أهل
أراضيهم وبين وضيعهم وشريفهم، وأن يرفع الأمر كله على حقه وصدقه، فما نفذ لهم فيه
أمر أو صح فيه القضاء فرضى به أهله فرغوا منه هنالك، وما أشكل عليهم رفعوه إلي.
وبلغ اهتمامي بتفقد ذلك مالولا الذي أداري من الأعداء والثغور لباشرت أمر الخراج
والرعية بنفسي قرية قرية حتى أتعهدها وأكلم رجلاً رجلاً من أهل مملكتي؛ غير أني تخوفت
أن يضيع بذلك السبب أمر هو اعظم منه، الأمر الذي لا يغني فيه أحد غنائي ولا يقدر
على إحكامه غيري، ولا يكفينيه كاف، مع الذي في الشخوص إلى قرية قرية من المئونة على
الرعية من جندنا، ومن لا نجد بداً من إخراجه معنا. وكرهنا أيضاً إشخاصهم إلينا مع
تخوفنا أن يشتغل أهل الخراج عن عمارة أراضيهم، أو يكون فيهم من يدخل عليه من ذلك
مئونة في تكلف السير إلى بابنا، وقد ضيع قراه وأنهاره وما لا يجد بداً من تعهده في السنة
كلها في أوقات العمارة، ففعلنا ذلك بهم ووكلنا موبذان موبذ بذلك، وكتبنا به الكتب
وسرحنا من وثقنا به، ورجونا أن يجري مجرانا وأشخصناه وقلدناه ذلك.

قال: ولما أمن الله جميع أهل مملكتنا من الأعداء فلم يبق منهم إلا نحو ألفي رجل من الديلم
الذين عسر افتتاح حصونهم لصعوبة الجبال عليها، لم نجد شيئاً أنفع لمملكتنا من أن نفحص
عن الرعية، وأولئك الأمناء الذين وصيناهم بإنصاف أهل الخراج. وكان بلغنا أن أولئك
الأمناء لم يبالغوا على قدر رأينا في ذلك، فأمرت بالكتب إلى قاضي كورة كورة أن يجمع أهل
الكورة بغير علم عاملهم وأولى أمرهم فيسألهم عن مظالمهم وما تسخرج منهم، ويفحص
عن ذلك بمجهود رأيه ويبالغ فيه، ويكتب حال رجل منهم ويختم عليه بخاتمه وخاتم الرضا
من أهل تلك الكورة، ويبعث به إلي ويسرح ممن يجتمع رأي الكورة عليه بالرضا نفراً، وغن
أحبوا أن يكون فيمن يشخص بعض سفلتهم أيضاً فعل ذلك.
فلما حضروا جلست للناس وأذنت لهم بمشهد من عظماء أرضنا وملوكهم وقضاتهم
وأحرارهم وأشرافهم، ونظرت في تلك الكتب والمظالم، فأية مظلمة كانت من العمال ومن
وكلائنا، أو من وكلاء أولادنا ونسائنا وأهل بيتنا حططناها عنهم بغير بينة؛ لعلمنا بضعف
أهل الخراج منهم، وظلم أهل القوة من السلطان لهم، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض
ووضحت بنا، أمرت بإنصافهم قبل البراح، وما أشكل وأوجب الفحص عنه شهود البلد
وقاضيها سرحت معه أميناً من الكتاب، وأميناً من فقهاء ديننا وأميننا وثقنا به من
خدمنا وحاشيتنا، فأحكمت ذلك إحكاماً وثيقاً. لوم يجعل الله لذوي قرابتنا ورحمنا
وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل؛ فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن
يستطيلوا بعزته وقوته، فإذا أهمل السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأدب
بأدب ملكه، محافظ على دينه، شفيق على رعيته، وأولئك قليل؛ فدعانا الذي أطلعنا عليه
من ظلم أولئك ألا نطلب البينة عليهم فيما ادعى قبلهم. ولم نزل نرد المظالم، ولم نرد أيضاً
ظلم أحد ممن كان عزيزاً بنا، منيعاً بمكانه ومنزلته عندنا، فإن الحق واسع للضعفاء
والأقوياء والفقراء والأغنياء؛ ولكنا لما أشكلت الأمور في ذلك علينا كان الحمل على

خواصنا وخدمنا أحب إلينا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم، وأهل الفاقة
والحاجة منهم. وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدرون على ظلم من حولنا. وعلمنا مع
ذلك أن الذين أعدينا لهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا إلى ما لا يرجع إليه
أولئك. ولعمري إن خواصنا إلينا، وآثر خدمنا في أنفسنا الذين يحفظون سيرتنا في الرعية،
ويرحمون أهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم؛ فإنه قد ظلمنا من ظلمهم، وجار علينا من جار
عليهم، وأراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم وملجأهم. قال: ثم كتب إلينا على رأس سبع
وثلاثين سنة من ملكنا، أربعة أصناف من الترك من ناحية الخزر، ولكل صنف منهم ملك،
يذكرون ما دخل عليهم من الحاجة، وما لهم من الحظ في عبوديتنا، وسألوا أن نأذن لهم في
القدوم بأصحابهم لخدمتنا، والعمل لما نأمرهم به، وألا نحقد عليهم ما سلف منهم قبل
ملكنا، وأن ننزلهم منزلة سائر عبيدنا، فإنا سنرى في كل ما نأمرهم به من قتال وغيره
كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا، فرأيت في قبولي إياهم عدة منافع منها: جلدهم وبأسهم،
ومنها: أني تخوفت أن تحملهم الحاجة على إتيان قيصر أو بعض الملوك فيقووا بهم علينا،
وقد كان فيما سلف يستأجر منهم قيصر لقتال ملوك ناحيتنا بأغلى الأجرة.
وكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك؛ لأن الترك ليس عندهم لذة
للحياة، فهو الذي يجرئهم مع شقاء معايشهم على الموت؛ فكتبت إليهم إنا نقبل من دخل في
طاعتنا، ولا نبخل على أحد بما عندنا، وكتبت إلى مرزبان الباب آمره بأن يدخلهم أولاً
أولاً، فكتب إلي إنه قد أتاه منهم خمسون ألفاً بنسائهم وأولادهم وعيالهم. ولما بلغني ذلك
أحببت أن أقربهم إلي ليعرفوا إحساني إليهم، وأعظمهم ليطمئنوا إلي قوادنا، حتى إذا أردنا
تسريحهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه واثقاً، فشخصنا إلى أذربيجان، فلما
نزلتها أذنت لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان
الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور،

وكابل شاه، وصاحب سرنديب، وصاحب كله، وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكاً
في يوم واحد، وانتهيت إلى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفاً فأمرت أن يصفوا هناك
وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي وممن قدم علي ومن دخل في طاعتي وعبوديتي من
لم يسعهم مرج كان طوله عشرة فراسخ، فحمدت الله كثيراً وأمرت أن يصف أولئك الأتراك
في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب، ورأست عليهم منهم، وأقطعتهم وكسوت أصحابهم،
وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي باللان،
وقسمتهم في كل ما احتجنا إليه من الثغور، وضممتهم إلى المرزبان؛ فلم أزل أرى من
مناصحتهم واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها.
قال: وكتب إلي خاقان الأكبر يعتذر إلي من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز، وذكر
في كتابه ورسالته أن الذي حمله على عداوتي وغزو أرضي من لم ينظر له، وناشدني الله أن
أتجاوز عنه، وتوثق لي بما أطمئن إليه. وذكر أن قيصر قد أرسل إليه وزعم أنه يستأذنني في
قبول رسله، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما آمره، ولا يجاوز أمري، ولا يرغب في
الأموال ولا في المودات لأحد إلا برضائي، وكان دسيس لي في الترك يكاتبني بندم خاقان
وندم أصحابه على غدره وعداوته إياي، فأجبته: إني لعمري ما أبالي إن طبيعة نفسك
وغريزتك غدرت بنا أم أطعت غيرك في ذلك، وما ذنبدك في طاعة من أطعت في ذلك إلا
كذبتك فيما فعلته برأي نفسك، وإني قد استحققت أشد العقوبة. وكتبت أني لا أظن
شيئاً من الوثيقة تفي لكم إلا وقد كنت ضيعته، ولا أظن شيئاً وثقت لنا به من قبل اليوم
ثم غدرتم، فكيف نطمئن إليك ونثق بقولك؟ ولسنا نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر
ونقض العهد والكذب في اليمين. وذكرت أن رسل قيصر عندك، ووقفنا على استئذانك
إيانا فيهم؛ وإني لست أنهاك عن مودة أحد. وكرهت أن يرى أني أتخوف مصادقته وأهاب
ذلك منه. وأحببت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما. ثم سرحت لمرمة

المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطعمة والأعلاف إليها ما يحتاج إليه الجند، وأمرت
أن يكونوا على استعداد وحذر، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على
حال الصلح.
قال: وكان شكري لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلاً بنعمه الأول التي وهبها لي في
أول خلقه إياي؛ فإنما الشكر والنعم عدلا كفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الأخف
إلى أن يزاد فيه حتى يعادل صاحبه، فإذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلاً انقطع الحمل
وهلك ظهر الحامل، وإذا كان ذلك مستوياً استمر الحامل. وكثير النعم يحتاج صاحبها إلى
كثير الشكر، وكثير الشكر يجلب كثير النعم. ولما وجدت الشكر بعضه بالقول، وبعضه
بالعمل، ونظرت في احب الأعمال إلى الله وجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض،
وأرسى به الجبال، وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية. وذلك الحق والعدل فلزمتهما. ورأيت
ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها معايش الناس والدواب والطير وسكان الأرض.
ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل العمارة، ووجدت أهل العمارة أجراء
المقاتلة، فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم،
ومجاهدتهم من ورائهم، فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم؛ فإن عمارتهم تتم بهم،
وإن أبطأوا عليهم بذلك أو هدوهم فقوي عدوهم؛ فرأيت من الحق على أهل الخراج ألا
يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معايشهم، وعمروا به بلدانهم، ورأيت ألا أجتاحهم
وأستفرغ ذات أيديهم للخزائن والمقاتلة، فإني إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل
الخراج؛ وذلك أنه إذا فسد العامر فسد المعمور، وكذلك أهل الأرض والأرض، فإنه إذا لم
يكن لأهل الخراج ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلكت المقاتلة الذين قوتهم بعمارة الأرض؛
فلا عمارة للأرض لا بفضل ما في يد أهل الخراج؛ فمن الإحسان إلى المقاتلة والإكرام لهم أن
أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم، وأدع لهم فضلاً في معايشهم؛ فأهل الأرض وذووا الخراج

أيدي المقاتلة والجند وقوتهم، والمقاتلة أيضاً أيدي أهل الخراج وقوتهم.
ولقد ميزت ذلك بجهدي وطاقتي، وفكرت فيه فما رأيت أن أفضل هؤلاء على هؤلاء إذ
وجدتهما كاليدين المتعاونتين والرجلين المترادفتين.
ولعمري ما أعفى أهل الخراج من الظلم من أضر بالمقاتلة، ولا كف الظلم عن المقاتلة من
تعدى على أهل الخراج. ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل
على ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته، ولولا جهال أهل الخراج لكفوا عن أنفسهم
بعض ما يحتاجون إليه من المعايش إيثاراً على أنفسهم.
قال: ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان
ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبر الله العظيم خلائقه به، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في
أداء حقه على مواهبه، وأحكنا أمر المقاتلة وأهل الخراج ببسط العدل، وأقبلنا بعد ذلك
على السير والسنن، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا، والأكبر فالأكبر عائداً على
جندنا ورعيتنا، ونظرنا في سير آبائنا من لدن بستاسف إلى ملك قباذ أقرب آبائنا. ثم لم
نترك إصلاحاً في شيء من ذلك إلا أخذناه، ولا فساداً إلا أعرضنا عنه، ولم يدعنا حب
الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن، ولكنا آثرنا حب الله وشكره وطاعته.
ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم، وكانوا أحق بذلك، فلم ندع حقاً إلا آثرناه،
ووجدنا الحق في القرابة. نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها، وجعلنا عيار
ذلك عقولنا، وميزانه بأحلامنا، فأخذنا من جميع ذلك ما زين سلطاننا، وجعلناه سنة
وعادة، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل به أهواؤنا، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به، وكتبنا
إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقدمنا إليهم فيه؛ غير أنا لم نكره أحداً على
غير دينه وملته، ولم نحسدهم ما قبلنا، ولا منع ذلك انقباض بعلم ما عندهم، فإن الإقرار
بمعرفة الحق والعلم والأتباع له من أعظم ما تزينت به الملوك.
ومن أعظم المضرة على
الملوك الأنفة من العلم والحمية من طلبه، ولا يكون عالماً من لا يتعلم.

ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة، ووصلت بين مكارم
أسلافي، وما أحدثته بالرأي، وأخذت به نفسي، وقبلته عن الملوك الذين لم يكونوا منا،
وثبت على الأمر الذي نلت به الظفر والخير، ورفضت سائر الأمم لأني لم أجد عندهم رأياً
ولا عقولاً ولا أحلاماً، ووجدتهم أصحاب بغي وحسد وكلب وحرص وشح وسوء تدبير
وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة. وهذه أمور لا تصلح عليها ولاية، ولا تتم لها نعمة.
قال ابن مسكويه: وقرأت مع هذه االسير في آخر هذا الكتاب الذي كتبه أنوشروان في
سيرة نفسه أن أنوشروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع إليه الأساورة مع القواد
والعظماء والمرازبة والنساك والموابذة وأماثل الناس معهم فخطبهم فقال:
خطبة أنوشروان
قال: أيها الناس، أحضروني فهمكم، أعطوني أسماعكم، وناصحوني أنفسكم، فإني لم أزل
زاضعاً سيفي على عنقي منذ وليت عليكم غرضاً للسيوف والأسنة، وكل ذلك للمدافعة
عنكم، والإبقاء عليكم، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق، وتارة في آخر المغرب،
وأخرى في نهاية الجنوب، ومثلها في جانب الشمال، ونقلت الذين اتهمتهم إلى غير بلادهم،
ووضعت الوضائع في بلدان الترك، وأقمت بيوت النيران بقسطنطنية، ولم أزل أصعد جبلاً
شامخاً وأنزل عنه، وأطأ حزونه بعد سهوله، وأصبر على المخمصة والمخافة، وأكابد البرد
والحر، وأركب هول البحر وخطر المفازة؛ إرادة هذا الأمر الذي قد أتمه الله لكم: من
الإثخان في الأعداء، والتمكن في البلاد، والسعة في المعاش، ودرك العز، وبلوغ ما نلتم؛ فقد
أصبحتم بحمد الله ونعمته على الشرف الأعلى من النعمة، والفضل الأكبر من الكرامة
والأمن، وقد هزم الله أعداءكم وقتلهم؛ فهم بين مقتول هالك، وحي مطيع لكم سامع؛ وقد
بقي لكم عدو عددهم قليل، وبأسهم شديد، وشوكتهم عظيمة؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف
عندي عليكم، وأحرى أن يهزموكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم، وأصحاب

السيوف والرماح والخيول؛ وإن أنتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الباقي، غلبتكم لعدوكم
الذين قاتلتم وحاصرتم، فقد تم الظفر والنصر، وتمت فيكم القوة، وتم بكم العز، وتمت
عليكم النعمة، وتم لكم الفضل، وتم لكم الاجتماع والألفة والصحة والسلامة؛ وغن أنتم
قصرتم وهنتم، وظفر هذا الدو بكم فأين الظفر الذي كان منكم، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا
العدو الباقي مثل ما قتلتم من ذلك العدو الماضي؛ وليكن جدكم في هذا واجتهادكم
واحتشادكم أكبر وأجل وأحزم وأعزم وأصح وأشد، فإن أحق الأعداء بالاستعداد له
أعظمهم مكيدة، وأشدهم شوكة، وليس الذي كنتم تخافون من عدوكم الذي قاتلتم بقريب
من هؤلاء الذين آمركم بقتالهم الآن؛ فاطلبوه وصلوا ظفراً بظفر، ونصراً بنصر، وقوة بقوة،
وتأييداً بتأييد، وعزماً بحزم وعزم، وجهاداً بجهاد؛ فإن بذلك اجتماع غصلاكم، وتمام النعمة
عليكم، والزيادة في الكرامة من الله لكم، والفوز برضوانه في الآخرة.
ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا ليبلغوا منك - إن
ظهروا عليكم وغلبوكم - مثل الذي يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر عليكم؛ فإن
بأس هذا العدو أشد، وكيده أكبر، وأمره أخوف من ذلك العدو يا أيها الناس، إني قد
نصبت لكم كما رأيتم، ولقيت ما قد علمتم بالسيف والرمح والمفاوز والبحار والسهولة
والجبال؛ أقارع عدواً عدواً، وأكالب جنداً جنداً، وأكابد ملكاً ملكاً، لم أتضرع إليكم هذا
التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك، ولم أسألكم هذه المسالة في طلب أجد منكم،
والاجتهاد والاحتفال والاحتشاد، وإنما فعلت كذا لعظم خطره، وشدة شوكته، ومخافة
صولته بكم. وإن أنا أيها الناس لم أغلب هذا العدو وأنفة عنكم، فقد أبقيت فيكم أكبر
الأعداء، ونفيت عنكم أضعفها، فأعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم، القريب
الدار منكم؛ فأنشدكم الله أيها الناس لما أعنتموني عليه حتى أنفيه عنكم، وأخرجه من
بين أظهركم فيتم بلائي عندكم، وبلاء الله فيكم عندي، وتتم النعمة علي وعليكم،

والكرامة من الله لي ولكم، ويتم هذا العز والنصر، وهذا الشرف والتمكين، وهذه الثروة
والمنزلة.
يا أيها الناس، إني تفكرت بعد فراغي من كتابي هذا، وما وصفت من نعمة الله علينا في
الأمر الذي لما غلب دارا الملوك والأمم وقهرها، واستولى على بلادها ولما تحكم أمر هذا
العدو، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر والغلبة؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر
الذي تم به بالملك، واشتد به السلطان، وقوى به على الأعداء، وتمت عليه به النعمة،
وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها الكرامة، حتى احتال له بوجوه النميمة والبغي؛ فدعا
البغي الحسد فتقوى به وتمكن، ودعا الحسد بغض أهل الفقر لأهل الغنى، وأهل الخمول
لأهل الشرف؛ ثم أتاهم الإسكندر وهم على ذلك من تفرق الأهواء، واختلاف الأمور،
وظهور البغضاء وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم. ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب
حرسه وأمينه على دمه، للذي شمل قلوب العامة من الشر والضينة، ونبت فيها من العداوة
والفرقة، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه؛ وقد اتعظت بذلك اليوم وذكرته.
ياأيها الناس، فلا اسمعن في هذه النعمة تفرقاً ولا بغياً ولا حسداً ظاهراً، ولا وشاية ولا
سعاية، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا وملكنا، وأكرم عنه ولايتنا، وما نلت ما نلت
بنعمة ربنا وحمده بشيء من الأمور الخبيثة التي نفتها العلماء، وعافتها الحكماء؛ ولكن نلت
هذه الرتبة بالصحة والسلامة، والحب للرعية، والوفاء والعدل والاستقامة والتؤدة. وإنما
تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سميناها، أعني من الترك والبربر والزنج والجبال وغيرهم،
مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم. ولا تصلح أمة
قط وملكها على ظهور هذه الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم.
يا أيها الناس، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والاستصلاح غني لنا عما نطلب
بهذه الأخلاق الرديئة المشئومة؛ فاكفوني في ذلك أنفسكم؛ فإن قهر هذه الأعداء أحب إلي
وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم. فأما أنا أيها الناس فقج طبت نفساً بترك هذه

الأمور ومحقها وقمعها ونفيها عنكم.
يا أيها الناس، غني قد أحببت أن أنفي عدوكم الظاهر والباطن؛ فأما الظاهر منهما فإنا
بحمد الله ونعمته قد نفيناه وعاننا الله عليه وحصد لنا شوكته، وأحسنتم فيه وأجملتم
وآسيتم وأجهدتم، فافعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو، واعملوا فيه كالذي
عملتم في ذلك، واحفظوا عني ما أوصيكم به فإني شفيق عليكم ناصح لكم.
أيها الناس، من أحيا هذه الأمور فينا فقد أفسد بلادءه عندنا من كان يقاتلنا من أعدائنا،
فإن هذه أكثر مضرة، وأشد شوكة، وأعظم بلية، وأضر تبعة.
واعلموا أن خيركم يا أيها الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على نفسه في
هذا الغابر. واعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذاك، ومن غلب هذا فقد قهر ذاك؛ وذلك أن
بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصح منكم يكون العز والقدرة والسلطان، ومع
التحاسد والبغي والنميمة والسب يكون ذهاب العز، وانقطاع القوة وهلاك الدنيا والآخرة؛
فعليكم بما أمرنا به، واحذروا ما نهيناكم عنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. عليكم أهل
الفاقة، وضيافة السلابلة، وأكرموا جوار من جاوركم، وأحصنوا صحبة من دخل فيكم
من الأمم، فإن الإحراج في ذمتي، ولا تجبهوهم ولا تظلموهم، ولا تسلطوا عليهم، ولا
تحرجوهم، فإن الإحراج يدعو إلى المعصية، ولكن اصبروا لهم على بعض الأذى، واحفظوا
أمانتكم وعهدكم، واحفظوا ما عهدت إليكم من هذه الأخلاق، فلا تصلحوا إلا معها،
وبالله تعالى ثقتنا في الأمور كلها. ثم هلك أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه.
ثم ملك بعده ابنه هرمز بن كسرى أنوشروان. وأمه قاقم ابنة خاقان ملك الترك. وقيل:
بل ابنة ملك من ملوك الخزر. قال: وكان كثير الأدب، حسن السياسة، جميل النية، وافر
الإحسان إلى الضعفاء والمساكين.
وكان من سيرته المرتضاة أنه يجري الخير والعدل على الرعية، ويشدد على العظماء
المتسلكين. وبلغ من عدله أنه كان يسر إلى المياه ليصيف هناك، فأمر فنودي في مسيره أن

يتحامى مواضع الحروث، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضروا بأحد، ووكل بتعهد ما يجري في
عسكره، ومعاقبة من تعدى أمره وتغريمه لصاحب الحرث عوضاً عما أفسده له. وكان
ابنه كسرى أبرويز في عسكره فغار مركب من مراكبه ووقع في حرث كان على الطريق،
فأفسد ما مر عليه، فأخذ ودفع إلى الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاقبة من أفسد هو أو
دوابه شيئاً من الحرث، فلم يجسر الرجل الموكل من جهة هرمز أمر هرمز في ابنه أبرويز،
فرفع الأمر إلى هرمز فأمره أن يجدع أذنيه، ويبتر ذنبه، ويغرم كسرى أبرويز لصاحب الحرث؛
فخرج الرجل لإنفاذ الأمر، فدس له كسرى رهطاً من العظماء يسألونه التثبت في الأمر،
فكلموه فلم يجب إلى ذلك، فسألوه تأخير ذلك الأمر في المركب حتى يكلموا هرمز، ففعل،
ولقي أولئك الرهط هرمزاً وأعلموه أن ذلك المركب حتى يكلموا الذي غار زعارة، وأنه
أخذ لوقته، وسألوه أن يأمر بالكف عن جدعه وتبره، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجبهم
إلى ما سألوه، وأمر بالمركب فجدعت أذناه وبتر ذنبه، وغرم كسرى كما يغرم غيره من الجند
ثم ارتحل.
قال: وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن، وكان ممره على بساتين
وكروم، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حصر ما، فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى
غلامه وقال: اذهب بها إلى المنزلة واطبخها بلحم واصنع منها مرقة فإنها نافعة في هذا
الإبان، فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به، فبلغ إشفاق الأسوار من عقوبة هرمز أن
دفع إلى حافظ منقة محلاة بالذهب كانت في وسطه، وسأله أن يأخذها عوضاً عما أخذه
من الحصرم، ولا يرفع الأمر إلى الملك.
فهذه كانت سيرته في العدل، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه. وكان مظفراً
منصوراً، وكان أديباً داهياً، إلا أنه كان مقصياً للأشراف وأهل البيوتات والعلماء. وقيل:
إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل منهم، ولم يكن له رأى إلا في تآلف السفلة
وأسقاط الناس واستصلاحهم. وحبس خلقاً كثيراً من العظماء، وحط مراتب جماعة

كبيرة، وقصر بالأسورة ففسدت عليه نيات أكابر جنده وعظماء مملكته، فكان عاقبة سوء
هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شابه شاه ملك الترك في ثلثمائة ألف
مقاتل، وسار إلى باذغيس، وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه، وخرج عليه
ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب، وخرج
عليه من العرب خلق كثير، فنزلوا في شاطئ الفرات وشنوا الغارات على أهل السواد،
فاجترأ عليه أعداؤه وغزوا بلاده.
فأما شابه شاه ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء ملكه من الفرس يؤذنهم بإقباله
في جيوشه زمراً زمراً، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم، ويسلك إليهم من بلادهم، وأمرهم أن
يعقدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها، وكذلك في
الأدوية، وأن يسهلوا له الطرق والمسالك وقال: فإنني قد أجمعت على المسير إلى بلاد الروم
من بلادكم، فاستفظع هرمز ما ورد عليه من ذلك، وجمع أكابر مملكته وعرض ذلك عليهم،
وشاورهم فيما يفعله، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وحربه، فندب إليه رجلاً من
أهل الرأي والنجدة يقال له بهرام جوبين، فاختار بهرام من العسكر اثني عشر ألفاً من
الكهول دون الشباب، وسار بهم حتى انتهى إلى هراة وباذغيس، ولم يشعر شابه شاه ملك
الترك ببهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره، فكانت بينهما حروب كثيرة آخرها أن
بهرام جو بين قتل شابه برمية رماه بها فاستباح عسكره، وأقام بهرام موضعه، فوافاه برموذة
بن شابه وكان يعدل بأبيه، فحاربه فهزمه بهرام جوبين وحصره في بعض الحصون، ثم ألح
عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيراً إلى هرمز، وغنم كنوزاً عظيمة، فيقال إنه حمل إلى
هرمز من الأموال والجواهر والأواني وسائر الأمتعة وقر مائتي ألف وخمسين ألف بعير في مدة
تلك الأيام، فشكره هرمز على ذلك، وأمر أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام
صواباً، ثم خاف سطوة هرمز.
وحكى له أن الملك يستقل ما حمله إليه من الغنائم في جنب ما وصل إليه منها، وأنه يقول

في مجالسه قد ترفه بهرام واستطاب الدعة، وبلغ ذلك الجند فخافوا مثل خوفه. فيقال إن
بهرام جمع ذات يوم وجوه عسكره وأجلسهم على مراتبهم ثم خرج عليهم في زي النساء
وبيده مغزل وقطن حت جلس في موضعه؛ وحمل إلى كل واحد من أولئك القوم مغزل وقطن
ووضع بين أيديهم، فامتعضوا من ذلك وأنكروه وقالوا: ما هذا الزي! فقال بهرام: إن كتاب
الملك ورد علي بذلك ولا بد من امتثال أمره إن كنتم طائعين له، فاظهروا أنفة وحمية
واجمعوا كلهم على خلع هرمز، فخلعوه وأظهروا أن ابنه كسرى أبرويز أصلح للملك منه،
وساعدهم على ذلك خلق كثير ممن كان بحضرة هرمز.
ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشاً كثيفاً مع بعض قواده لمحاربة بهرام جوبين، فأشفق أبرويز
من الحديث وخاف سطوة أبيه ببهرام، فهرب إلى أذربيجان، فاجتمع إليه هناك عدة من
المرازبة ومن الاصبهبذين، فأعطوه بيعتهم ولم يظهر ابرويز شيئاً، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل
القائد الذي كان قد بعثه هرمز محاربة بهرام جوبين، وهو اذبيحشيش، وهزيمة الجيش الذي
كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه، وكتبت أخب أذبيجشيش إلى كسرى أبرويز تخبره
بضعف أبيه هرمز. وأعلمته أن العظماء والوجوه قد أجمعوا على خلعه، وأن بهرام جوبين
إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك. قال: ولم يلبث العظماء أن وثبت على هرمز
وفيهم بندويه وبسطام خالاً أبرويز وخلعوه وسملوا عينيه، وتركوه تحرجاً من قتله. فكان
ملكه إلى أن خلع وسمل اثنتي عشرة سنة.
ثم ملك بعده ابنه كسرى أبرويز هرمز بن كسرى أنوشروان.
قال: ولما ملك بادر بمن معه
إلى المدائن وسبق إلهيا بهرام جوبين وتتوج وجمع إليه الوجوه والأشراف، وجلس على
السرير ومناهم، فأمرهم بالسم والطاعة، فاستبشر الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا
تحت طاعته. فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فسجد له، واعتذر وقال: إنك تعلم أيها
الملك إنني بريء مما جناه إليك هؤلاء القوم الذين فعلوا بك ما فعلوا، وإنما هربت خوفاً منك
وإشفاقاً على نفسي، فصدقه هرمز وقال: يا بني! إن لي إليك حاجتين فأسعفني بهما،

إحداهما: أن تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسمل عيني ولا تأخذك بهم رأفة، والأخرى
تونسني كل يوم بثلاثة نفر ممن لهم أصالة رأي، وتأذم لهم بالدخول إلي؛ فتواضع له أبرويز
وقال: عمرك الله أيها الملك، إن المارق بهرام قد أطلنا أهل الشجاعة والنجدة، ولسنا نقدر
أن نمد يداً إلى من أتى إليك ما أتى؛ فإنهم وجوه أصحابك؛ ولكن إن أمكنني الله من
المنافق فأنا خليفتك وطوع أمرك.
قال: وأما بهرام جوبين فإنه ورد إلى النهروان، فخرج كسرى أبرويز إليه ووافقه بها وجعل
النهر بينه وبينه، ودار بينهما كلام كثير. كل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة،
وهو لا يجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حت يئس منه واجمع على حربه والتقوا
واقتتلوا. وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز عنه بعد أن قتل بيده
ثلاثة نفر من الأتراك، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة، وكانوا قد التزموا
لبهرام بقتل أبرويز، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالاً عظيمة.
ثال: ثم رأى أبرويز من أصحابه فتوراً فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم،
وأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة فيهم بندويه، وبسطام وكردي أخو بهرام؛ فأنه كان
معادياً لأخيه، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز. فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من
بهرام، وأشفقوا أن يرد هرمز إلى الملك، ويكاتب ملك الروم عم هرمز في ردهم فيتلفوا،
فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنوه في إتلاف هرمز فلم يحر جواباً، فانصرف بندويه وبسطام
وطائفة معهما إلى هرمز فخنقوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا: سر على خير طالع، وأيمن
طائر، فحثوا دوابهم وساروا إلى الفرات فقطعوه، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له:
خرشيذان وساروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة، فلما أوطنوه للراحة لحقتهم
خيل بهرام جوبين، فلما نذروا بهم أنبه بندويه أبرويز من نومه وقال له: احتل لنفسك فإن
القوم قد طلبوك. فقال كسرى: ما عندي حيلة. فقال بندويه: إني سأحتال لك بأن أبذل
نفسي دونك؛ قال: وكيف ذلك؟ قال: تدفع لي ثوبك وزينتك لا علو الدير، وتنجو أنت ومن

معك من وراء الدير، فإن القوم إذا وصلوا ورأوا هيئتك علي اشتغلوا بي من غيري،
وطاولتهم حتى تفوتهم، ففعل ذلك. وخرج أبرويز ومن معه، ثم وافت خيل بهرام الدير
وعليهم قائد لهم يقال له بهرام ابن سياوش فاطلع بندويه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز
وثيابه، وأوهمهم أنه هو، وسأله أن ينظره إلى غد ليصير في يده سليما ويسير به إلى بهرام
جوبين، فأمسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس. فلما أصبح اطلع عليه في بزته
وحليته وقال: إن علي وعلى أصحابي بقية شغل من استعداد وصلوات وعبادات
فأمهلنا. ولم يزل يدافعه حتى مضى عامة النهار وأمعن أبرويز، وعلم بندويه أنه قد فاتهم،
ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سياوش بأمره، فانصرف به إلى بهرام جوبين فحبسه. وأما
بهرام جوبين فإنه دخل المدائن وجلس على سرير الملك، وجمع العظماء فخطبهم وذم أبرويز
ودار بينهم كلام، فكان كلهم منصرفاً عنه إلا أن بهرام تتوج وانقاد له الناس خوفاً، ثم إن
بهرام بن سياوش واطأ بندويه على الفتك ببهرام جوبين، فظهر بهرام على ذلك، فقتل
سياوش وأفلت بندويه ولحق بأذربيجان، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكاتب ملك الروم
منها، وراسله بجميع من كان معه وسأله نصرته، فأجابه إلى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها
إليه، وأمده بثياذوس أخيه ومعه ستون ألفاً من المقاتلة، عليهم رجل يقال له سرجس، يتولى
تدبير أمرهم، ورجل آخر من أبطال الروم، كان يعد بينهم بألف رجل، وسأله ترك الأتاوة
التي كان أوه ومن قبله من ملوك الفرس يستأدونها من ملوك الروم إذا هو ملك، فأجابه إلى
ذلك، وفرح بالجيش الذي أمده به ملك الروم، واغتبط بهم وأراحهم خمسة أيام، ثم
عرضهم وعرف عليهم العرفاء، وسار بهم حتى نزل من أذربيجان في صحراء تدعى الدنق
فوافاه بندويه ورجل من أصبهبذي الناحية يقال له موسيل في أرعين ألف مقاتل، فانضموا
إليه، ووافاه الناس بالخيل من أصبهان وفارس، وانتهى إلى بهرام جوبين مكانه بصحراء
الدنق، فشخص نحوه من المدائن، فجرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكمي الرومي

بضربة ضربه بها بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي
إلى المعركة.
فلما رآه أرويز استضحك؛ فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له: هذا جزاؤنا
منك! يقتل كميناً وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونصحك ونصرتك وأنت تضحك
لقتله! فاعتذر بأن قال: إني والله ما ضحت لما تكرهون. ولقد شق علي أن فقدت مثله
أكثر مما شق عليكم، ولكني رايتكم تستصغرون شأن جوبين وتنكرون هربي منه، فذكرت
ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة تعذرونني وتعلمون يقيناً أن هربي
إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ نكايتهم في الأبطال.
ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفرداً عن العسكر بأربعة عشر رجلاً منهم كردي أخو
جوبين وبندويه وبسطام حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض، وآخر الأمر أن أبرويز
استظهر استظهاراً يئس منه بهرام جوبين، وعلم أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه، فانحاز
عنه نحو خراسان، ثم سار إلى الترك، وسار أبرويز إلى المدائن بعد أ، فرق في الجنود من
الروم أموالاً عظيمة وصرفهم إلى ملك الروم.
قال: ولبث بهرام جوبين في الترك مكرماً عند الملك حتى احتال عليه كسرى أبرويز
بتوجيهه رجلاً يقال له هرمز إلى الترك بجوهر نفيس وغيره من الهدايا إلى امرأة ملك الترك
حتى دست لبهرام من قتله؛ فاغتم خاقان لموته أرسل إلى أخته كردية وامرأته يعلمهما بلوغ
الحوادث ببهرام، وسأل كردية أخب بهرام أن يتزوجا وفارق امرأته خاتون بهذا السبب،
فأجابته كردية جواباً ليناً، ثم ضمت إليها من كان مع أخيها بهرام من المقاتلة، وخرجت
بهم من بلاد الترك إلى حدود مملكة فارس، فأتبعها ملك الترك أخاه نظراً في اثني عشر ألف
فارس. فيقال إن كردية قاتلت وقتلت نطرا بيدها، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود
أرض فارس، وكتبت إلى أخيها كردي فأخذ لها أماناً من أبرويز، فلما قدمت عليه اغتبط
بها وتزوج بها أبرويز.

قال: ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمده ويهاديه إلى أن وثبت الروم عليه في
شيء أنكروه منه فقتلوه وملكوا غيره، فبلغ ذلك أبرويز فتألم له وأوى إلى أبرويز ابن الملك
المقتول، فتوجه أبرويز وملكه على الروم، ووجه معه جنوداً كثيفة مع شهرياز قدوخ بهم
البلاد. وملك صاحب كسرى بيت المقدس وأخذ خشبة الصلب وبعث بها إلى كسرى،
وذلك في أربع وعشرين سنة من ملكه، ثم احتوى على مصر والإسكندرية وبلاد النوبة،
وبعث مفاتيح ثغر الإسكندرية إلى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه، وقصد
قسطنطينية فأناخ على ضفة الخليج الذي هو بالقرب منها وخيم هنالك، فأمره كسرى
فجرب بلاد الروم غضباً على أهلها لما انتهكوا من ملكهم وانتقاماً له، ومع ذلك لم يخضعوا
لابن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة، ولا مال إليه واحد منهم؛ غير أنهم قتلوا الملك الذي
ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقا لما ظهر لهم من فجوره وسوء تدبيره؛ وملكوا عليهم
رجلاً يقال له هرقل. فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم من تخريب جنود فارس
بلادهم، وقتلهم مقاتليهم، وسبيهم ذراريهم، واستباحتهم أموالهم تضرع إلى الله وأكثر
الدعاء وابتهل. فيقال إنه رأى في منامه رجلاً ضخم الجثة رفيع المجلس قد دخل عليهما
داخل فألقى ذلك الرجل عن مجلسه وقال لهرقل: إني قد أسلمته في يدك، فلم يقصص رؤياه
في يقظته على أحد حتى توالت عليه أمثالها، فرأى في بعض لياليه كأن رجلاً دخل عليهما
وبيده سلسلة طويلة فألقاها في عنق صاحبه، أعني صاحب المجلس الرفيع، ثم دفعه إليه
وقال له: ها قد دفعت إليك كسرى برقبته.
فلما تتابعت هذه الأحلام قصها على عظماء الروم وذوي العلم منهم، فأشاروا عليه أن
يغزوه، فاستعد هرقل واستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية واخذ عن الطريق الذي فيه
شهريار صاحب كسرى وعدل إلى غيرها، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ونزل نصيبين
سنة، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعى لموجدة كانت من كسرى عليه.

وأما شهريار فقد كانت كتب كسرى ترد عليه في الجثوم على الموضع الذي هو به وترك
البراح، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بجنوده بنصيبين، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلاً من
قواده يقال له: راهزر في اثني عشر ألف رجل من الأنجاد، وأمره أن يقيم بنينوى - وهي
الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجوزوها. وكان كسرى بلغه خبر هرقل، وهو
يومذاك بدسكرة الملك، فنفذ الجيش لمنعه من جواز دجلة، فعسكروا حيث أمرهم
كسرى، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر إلى الناحية التي فيها جنود فارس، فاذكى
راهزار العيون عليه، فاخبروه أن هرقل في سبعين ألف مقاتل، فأيقن راهزار ومن معه من
الجند أنهم عاجزون عن مناهضته، فكتب إلى كسرى غير مرة أن هرقل قد دهمه بما لا
طاقة له به ولا قيل من الجنود الكثيرة. كل ذلك يجيبه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن
يعجز عن استقبالهم، وبذل دماء الفرس في طاعته.
فلما تتابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك عبأ جنده وناهض الروم بهم؛ فقتلت الروم
راهزار وستى آلاف رجل من الفرس، وانهزم بقيتهم وهربوا على وجوههم لا يلوون على
شيء، وبلغ كسرى ذلك فانحاز من دسكرة الملك إلى المدائن، وتحصن بها لعجزه عن
محاربة هرقل، وسار هرقل بجيوش الروم حتى كان قريباً من المدائن، فاستعد كسرى لقتاله،
فلما بلغه ذلك انصرف إلى أرض الروم، وكتب كسرى إلى قواد الجند الذين انهزموا بأمرهم
أن يدلوه على كل رجل انهزم منهم، فأحوجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه، وطلب الحيل
لنجاة أنفسهم منه، وكتب إلى شهريار يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك ويصف مانال
هرقل منه ومن بلاده.
وقد حكي أن كسرى عرف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها وقال:
إن أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيري علي أيهم
أستعمل، فوصفت له أولادها فقالت: هذا فرخان أنفذ من سنان؛ وهذا شهريار أحكم من
كذا، وهذا فلان أروغ من كذا؛ فاستعمل شهريار؛ فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم

وخرب مدائنهم.
فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب؛ فقال فرخان لأصحابه:
لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى، فكتب إلى شهرياز: إذا
أتاك كتابي هذا فابعث إلي براس فرخان، فكتب إليه: أيها الملك، إنك تجد مثل فرخان،
وإن له نكاية في العدو وصيتاً فلا تفعل، فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل
إلي برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس: إني قد نزعت
عنكم شهرياز واستعملت فرخان، فانقاد له شهرياز وقال: سمعاً وطاعةً، ونزل عن سريره
وجلس عليه فرخان، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد أعطاها له
وقال له: إذا انقاد شهرياز إلى طاعة فرخان فأعط فرخان هذه الصحيفة، فلما قرأها
فرخان قال: علي بشرهياز! فأتي به فقدم ليضرب عنقه فقال: لا تعجل علي حتى أكتب
وصيتي، ثم دعا بسفط وأخرج منه ثلاث صحائف، وهي التي كان كسرى أمر شهرياز فيها
بقتل فرخان وقال له: كل هذه راجعت كسرى فيها عنك، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب
واحد؛ فرد الملك إلى أخيه واعتذر منه، فكتب شهرياز إلى هرقل ملك الروم: إن لي إليك
حاجة لا تحملها البرد، ولا تبلغها الصحف، فألقني ولا تأتيني إلا في خمسين رومياً، فإني
أيضاً ألقاك في خمسين فارسياً، فاقبل هرقل في خمسمائة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين
يديه في الطريق، خاف أن يكون قد مكر به، فأتته عيونه أنه ليس مع شهرياز إلا خمسين
رجلاً.
قال: ثم التقيا وقد بسط لهما في قبة من الديباج ضربت لهما، فاجتمعا ومع كل واحد
منهما سكين، ودعوا ترجماناً يترجم لكل منهما عن قول الآخر؛ فقال شهرياز لهرقل: إن
الذين خربوا مدينتك وبلغوا منك ومن جندك ما بلغوا أنا وأخي بشجاعتنا وكيدنا، وإن
كسر حسدنا وأراد قتل أخي وكتب إلي بقتله فأبيت، ثم أمر أخي أ، يقتلني وقد خلعناه
جميعاً ونحن نقاتله معك. قال: قد أصبتما ووفقتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه: إن

السر إنما يكون بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، قال الآخر: نعم، فقاما جميعاً إلى الترجمان
بسكينيهما فقتلاه، واتفقا على قتال كسرى أبرويز.
ومما اتفق في أيامه من الحوادث يوم ذي قار، وسنذكره - إن شاء الله تعالى - في أيام العرب
ووقائعها، ولم نذكر في هذا الموضع يوم ذي قار على سبيل الإيراد له بل على سبيل التنبيه
عليه.
حيلة لأبرويز
على ملك الروم
قال: كان أبرويز وجه رجلاً من جلة أصحابه في جيش جرار إلى بلاد الروم، فنكأ فيهم،
وبلغ منهم، وفتح الشام، وبلغ الدرب في آثار الروم، فعظم أمره حتى خافه أبرويز، فكاتبه
لكتابين، يأمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يثق به، ويقبل إليه، ويأمره في
الكتاب الآخر أن يقيم بمكانه، وأنه لما تدبر أمره، وأجال الرأي لم ير من يسد مسده، ولم
يأمن الخلل إن غاب عن موضعه، وأرسل بالكتابين رسولاً من ثقاته وقال له: أعطه الكتاب
الأول بالأمر بالقدوم، فإن أجاب إلى ذلك فهو ما أردت، وإن كره وتثاقل عن الطاعة
فاسكت عليه أياماً وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله إليه ليقيم بموضعه.
فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيش ببلاد الشام فأوصل إليه الكتاب، فلما قراه
قال: إما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي، أو يكون قد اختلط عقله بصرف
مثلي وأنا في نحر العدو؛ فدعا أصحابه وقرا عليهم الكتاب فأنكروه. فلما كان بعد ثلاثة
أيام أوصل إليه الكتاب الثاني بالمقام وأوهمه أن رسولاً ورد به. فلما قرأه قال: هذا تخليط
ولم يقع منه موقعاً، ودس إلى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يخلي
الطريق لملك الروم حتى يدخل إلى بلاد العراق على غرة من كسرى، وعلى أن لملك الروم ما
يغلب عليه من دون العراق، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس، فأجابه ملك الروم إلى
ذلك وتنحى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة، وأخذ أفواه الطريق فلم يعلم كسرى حتى
ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا، وكسرى على غير استعداد، وجنده متفرقون في

أعماله. فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال: هذا وقت حيلة ومكيدة، لا وقت شدة،
وجعل ينكث الأرض ملياً، ثم دعا برق فكتب فيه كتاباً صغيراً بخط دقيق إلى صاحبه
بالجزيرة يقول فيه: ثم علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وأطماعهم في
نفسك، وتخلية الطريق حتى إذا تولج بلادنا أخذته من أمامه، وأخذته ومن ندبناه معك من
خلفه فيكون في ذلك بواره، وقد تم في هذا الوقت ما دبرناه، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا
وكذا، ثم دعا راهباً في دير بجوار مدينته وقال له: أي جار كنت لك، قال: أفضل جار،
فقال: قد بدت لنا إليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجل من أن يكون له إلي حاجة،
ولكن عندي بذل نفسي، فما يأمر به الملك؟ قال كسرى: تحمل لي كتاباً إلى فلان صاحبي،
قال نعم، قال كسرى: ستمر بأصحابك النصارى فأخفه، فلما ولى عنه الراهب قال له
كسرى: أعلمت ما في الكتاب؟ قال لا: قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه. فلما قرأه أدخله
في جيبه ثم مضى. فلما صار في عسكر الروم ونظر إلى الصلبان والقسيسين وضجيجهم
بالتقديس والصوات احترق قلب الراهب وأشفق عليهم وقال في نفسه: أنا شر الناس إن
حملت بيدي حتف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق؛ فصاح الراهب: أنا لم يحملني الملك
كسرى رسالة ولا معي كتاب، فأخذوه فودجوا الكتاب معه، وقد كان كسرى أيضاً وجه
رسولاً قبل ذلك وأمره أن يمر بعسكر الروم كأنه رسول إلى كسرى من صاحبه الذي وافق
ملك الروم ومعه كتاب فيه: إن الملك كان قد أمرني بمقاربة ملك الروم، وأن أخدعه وأخلي
له الطريق، فيأخذه الملك من أمامه وآخذه أنا من خلفه، وقد فعلت ذلك، فرأى الملك في
إعلامي وقت خروجه إليه. فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال: قد عجبت من
أن يكون هذا الفارسي معي على كسرى، ووافاه ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى
هزيمة الروم فأحب أن يخلي نفسه ويستر ذنبه. فلما قاته ما دبر خرج ملك الروم يقتل فيهم
ويأسر، فلم يسلم منهم إلا القليل.

هلاك أبرويز

قال: وكان سبب ذلك تجبره واحتقاره للعلماء وعتوه، وذلك أنه استخف بما لا يستخف به
الملك الحزم، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك، وبلغت خيله إلى
قسطنطينية وأفريقية، وكانت له اثنتنا عشرة ألف امرأة وجارية، وألف فيل إلا فيل واحد،
وخمسون ألف دابة، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك، وأمر أن يحصى ما جبى
من بلاده وسائر أبواب المال سنة ثماني عشرة من ملكه، فرفع إليه أن الذي جبى في تلك
السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم، وأمر أن يحول إلى بيت مال
بني بمدينة طيسفون من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباذ بن فيروز اثنتي عشرة ألف بدرة من
أنواه الجواهر وغير ذلك.
قال: فعتا وتجبر واستهان بالأنس والأحرار، وبلغ من جرأته أنه رأى رجلاً كان على حرس
باب الخاصة، يقال له: زاذان فروخ، فأمره أن يقتل كل مقيد في سجن من سجونه، فأحصوا
من بالسجون من المقيدين فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً، فلم يقدر زاذان فروخ على قتلهم، وتوقف
عن إمضاء أمر كسرى وأعد عللاً له فيما أمره به فيهم، فكان هذا أحذ الأسباب التي
كسب بها كسرى عماوة أهل مملكته مع وجود احتقاره إياهم، واستخفافه بهم، واطراحه
لعظمائهم.
ومن ذلك أنه سلط علجا، يقال له: فرخان زاذ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بعنف
وعذاب. ومن ذلك أنه أجمع على قتل الفيل الذين انصرفوا إليه من قبل هرقل، فأكدت هذه
الأسباب بغضه، واستطال الناس مدته، فكان نتيجة ذلك أن قوماً من العظماء انصرفوا إلى
عقر بابل، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته، وقد كان كسرى أبرويز وكل بهم مؤدبين
وأسورة، يحولون بينهم وبين من يجتمع بهم من الناس، ويمنعونهم من الراح، فأخذه العظماء
وأقبلوا به إلى مدينة بهر سير ودخلوها ليلاً، فخلى عمن كان في سجونها أخرجهم،
واجتمع إليه الفل الذيم كانوا غلبوا وفروا من هرقل وأمر كسرى بقتلهم، فنادوا: قباذ
شاهنشاه، وصاروا كلهم عند الصباح إلى رحبة كسرى، فهرب الحرس، وانحاز كسرى

بنفسه إلى باغ له بالقرب من قصره، يعرف بباغ الهندوان، فاراً مرعوباً، فأخذ وحبس
بمكان غير دار المملكة في دار رجل يقال له: ماراسفند، إلى أن قتل بعد حديث طويل
ومراسلات كانت بينه وبين ابنه شيري بمواطأة العظماء، بعد تقريع عظيم، وتوبيخ كثير،
على ما كان منه، ومن سوء تدبيره، وقبح فعاله، وهو يجيبهم بأجوبة إقناعية، وله
مراسلات ووصايا كتبها إلى ابنه من السجن؛ قد ذكرنا بعضها فيما سلف من هذا
الكتاب. وكان هلاكه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه. وبمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة
أشهر وخمسة عشر يوماً من ملكه، كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة إلى المدينة.
قال: ولما قبض على كسرى خلف في بيت المال من الورق أربعمائة ألف بدرة سوى
الكنوز والذخائر والجواهر والآلات.
وكان وزيره والقائم بتدبير بزرجمهر الحكيم. ولبزرجمهر هذا قضايا وحكم ومواعظ في
أيدي الناس. ويقال: إن بزرجمهر هذا إنما كان وزيراً لكسرى أنوشروان، وهو الذي قتله.
وذلك أن بزرجمهر ترك المجوسية ورجع إلى دين عيسى بن مريم عليه السلام ودان به، فقتله
كسرى لذلك. ويقال: إنه وجد في منطقته لما قتل كتاب فيه: إذا كان القدر حقاً فالحرص
باطل، وإذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموت نازلاً
فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.
قالوا: ولما بلغ بزرجمهر من العمر خمس عشرة سنة دخل على كسرى، وقد جلست
الوزراء على كراسيها والمرازبة في مجالسها، فوقف وحيا الملك بتحية الملوك ثم قال: الحمد
له المأمون نعمه، المرهوب نقمه، الدال عليه، بالرغبة إليه، المؤيد الملك، بسعوده في الفلك،
حتى رفع شأنه، وعظم سلطانه، وأنار به البلاد، وأنعش به العباد، وقسم به في التقدير،
وجوه التدبير، فرعى رعيته بفضل نعمته، وحماها الموبلات، وأوردها المعشبات، وذاد عنها
الأكالين، وألفها بالرفق واللين، إنعاماً من الله عليه، وتثبيتاً لما في يديه. وأسأله أن يارك له

فيما آتاه، ويخبر فيما استرعاه، ويرفع قدره في السماء، ويسير ذكره على وجه الماء، حتى لا
يبقى له بينهما مناوى، ولا يوجد له مساوي. واستوهب الله له حياة لا يتنغص فيها،
وقدرة لا يحيد أحد عنها، وملكاً لا بؤس فيه، وعافية تديم له البقاء، وتكثر له النماء؛
وعزا يؤمنه من انقلاي رعيته، أو هجوم بليت، فإنه مؤتى الخير، ودافع الشر.
فلما سمعه كسرى أمر فخشي فمه بنفيس الجواهر، ولم تمنحه حداثة سنه أن استوزره،
وقلده خيره وشره؛ فكان أول داخل، وآخر خارج. وكان أبوه خامل القدر، وضيع الحال،
سفيه المنطق، اسمه البختكان.
قال: ولما قبض على أبرويز ملك بعده ابنه: قباذ بن أبرويز ويعرف قباذ بشيرويه. وقباذ
هذا هو القابض على أبيه والقاتل له، وقتل سبعة عشر أخاً له، وقيل ثمانية عشر، ذوي
آداب وشجاعة؛ فكان عاقبة ذلك أن الله عز وجل ابتله بالأسقام فانتقض عليه بدنه، ولم
يلتذ بشيء من ملاذ الدنيا، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً؛ وكان يبكي حتى يرمي
التاج عن رأسه، وعاش ما عاش مهموماً حزيناً مدنفاً. وفي أيامه فشا الطاعون فأهلك أكثر
الفرس. وكان ملكه ثمانية أشهر، وقيل أكثر من ذلك.
وملك بعد وفاته ابنه أردشير بن شيرويه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من بيت الملك
غيره.
قال: ولما ملكته الفرس عليها حضنه رجل يقال له: مها ذرجشنس، فاحسن سياسة
الملك. وكان شهر براز المقيم يثغر الروم في جند ضمهم إليه كسرى أبرويز وابنه شيرويه،
وكانا يكتبان إليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان برأيه. فلما مات شيرويه
وملكت الفرس عليها ابنه أردشير - مع حداثة سنه - لم يشاوره عظماء الفرس في ذلك،
فعظم عليه انفرادهم عنه، وجعل ذلك ذنباً لهم، وبسط يده وطمع في الملك، واستهان
بعظماء الفرس، ودعا الناس لنفسه، وأقبل بجنده نحو المدائن، فعمد مهاذر جشنس إلى
مدينة كيسبون، فحصنها وحول أردشير ومن بقي من نسل الملوك ونسائهم والأموال

والخزائن والكراع وغير ذلك إليها؛ فورد شهربراز إلى مدينة طيسبون وحاصرها ونصل
عليها المجانيق، فعجز عنها لحصانتها، فأخذ في أعمال المكايد والحيل، فلم يزل يتلطف برجل
يقال له: بيوخسرو ويراسله هو وغيره، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها، وقتل جماعة من
الرؤساء واستصفى أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه. وكان ملمه سنة ونصفاً، وقيل: إنما
ملك نصف سنة؛ وقيل: خمسة أشهر.
وملك بعده شهر براز، وقيل فيه: شهريار، ولم يكن من أهل بيت المملكة.
قال: ولما جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه، وبلغ من شدة ذلك عليه انه لم يقدر
على إتيان الخلاء؛ فدعا بالطست، فوضع أمام ذلك السرير، ومد أمامه ما يستتر به، وبقي
يتبرر في ذلك الطست.
قال: ثم امتعض رجل يقال له: فسفروخ ين ماخرشيذان وأخوان له من قتل شهر براز
أردشيرين شيرويه وغلبته على الملك، فتخالفوا على قتله. وكان من السنة إذا ركب الملك
أن يقف له حرسه سماطين عليهم الدروع والبيض، وبأيديهم السيوف والتراس والرماح؛ فإذا
حاذاهم الملك وضع كل واحد منهم ترسه على قريوس سرجه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة
السجود.
قال: واتفق ركوب شهر براز في بعض الأيام فوقف فسفروخ وأخواه وهم بالقرب من بعضهم
بعضاً، فلما حازاهم شهر براز طعنه فسفروخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابته، فشدوا
رجله بحبل وجروه إقبالاً وإدباراً ساعة، وساعدهم العظماء على ذلك، وقتلوا جماعة ممن
كان قد ساعد شهر براز على قتل اردشير. فكان ملكه أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً.
وملكت بعده بوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها: بوران دخت.
قال: فأحسنت السيرة وبسطت العدل، وأمرت برقم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعث
من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت إلى الناس عامة كتباً تعلمهم منا هي عليه من
الإحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهية والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ
الثغور ما يعلمون أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا ببأسهم تستباح العساكر، ولا

بمكائدهم ينال الظفر وتطفا النوائر؛ ولكن ذلك بالله عز وجل، وحسن النية واستقامة
التدبير. وأمرت بالمناصحة وحسن الطاعة وردت خشبة الصليب على ملك الروم. وكان
ملكها سنة وأربعة أشهر. ثم ملك رجل يقال له: جشنسدة وهو ابن عم أبرويز، وكان
ملكه أقل من شهر، وقيل: إن الذي يزدجرد بن كسرى وهو طفل.
ثم ملكت بعده آرميدخت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجمل نساء دهرها، وكان
عظيم فارس يومئذ فرخ هرمز أصبهبذ خراسان؛ فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها
فأرسل إليه: التزويج للملكة غير جائز، وقد علمت أن أريك فيما ذهبت إليه قضاء
حاجتك مني؛ فصر إلي ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها في تلك الليلة، وتقدمت إلى
صاحب حرسها أن يرصده في الليلة التي تواعدا للالتقاء فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده
صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجر برجله وطرحه في رحبة دار الملك.
فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغييب جثته فغيبت.
وكان رستم بن فرخ هرمز هذا - وهو رستم صاحب القادسية - عظيم البأس، قوياً في
نفسه، فلما بلغه ما صنع بابيه أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن؛ فقبض على آزرميد
وسمل عينيها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها ستة أشهر.
واختلف فيمن ملك بعد آزرميد، فقيل رجل من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز
يقال له: كسرى بن مهرجشنس، فلبس التاج وقتل بعد أيام.
ويقال: بل كان رجل يسكن
ميسان يقال له فيروز، فملكوه كرهاً. وكان ضخم الرأس، فلما توج قال: ما أضيق هذا
التاج! فتطير العلماء من افتتاح الأمر بالضيق وقتلوه. ثم أتى برجل من أولاد كسرى كان
قد لجأ إلى موضع من الغرب بالقرب من نصيبين، يقال له حصن الحجارة حين قتل شيرويه بن
كسرى أبرويز إخوته، وهو فرخ زاباذ خسرو بن كسرى أبرويز، فانقاد الناس له طوعاً زماناً
يسيراً ثم استعصوا عليه وخالفوه. وكان ملكه ستة أشهر، وكان أهل اصطخر قد ظفروا

بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز باصطخر، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته. فما
بلغ عظماء أهل اصطخر أن من بالمدائن خالفوا الملك فرخ زاذ خسرو أتوا يزدجرد ببيت
نار أردشير، فتوجوه هناك وملكوه، وكان حدثاً ثم أقبلوا به إلى المدائن وقتلوا فرخ زاذ
خسرو بحيل احتالوها عليه.
وملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان بن بهرام بن
يزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك، فملك وكان العظماء والوزراء
يدبرون الملك لحداثة سنه، وهو آخر الملوك الساسانية وعليه انقرضت دولته، فلم تقم لهم
قائمة، وتردد إلى بلاد خراسان وإلى بلاد الترك، وعاد فقتل بمرو من بلاد خراسان في سنة
إحدى وثلاثين ن الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله.
وكانت مدة ملك بزدجرد منذ ملك وإلى أن قتل عشرين سمة، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها
مع الملوك؛ لأنه كان مشرداً طريداً على ما نذكر أخباره مفصلة، وكيف فتحت بلاده ومدنه
بلداً بلداً، ومدينة مدينة في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما.
فعدة ملوك الفرس الأول والساسانية على هذا المساق الذي ذكرناه اثنان وخمسون ملكاً
منهم ثلاث نسوة. فالفرس الأول عشرون ملكاً منهم امرأة واحدة. والملوك الساسنية اثنان
وثلاثون ملكاً فيهم امرأتان. وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكاً، وأن مدة
ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهوراً. والله أعلم.
ملوك اليونان وأنسابهم
قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم ينتمون إلى الروم ويضافون إلى ولد
إسحاق؛ وقالت طائفة: إن يونان هو ابن يافث بن نوح. وقال آخرون: إنه يافث بن الأصغر.
وذهب قوم إلى انهم من ولد أوراش بن ماذان ابن سام ين نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من
قبيل متثدم في الزمن الأول.
وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن شالخ، وأن أمره في
الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب، وانه خرج من أرض

اليمن. وكان يونان جباراً عظيماً، وسيماً جسيماً. وكان جزل الرأي، كبير الهمة، عظيم
القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي في نسب يونان أنه أخ لقحطان، ورد عليه
أبو العباس عبد الله بن خمد الناشئ في قصيدته حيث قال:
أبا يوسف إني نظرت فلم أجد على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكيماً عند قوم إذا امرؤ بالهم جميعاً لم يجد عندهم عهدا
أتقرن إلحاداً بدين محمد لقد جئت شيئاً - ياأخا كندة - إدا
وتخلط قحطاناً بيونان ضلة لعمري لقد باعدت بينهما جدا
قيل: ولما كثر ولد يونان خرج يطلب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من الغرب، فأقام به
هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل وصيته إلى الأكبر من ولده
واسمه جريبوش، وأوصاه بأولاده ونسله، ومات وبقي ابنه على مكانه، وكثر نسلهم على
باد الغرب من الفرنجة والنوكبرد والصقالبة وغيرهم.
وذكر بطليموس في كتابه: أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيلبس وتفسيره محب
الفرس، وقيل اسمه نفليص، وقيل فيلفوس. وكانت مدة ملكه سبع سنين.
ثم ملك بعده ابنه الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضر رضي الله عنه.
والإسكندر هذا الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس، ونثر عقد مملكة فارس، وقرر ملوك
الطوائف فيما ذكرناه.
وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدي الإتاوة إلى ملوك الفرس منذ دوخ
بختنصر البلاد، وذلل لهم الملوك على منا ذكرناه آنفاً في أخبار الفرس، ولا حاجة إلى
إعادته.
قالوا: وكان فيلبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل سنة. فلما
ولي الإسكندر وظهر أمره، وكان بعيد الهمة، فامتنع أن يؤدي إلى دارا الخراج الذي كان
يحمله أبوه إليه، فأسخط دارا ذلك، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه بتركه حمل ما كان أبوه
يحمله من الخراج وقال في كتابه: إنما دعاك إلى حبس ذلك الصبا والجهل، وبعث إليه
بصولجان وكرة وبقفيز من السمسم. يعلمه بذلك أنه ويعلمه أنه لم يقتصر على ما أمره به

وتعاطى الملك بعد أن أمره باعتزاله بعث إليه بمن يأتيه في وثاق. وان عدة جنوده الذين
يبعث بهم إليه كعدة حب السمسم الذي بعث به إليه.
فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك: أنه قد فهم ما كتب به، ونظر إلى ما أرسله إليه من
الصولجان والكرة وتيمن به لإلقاء الملقي الكرة إلى الصولجان وإحرازه إياها، وأنه شبه
الأرض بالكرة، وتفاءل بملكه إياها واحتوائه عليها، وأنه يجتر ملك دارا إلى ملكه، وبلاده
إلى حيزه؛ وأنه نظر إلى السمسم الذي بعث به كنظره إلى الصولجان والكرة لدسمه وبعده
عن المرارة والحرافة، وبعث إلى دارا مع كتابه بصرة من خردل، وأعلمه في الجواب أن ما
بعث به إليه قليل، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوة والحرافة والمرارة، وأن جنوده
فيما وصف به منه.
فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر، جمع جنده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده،
وتأهب الإسكندر أيضاً للقائه وسار نحو دارا، فالتقيا جميعاً بأرض الجزيرة واقتتلا سنة،
وقد كان دارا ملة قومه وأحبوا الراحة منه، فلحق كثير من وجوه فارس بالإسكندر
وأطلعوه على عورة دارا وقووه عليه، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه إلى
الإسكندر، فلما أتوه بها أمر بقتلهما وقال: هذا جزاء من تجرأ على ملكه.
وقد ذكر أنه سيق إليه أسير غدر به صاحب شرطته، فقال له الإسكندر: بما اجترأ
عليك صاحب شرطتك؟ قال: بتركي ترهيبه وقت إساءته، وإعطائي إياه وقت الإحسان
باليسير من فعله نهاية رغبته، فقال الإسكندر: نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة
الترغيب بالأموال، وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة ثم أمر الإسكندر بقتله.
وقد قيل: إنه لما هزمه الإسكندر فر جريحاً فخرج في طلبه في ستة آلاف حتى أدركه، ثم
لم يلبث دارا أن هلك، فأظهر الإسكندر عليه الحزن ودفنه في مقابر الملوك.
وقيل: إن الإسكندر كان قد نادى ألا يقتل دارا وان يؤسر. فلما علم الإسكندر بما تم
على دارا سار حتى وقف عنده فرآه يجود بنفسه فنزل الإسكندر عن دابته وجلس عند

رأسه، وأخبره أنه ما أمر بقتله، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه. وقال: سلني ما بدا لك
فإني أسعفك به، فقال له دارا: لي إليك حاجتان: إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين
قتلاني وسماهما له، والأخرى أن تتزوج ابنتي روشنك، فأجابه إلى ذلك، وأمر بصلب
الرجلين اللذين فتكاً بدارا. ويقال: إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعلا ذلك عن رأي
الإسكندر، وأنه كان شرط لهما شرطاً على قتله، فلما طعناه دفع إليهما ما كان شرطه
لهما ثم قال: قد وفيت لكما بالشرط ولم تكونا شرطتما لأنفسكما وأنا قاتلكما لا محالة،
فإنه ليس ينبغي لقتلة الملك أن يسبقوا إلا بذمة لا تخفر، فقتلهما وصلبهما.
ويقال إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسول
فيتوسط العسكر ويعرف كثيراً مما يحتاج إليه، فكان دارا يستحسن سمته، ويحسن صلته
ومجازاته، ثم اتهمه، وأحس الإسكندر بذلك فما عاد إليه بعدها.
مكايد الإسكندر
وحيله في حروبه
من ذلك أنه لما التقى بدارا يوم الحرب أمر مناديه فنادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما
كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما
ضمناه فاتهمت الفرس بعضها بعضاً، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم.
ومن ذلك أنه لما شخص عن فارس إلى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من
الهنود ومعه ألف فيل عليها المقاتلة بالسلاح وفي خراطيمها السيوف والعمد، فلم تقف لها
دواب الإسكندر وفوت فكانت الهززيمة عليه، فلما بلغ الإسكندر مأمنه أمر باتخاذ فيلة
من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها، ثم أمر فملئت نفطاً وألبسها
الدروع وجرت على العجل، وعاود حرب الهند، وجعل بيم كل تمثالين جماعة من
أصحابه. فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أجواف تلك التماثيل وانكشف
أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند، فخرجت النيران من خراطيم التماثيل فولت الفيلة

مدبرة ورجعت على أصحابها، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم قور.
ومما يحكى عنه أنه نزل على مدينة حصينة فتحصن فيها أهلها، فتعرف خبرها فقيل له:
إن فيها من الميرة ما يكفيهم زمناً طويلاً، وإن بها نم العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه،
فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متنكرين، فدخلوها وأمدهم بالأموال الكثيرة، وأمرهم
أن يبتاعوا الأقوات ويغالوا في أثمانها، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها. فلما علم
الإسكندر بذلك كتب إليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وان يهربوا، ففعلوا كما
أمرهم، وعاد إلى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة. وكان
إذا أراد أن يحاصر مدينة شرد من حولها من أهل القرى وتهددهم بالسبي فلجأوا إلى
المدينة ويعتصموا بها، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في
الميرة فيحاصرهم حينئذ فيفتح المدينة.
ومما يحكى عنه أنه كتب إلى معلمه أرسطاطاليس، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من
أموره، ويقتدى بآرائه، ويعمل بما يشير به عليه ولاي عدل عنه. وأرسطاطاليس هذا هو
تلميذ أفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط.
ويحكى عن أفلاطون انه كان يصور له صورة إنسان لم يره قط ولا عرفه فيقول: صاحب
هذه الصورة من أخلاقه كذا، ومن هيئته كذا، فيكون الرجل كما اخبر عنه، فيقال: إنه
صور له صورة نفسه، فلما عاينها قال: هذا رجل محب في الزنا فقيل له: إنها صورتك،
فقال: نعم أنا كذلك، ولولا أني أملك نفسي لفعلت وغني لمحب فيه.
نرجع إلى أخبار الإسكندر فيما كتب به أرسطاطاليس وما أجابه به قالوا: إنه كتب إليه
يخبره أن في عسكره من الروم جماعة من خاصته لا يأمنهم على نفسه لما يرى من بعد
هممهم في شجاعتهم وكثرة آلتهم. وأنه لا يرى لهم عقولاً تفي بتلك الفضائل التي تمنعهم من
الإقدام والجرأة عليه، وأنه يكره الإقدام عليهم بالقتل بمجرد الظنة مع وجوب الحرمة.
فكتب إليه أرسطاطليس: قد فهمت كتابك، وما زصفت به أصحابك. أما ذكرت من

بعد هممهم فإن الوفاء من بعد الهمة. وأما ما ذكرت من شجاعتهم ونقص عقولهم عنها،
فمن كانت هذه حاله فرفهه ف معيشته واخصصه بحسان النساء، فإن رفاهية العيش
توهن العزم، وتحبب السلامة، وتباعد من ركوب الخطر والغرر، وليكن خلقك حسناً
تخلص إليك النيات، ولا تتناول من لذيذ العيش بغضة. واعلم أن المملوك إذا اشترى لم
يسال عن مال مولاه، وإنما يسأل عن خلقه.
وكتب إليه الإسكندر بعلمه أنه شاهد بإيران شهر رجالاً ذوي أصالة في الرأي، وجمال في
الوجوه، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة، وأه رأى لهم هيئات وخلقاً لو كان عرف حقيقتها
لما غزاهم، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق والبخت، وأنه لا باس إذا ظعن عنهم وتوبهم ولا
تسكن نفسه إلا ببوارهم.
فكتب إليه أرسطاطليس: فهمت كتابك في رجال فارس؛ فأما قتلهم فهو من الفساد في
الأرض، ولو قتلتهم لأنبتت أرض فارس أمثالهم، لان إقليم بابل يولد أمثال هؤلاء الرجال من
أهل العقل، والسداد في الرأي، والاعتدال في التركيب؛ فصاروا أعداءك وأعداء عقبك
بالطبع، لأنك تكون قد وترت القوم وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم وممن بعدهم،
وإخراجك إياهم في عسكرك مخاطرة بنفسك وأصحابك؛ ولكني أشير عليك برأي هو
أبلغ لك في كل ما تريد من القتل وغيره، وهو ا، تستدعي أولاد الملوك منهم وممن يستصلح
للملك ويترشح له، فتقلدهم البلدان وتوليهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكاً برأسه،
فتتفرق كلمتهم، ويجتمعوا على الطاعة لك، ولا يؤدي بعضهم إلى بعض طاعة، ولا يتفقوا
على أمر واحد، ولا تجتمع كلمتهم. ففعل الإسكندر ذلك، فتم أمره وأمكنه أن يتجاوز
أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة. ثم صار إلى
أرض الصين وطاف مما يلي القطب الشمالي ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشهرزور،
ويقال: بل في قرية من قرى بابل. وكان عمره ستاً وثلاثين سنة. وفي بعض النسخ ثلاثاً
وثلاثين سنة. وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهوراً.
وقيل: سبعة عشر سنة، وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه.

قال: وبنى الإسكندر اثنتي عشرة مدينة وسماها كلها الإسكندرية منها: مدينة جي
بأصبهان، وثلاث مدن بخراسان وهي: هراة ومرو وسمرقند. وبنى بأرض بابل مدينة
لروشنك. وبنى بأرض يونان سبع مدن.
ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر: أنه من ولد دارا الأكبر، وأنه أخو دارا الاصغر،
وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج ببنت ملك الزنج هلاي، فلما حملت منه استخبث
ريحها، فأمر أن تحتال لذلك، فكانت تغتسل بماء السندروس فأذهب ذلك كثيراً من دفرها،
ثم عافها وردها إلى أهلها وقد علقت سنه بالإسكندر فقيل له الإسكندروس. هذا ما
نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكمامة الزهر وصدفة الدر قال: واختلف في
مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه أنه كان قبل الهجرة بتعسمائة سنة، وثلاث وثلاثين سنة.
وذكر أبو محمد ابن قتيبة في كتاب المعارف: أن بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة. والله أعلم
بالصواب.
ذكر شيء من أخبار الإسكندر
وما اتفق له مع ملطي الهند والصين
فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون: إن الإسكندر لما دوخ البلاد وقهر
الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير. فلما دانت له
ملوك الهند بلغه أن بأقاصي ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة وإنصاف لرعيته،
وأنه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند كان، وأنه قاهر لنفسه
مانع لها من الشهوة الغضبية، فكتب إليه الإسكندر كتاباً يقول فيه: أما بعد، فإذا أتاك
كتابي هذا فإن كنت قائماً فلا تقعد، وإن كنت ماشياً فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي،
وإلا مزقت ملكك وأحقتك بمن مضى من ملوك الهند من قبلك.
فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب، وخاطبه بملك الملوك، وأعلمه أنه قد
اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها: فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن
منها؛ وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته، واعتداله في

بنيته، واتساعه في علمه؛ وطبيب لا يخشى عليه معه داء ولا شيء من العوارض إلا ما
يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا
الجسم الحسي، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نصبا في هذا العالم غرضاً للآفات
والحتوف والبلايا؛ وقدح إذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شيء، وإني
منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه.
فلما قرأ الإسكندر كتابه قال: كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي
أحب إلي من ألا تكون عندي ويهلك. فأنف إليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين
والروم في عدة من الرجال وتقدم إليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إلي فاحملوا ذلك
إلى عندي واتركوه في موضعه، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك، وأنه أخبر عن الشيء
على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلي.
فلما انتهوا إلى مملكة
الملك خرج إليهم وتلقاهم بأحسن لقاء، وأنزلهم بأحسن منزل.
فلما كان في اليوم الثالث
جلس لهم مجلساً خاصاً للحكماء دون من كان معهم من المقاتلة. فقال بعضهم لبعض: إن
صدقنا في الأول صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر.
فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثاً في أصول العلوم
الفلسفية وفروعها، وعلى كم فن يحتوي العلم الفلسفي في أصوله، وإلى كم يتفرع.
قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله -: وقد ذكر أن العلم الفلسفي ينقسم
على أربعة أنواع: أحدها الرياضيات، والثاني المنطقيات، والثالث الطبيعيات، والرابع
الإلهيات. قال:
فأما الرياضيات فأربعة: الواحد علم الحساب، والثاني علم الهندسة، والأصل فيه النقطة،
وهي فيه كالواحد في علم الحساب، والثالث علم النجوم، والرابع علم الموسيقى، وهو علم
تأليف الألحان.
وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع: الواحد معرفة صناعة الشعر، وأنواع البديع كالتكافؤ
والتفريع والحشو والتتبع والتسميط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والاستعارة والتبليغ

والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والاستطراد والتسهيم والإحالة
والتتميم. والثاني معرفة صناعة الخطابة. والثالث صناعة الجدل. والرابع صناعة
البرهان. والخامس صناعة المغالطين في المناظرة والجدل.
وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع: الواحد علم المبادئ الجسمانية، وهي خمسة أشياء:
الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة. والثاني علم السماء والأرض، وهو معرفة ماهية
جواهر الأفلاك والكواكب وكيفيتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها، وهل تقبل الكون كما
تقبل الأركان الأربعة التي دون فلك القمر أو لا، وما علة حركات الكواكب واختلافها في
السرعة والإبطاء، وما علة سكون الأرض في وسط الفلك في المركز، وهل خارج العالم
جسم آخر أم لا. وهل في الكون والفساد موضع لاشيء فيه، وما شاكل هذه المباحث.
والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان الأربعة التي هي النار والهواء
والماء والأرض. والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها
ومطارح شعاعاتها على الأركان الأربعة وانفعالاتها بعضها ببعض بقدرة الله تعالى.
والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض والعصارات
المتحللة من الهواء. والسادس علم النبات على اختلاف أنواعه في هيآته وأشكاله
واختلاف صموغه وطعومه وخواصه وروائحه ومنافعه ومضاره.
السابع علم الحيوان،
وهو معرفة كل جسم يغتذي ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه، وما شاكل كل
ذلك مما ينسب إلى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور
والحرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات.
وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع؛ أولها: معرفة الباري سبحانه وتعالى بجميع صفاته، وأنه
أول كل شيء، والخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء، وأنه ليس كمثله شيء. والثاني علم
الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية، وهي الصورة المجردة من الهيولى المستعملة
للأجسام المطهرة، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض، وقبض بعضها عن بعض، وهي أفلاك

روحانية تحيط بأفلاك جسمانية. والثالث علم النفوس والأرواح السارية ي الأجسام
الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض. والرابع علم السياسة
العامية والسياسة الخاصية والسياسة الذاتية. فأما السياسة النبوية فالله تبارك وتعالى
يختص بها من يشاء من عباده ويهدي لأتباعهم من يشاء لا معقب لحكمه، لا يسال عما
يفعل وهم يسألون.
وأما السياسة الملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر. وأما السياسة العامية فهي الرياسات على الجماعات كرياسة الأمراء
على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور وإتقان
التدبير. وأما السياسة الخاصية فهي معرفة كل إنسان بنفسه، وتدبيره أمر غلمانه وأولاده،
ومن يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان. وأما السياسة الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان
أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزمها بزمام عقله، وغضبه فيردعه وما شاكل ذلك.
والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية انبعاث الأرواح وقيام الأجسام وحشرها
للحساب يوم الدين، ومعرفة حقيقة جزاء المحسنين وعقاب المسيئين.
نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر، قال: ولما تكلم مع الحماء اليونانيين
في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية إليهم، فلما ظهرت لأبصارهم لم
يقع طرف كل واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى ببصره إلى غير ذلك العضو
اشتغالاً بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم، ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا
سلطان هواهم، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وصرفهم، وبعث بالفيلسوف
والطبيب والجارية والقدح معهم.
فلما وردوا على الإسكندر أمر بإنزال الفيلسوف والطبيب، ونظر إلى الجارية فحار عند
مشاهدتها، فأمر قيمة الجواري بالقيام عليها، ثم صرف همته إلى الفيلسوف والطبيب وإلى
علم ما عندهما، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من المباحث في العلوم

الفلسفية، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يعللها
في معلولاتها، وما يصفه اليونانيون أيضاً من عللها في معلولاتها على حسب ما قدمت من
أوضاعها، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما خبر عنه، فأجال فيما يختبره به، فدعا
بقدح فملاه سمناً ولم يجعل للزيادة عليه موضعاً، ورفعه لرسول وقال: احمل هذا إلى
الفيلسوف ولا تكلمه بشيء، فلما دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة فغرزها في السمن
وصرفه إليه، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبر كرة متساوية الأجزاء وردها إليه، فأمر
الفيلسوف ببسطها وجلائها حتى صارت جسماً ترد صورة مقابليها لصفائها وردها إلى
الإسكندر، فدعا بطست وجعل تلك المرآة فيه وصب عليها الماء حتى غمرها وردها
إليه، فأخذها الفيلسوف وعمل منها طرجهالة طافية على إملاء وصرفها إليه، فملأها
الإسكندر وردها غليه، فلما نظر الفيلسوف إلى التراب تغير لونه وبكى ثم ردها إلى
الإسكندر ولم يضع فيها شيئاً.
فلما كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوساً خاصاً ودعا بالفيلسوف، ولم يكن رآه
قبل ذلك اليوم، فلما أقبل نظر الإسكندر من الفيلسوف إلى رجل طويل الجسم رحب
الجبين معتدل البنية فقال في نفسه: هذه بنية تضاد الحكمة، فإذا اجتمع له حسن الصورة
والفهم كان أوحد زمانه، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه
وأسرع نحو الإسكندر وحياه بتحية الملك، فأشار إليه بالجلوس وقال: لم أدرت إصبعك
حول وجهك ووضعتها على أرنبة أنفك؟ علمت أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حسن
صورتي وإتقان بنيتي قلما تجتمع هذه الخلقة مع الحكمة، وإذا كان على هذا كان صاحبها
أوحد زمانه، فأريتك مصداقاً لما سنح لك أنه كما ليس لك في الوجه إلا أنف واحد
فكذلك ليس في ديار الهند على هذه الصفة أحد غيري.
فقال الإسكندر: حسن ما أتيت به! فما بالك حين بعثت إليك بالقدح السمن غرزت فيه
الإبر وزرددته؟ قال الفيلسوف: علمت أنك تقول إن قلبي قد امتلأ علماً فليس لأحد فيه

مستزاد، فأعلمتك أن علمي سيزيد فيه كما زادت هذه الإبر في هذا السمن. قال: فما
بالك حين عملت لك الإبر كرة صنعت منها مرآة صقيلة وصرفتها إلي؟ قال الفيلسوف:
علمت أنك تقول إن قلبي قد قسا من سفك الدماء واشتغل بهذا العالم فلا يقبل العلم ولا
يرغب فيه، فأخبرتك ني سأعمل الحيلة في ذلك، كما جعلت من الكرة مرآة مورية
للأجسام. قال: فما بالك حين جعلتها لك في الطست وصببت عليها الماء جعلتها
طرجهالة طافية على الماء؟ قال الفيلسوف: علمت أنك تقول إن الأيام قد قصرت والأجل
قريب، ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل، فأخبرتك أني سأعمل الحيلة فيه في غير مدة
طويلة، كما جعلت هذه المرآة طافية في أسرع وقت. قال: فما بالك حين ملأت ذلك الإناء
تراباً رددته إلي ولم تحدث فيه شيئاً؟ قال: علمت أنك تقول: ثم الموت، وأنه لا بد منه،
فأخبرتك أن لا حيلة في ذلك. قال الإسكندر: قد أجبتني على مرادي في جميع ذلك
ولأحسنن إلى الهند من أجلك، وأمر له بجوائز كثيرة. فقال له الفيلسوف: لو أحببت المال
لما كنت عالماً، ولست أدخل على علمي ما يضاده، فإن القينة توجب الخدمة، وقد ملكت
أيها الملك الرحيم بسيفك أجسام رعيتك فأملك قلوبهم بإحسانك فهو خزانة سلطانك،
واحذر العامة فإنها إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاحترز من أن تقول تأمن أن تفعل،
فالملك السعيد من ملك الرعية بالرغبة والرهبة، وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال
بارئهم الإحسان، فحيره الإسكندر في المقام معه، أو الإنصراف إلى بلاده، فاختار الرجوع
إلى موضعه.
وأما القدح فملاه ماءً ثم أورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئاً، فيقال إنه كان
معمولاً من خواص الهند الروحانية مما تدعيه الهند، ويقال إنه كان لآدم أبي البشر عليه
السلام، مبارك له فيمه حين كان بأرض سرنديب، فورث عنه إلى أن انتهى إلى هذا الملك
الهندي.
وأما الطبيب فإنه كان له معه بنظرات دلت على ثبوت قدمه في علمه، وأنه كما وصف

صاحبه أوكاد. هذا خبره مع ملك الهند.
وأما خبره مع ملك لاصين؛ قال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم
بتجارب الأمم: وفي الرواية الصحيحة أن الإسكندر لما انتهى إلى بلاد الصين أتاه حاجبه
وقد مضى من الليل شطره فقال: هذا رسول ملك الصين بالباب يستأذن في الدخول عليك،
قال: أدخله، فأدخله فوقف بين يدي الإسكندر وسلم ثم قال: إن رأى الملك أن يستخليني
فعل، فأمر الإسكندر من بحضرته أن ينصرفوا، فانصرفوا كلهم عنه وبقي حاجبه فقال: إن
الذي جئت له لا يحتمل أن يسمعه غيرك، فأمر الإسكندر أن يفتش ففتش، فلم يجد معه
سلاحاً، فوضع بين يديه سيفاً مسلولاً وقال له: قف مكانك وقل ما شئت، وأخرج الحاجب
ومن كان قد بقي عنده، فلما خلا المجلس قال له: أنا ملك الصين لا رسوله، جئت لأسألك
عما تريد، فإن كان مما يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته وأغنيتك عن الحرب،
فقال له الإسكندر: وما الذي آمنك مني؟ قال: علمي بأنك عاقل حكيم، ولم تك بيننا
عداوة ولا مطالبة بذحل، وأنك تعلم أنك إن قتلتني لم يكن ذلك سبباً لتسليم أهل الصين
إليك ملكهم، لوم يمنعهم قتلي من أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيري ثم تنسب أنت إلى غير
الجميل وضد الحزم. فأطرق الإسكندر وعلم أنه رجل عاقل، ثم قال له: إن لاذي أريد
منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاع مملكتك لكل سنة. قال: هل غير
هذا؟ قال لا، قال: قد أجبتك، ولكن سلني كيف تكون حالك، قال: كيف تكون؟ قال:
أكون أول قتيل محارب، وأول أكيلة مفترس. قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنتين. قال:
أكون أصلح قليلاً وأفسح مدة. قال: فإن قنعت بارتفاع سنة. قال: يكون في ذلك بقاء
ملكي، وذهاب لجميع لذتي. قال: قنعت منك بثلث الارتفاع كيف تكون خالك؟ قال:
يكون السدس للفقراء ومصالح العباد، ويكون الباقي لجيشي ولسائر أسباب الملك. قال
الإسكندر: قد اقتصرت منك على هذا، فشكره وانصرف.
فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبق الأرض وأحاط بجيش الإسكندر حتى

خافوا الهلاك، وتواثب أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب بعد الأمن والطمأنينة إلى
السلم، فبينما هم كذلك كلع ملك الصين وهو راكب وعليه التاج، فلما تراءى الجمعان نظر
الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للحرب، فصاح به: أغدرت؟ فترجل ملك الصين
وقال: لا والله، قال: فادن مني فدنا منه، فقال له الإسكندر: ما هذا الجيش الكثير؟ فقال:
إني أردت أن أريك أني لم أطعك من قلة وضعف، ولكني رأيت العالم العلوي مقبلاً عليك
ممكناً لك ممن هو أقوى منك واكثر عدداً، ومن حارب العالم العلوي غلب، فأردت طاعته
بطاعتك، والتذلل له بالتذلل لك، فقال الإسكندر له: ليس مثلك من يسام الذل، ولا من
يؤدي الجزية، فما رأيت بيني وبين الملوك من يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك، وقد
أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك. فقال ملك الصين: ولست تخسر إذا
ثم انصرف عنه الإسكندر. فبعث إليه ملك الصين بضعف ما قرر معه وانصرف عن
الصين.

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

قال: لما توفي الإسكندر جعل في تابوت من الذهب، واجتمع الحكماء فتقدم الأول فقال: قد
كان الإسكندر يخبأ الذهب، وقد أصبح الآن يخبؤه الذهب. وتقدم الثاني إليه والناس
يبكون ويجزعون فقال: حركنا بسكونه. وتقدم الثالث إليه فقال: قد كان يعظنا في حياته،
وهو اليوم أوعظ منه أمس. وتقدم إليه الرابع فقال: قد جاب الأرضين وسلكها، ثم حصل
منها في أربعة قوائم.
ووقف عليه الخامس فقال: انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى ظل الغمام كيف
انجلى، ووقف عليه السادس فقال: قد أمات هذا الميت كثيراً من الناس لئلا يموت، وقد
مات الآن. ووقف عليه السابع فقال: مالك لا تقل عضواً من أعضائك، وقد كنت تستقل
بملك العباد. وقال الثامن. وثال التاسع: كان لا يقدر عنده على الكلام، واليوم لا يقدر
عنده على الصمت. وقال العاشر: قد كان غالباً فصار مغلوباً، وآكلاً فصار مأكولاً. وقال

الحادي عشر: ما كان أقبح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم! وقالت بنت
دارا: ما كنت أحسب أن غالب أبي يغلب. وقال رئيس الطباخين: قد نضدت النضائد،
وألقيت الوسائد، ونصبت الموائد، ولست أرى عميد القوم.
قال: ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه من بعده فأباه واختار العبادة والنسك.
فملك بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس، وهذه التسمية لكل من ملك اليونان
ككسرى للأكاسرة من الفرس، وقيصر للروم، وخاقان للترك، وطرخان للخزر، والنجاشي
للحبشة.
قال: وكان بطليموس هذا شاباً مدبراً حكيماً عالماً. وكان ملكه أربعين سنة، وقيل
عشرين سنة، وقيل إنه أول من اقتنى البزاة وضراها ولعب بها.
ثم ملك بعده لطليموس الثاني، وهو الذي يقال له: محب الأخ، واسمه هيقلوس، وكان ملكه
ستاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده بطليموس محب الأب، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة.
ثم ملك بعده بطليموس، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي. فكان ملكه
أربعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده بطليموس محب الأم. فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة.
ثم ملك بعده بطليموس الصائغ. فكان ملكه سبعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني. فكان ملكه اثنتي عشرة سنة.
ثم ملك بعده بطليموس الحديدي. فكانت مدة ملكه ثمانين سنة.
ثم ملك بعده بطليموس الجوال. فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة، وقيل أقل من ذلك.
ثم ملك بعده بطليموس الحرب. فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.
ثم ملكت بعده ابنته قلوبطرة، وكانت حكيمة مفلسفة معظمة للحكماء، ولها كتب مصنفة
في الطب والزينة وغير ذلك، مترجمة باسمها ومنسوبة إليها، وكان زوجها بطليموس ويسمى
أنطونيوس مشاركاً لها في ملك مقدونية وهي مصر.
فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيد عليهم ملك رومية وهو أغسطس، فسار
إليها، وكان له مع الملكة قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة، فقتل زوج قلوبطرة، فأراد ملك الروم

أن يتزوجها لعلمه بحكمتها وليتعلم منه فراسلها فعلمت مراده منها، فطلبت حية تكون
بالحجاز ومصر والشام، وهي نوع من الحيات تراعي الإنسان حتى إذا نظرت إلى عضو من
أعضائه قفزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك العضو بعينه حتى تثفل عليه سماً فيموت لوقته
ولا يعلم ما خبره، فيتوهم الناس أنه مات فجأة حتف أنفه.
فاحتملت لها. فلما كان في
اليوم الذي علمت فيه أن أغسطس يدخل في قصرها أمرت بأنواع الرياحين والزهور أن
تبسط في مجلسها وأمام سريرها، وجلست على سرير ملكها والتاج على رأسها وفرقت
حشمها وقربت يدها من الإناء الذي فيه تلك الحية فضربتها فماتت لوقتها، وانسابت الحية
في تلك الرياحين ودخل أغسطس حتى انتهى إلى المجلس، فنظر إليها جالسة وهو يظن أنها
باقية، فدنا منها فتبين له أنها قد ماتت، فنظر إلى تلك الرياحين فقفزت عليه تلك الحية
فرمته بسمها وقد خف، فبطل شقه الذي ضربته من جهته، ولولا أن سمها كان قد نقص
لمات، فعجب من قتلها لنفسها وما كادته به من إلقاء الحية.
وكانت قلوبطرة هذه آخر من
ملك من اليونانيين. والله اعلم.

ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب:
ذكر ذوو العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان، قال: وقد
تنوزع فيهم وفي النبط، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط، ومنهم من رأى أنهم
إخوة لولد ماس بن نبيط، ومنهم من رأى غير ذلك على حسب تباين الناس في الأجيال
الماضية والقرون الخالية.
قال: فكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوشان، وهو أول من وضع التاج على رأسه
في تاريخ السريانيين. قال: وانقاد له ملوك الأرض، فكان ملكه ست عشرة سنة باغياً في
الأرض، ومفسداً في البلاد، وسفاكاً للدماء.
ثم ملك بعده يريز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة.
ثم ملك بعده سماسير بن أبوبا. فكان ملكه تسع سنين.
ثم ملك بعده أهريمون فحط الخطط، وكور الكور، وجد في أمره، وأتقن ملكه، وعمر

أرضه. فلما استقامت له الأحوال وانتظم ملكه بلغ بعض ملوك الهند وهو رتبيل، وهو
اسم لمن يملك هذه الجهة من الهند، ما القوم عليه من القوة، وما بلادهم عليه من العمارة،
وأنهم يحاولون الممالك، وقد كان هذا الملك الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند
وانقادت إلى أحكامه، وذلك أن ملكه كان ممايلي بلاد الهند والسند، فسار نحو بلاد بست
وعزنين ونغر وبلاد الداور على النهر المعروف بالهندمند، وهو نهر ببلاد سجستان ويعرف
ينهر بست تجري فيه السفن منها إلى سجستان.
قال: وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً نم سنة ثم أجلت الحرب عن
قتل السرياني واحتوى على الصقع وملكه، فكان ملك أهريمون عشر سنين.
قال: وبقي ذلك الصقع بيد الملك الهندي حتى سار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك
العراق ورد السريانيين.
فملكوا عليهم تسنوا بن سماسير. فكان ملكه إلى أن هلك ثماني سنين.
ثم ملك بعده أهريمون. فكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة.
ثم ملك بعده ابنه هورديا فزاد في العمارة وأحسن للرعايا وعرس الأشجار.
فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة.
ثم ملك بعده ماروت واستولى على الملك. فكان ملكه خمس عشرة سنة.
وقيل أكثر من ذلك.
ثم ملك بعده أزور وسلحاس، ويقال إنهما كانا أخوين. قال: فأحسنا السيرة، وتعاضدا
على تدبير الملك. ويقال: إن أحد هذين الملكين كان جالساً ذات يوم في أعلا قصره فنظر
إلى طائر قد فرخ هنالك، وهو يصيح ويضرب بجناحه، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر
لتأكل الفراخ التي للطائر، فدعا بقوس وسهم ورمى الحية فقتلها، وسلمت الفراخ، وغاب
الطائر وعاد إلى الملك بعد هنيهة وفي منقاره حبة وفي مخاليبه حبتان، وطار حتى وازى
الملك، وألقى الحب بين يديه فتناوله الملك وقال: ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر
قصد به مكافاتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه، ولم يعرف ما هو ذلك الحب،

واستدعى الحكماء وآراهم فما عرفوه، فقال له حكيم، ينبغي أن يزرع هذا الحب ببطن
الأرض لينظر ما يكون منه، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه، والملك يراعيه حتى
طلع وأزهر وحصرم وأعنب، وهم لا يقربونه خشية أن يكون متلفاً، فأمر الملك أن يعصر
ماؤه ويودع الآنية وأخرج الحب منه وترك بعضه على حاله. فلما صار في الآنية غلا وقذف
بالزبد وفاحت له روائح عبقة، فقال الملك: علي بشيخ كبير، فأتي به، فسقاه من هذا
العصير. فلما شرب منه ثلاثاً صال وتكلم وصفق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على
الأرض، فظهر عليه الطرب والفرح وتغنى. فقال الملك: هذا شراب مذهب للعقل، وأحلق
به أن يكون قتالاً، ألا ترون إلى هذا الشيخ كيف عاد إلى حال الصبا وقوة الشباب، ثم أمر
الملك بالشيخ فرقد، فسكن ونام. فقال الملك: هلك، ثم أفاق الشيخ وطلب الزيادة من
الشراب، وقال: لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم وأزال عني الأحزان. فقال الملك:
هذا اشرف شراب الرجل، فاكثر من غرس الكروم، واختص به دون غيره من الناس،
واستعمله بقية أيامه، ثم نما بعد ذلك وكثر في أيدي الناس.
وهذا آخر ما أورده المسعودي
من أخبار السريان.
الملوك الكلوانيين
وهم ملوك النبط بملوك بابل
قال المسعودي، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بأخبار ملوك العالم أنهم ملوك العالم
الذين مهدوا الأرض بالعمارة، وأن الفرس الأول إنما أخذوا الملك من هؤلاء كأخذ الروم
الملك من اليونان.
فكان أول من ملك منهم نمروذ الجبار. فكان ملكه نحواً من ستين سنة. وقد قدمنا
أخبار نمروذ في قصة إبراهيم عليه السلام.
قال: ونمروذ هذا هو الذي احتفر أنهاراً بالعراق آخذة من الفرات، فيقال: إن من ذلك نهر
كوني على طريق الكوفة، وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد.
ثم ملك بعده أبولس، وكان عظيم البطش جباراً في الأرض. وكان ملكه نحواً من سبعين
سنة.

ثم ملك بعده فيزمنوس. وكان باغياً في الأرض، ملك نحواً من مائة سنة.
ثم ملك بعده سوسوس. فكان ملكه نحواً من تسعين سنة.
ثم ملك بعده كورس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة.
ثم ملك بعده اذفرنجوا. فكان ملكه نحواً من عشر سنين.
ثم ملك بعده سيهزم. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة، وقيل أكثر.
ثم ملك بعده قوسيس. فكان ملكه نحواً من سبعين سنة.
ثم ملك بعده أنبوش. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده إيلاوس. فكان ملكه نحواً من خمس عشرة سنة.
ثم ملك بعده الجلوس. وكان ملكه نحواً من أربعين سنة.
ثم ملك بعده أونوبس. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده بعنكلوس. فكان ملكه نحواً من ثلاثين شهراً.
ثم ملك بعده سفرين. فكان ملكه نحواً نم أربعين سنة، وقيل أقل.
ثم ملك بعده مارنوس. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده رسطاليم. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة.
ثم ملك بعده أسطوس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة.
ثم ملك بعده تاولوس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة.
ثم ملك بعده العداس. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده أطيروس. فكان ملكه نحواً من ستين سنة.
ثم ملك بعده ساوساس. فكان ملكه نحواً من عشرين سنة.
ثم ملك بعده فارينوس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة، وقيل خمساً وأربعين سنة.
ثم ملك بعده أدرموس. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة. وغزاه ملك من ملوك فارس في
عقر داره.
ثم ملك بعده مسروس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة.
ثم ملك بعده أفروس. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة.
ثم ملك بعده طاطاوس. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة.
ثم ملك بعده لاوسيس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة، وقيل خمساً وأربعين سنة.
ثم ملك بعده قريطوس. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده قروطاوس. فكان ملكه نحواً من عشرين سنة.
ثم ملك بعده قراقريس. فكان ملكه نحواً من خمسين سنة، وقيل اثنتين وأربعين سنة.
ثم ملك بعده بوليس قنطروس. فكان ملكه نحواً من عشرين سنة.
ثم ملك بعده قولاً قسماً فكان ملكه نحواً من ستين سنة.
ثم ملك بعده هيقلس. فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة، وقيل خمسين سنة. وكانت له
حروب مع ملوك الصقالبة.

ثم لملك بعده سموجد. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده مردوج. فكان ملكه نحواً من أربعين سنة، وقيل أقل من ذلك.
ثم ملك بعده سنحاريب. فكان ملكه نحو من ثلاثين سنة، وهو الذي ابتنى بيت
المقدس.
ثم ملك منوشا. فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة، وقيل أقل من ذلك. أن بختنصر لم يكن
ملكاً وإنما كان مرزباناً لملوك الفرس الأول، إلا أن يكون هذا غير ذاك. والله اعلم. ثم
ملك بعده بيطسقر. فكانت مدة ملكه نحواً من ستين سنة، وقيل أقل من ذلك.
ثم ملك بعده دارنوس. فكان ملكه إحدى وثلاثين سنة، وقيل أكثر من ذلك.
ثم ملك بعده كشرخوش فكان ملكه عشرين سنة.
ثم ملك بعده قرطاسية تسعة أشهر.
ثم ملك بعده فيجسمنه. فكان ملكه إحدى وأربعين سنة.
ثم ملك بعده أجرست. فكان ملكه ثلاثاً وستين سنة.
ثم ملك بعده شعيا. فكان ملكه ثلاثين سنة، وقيل تسعة أشهر.
ثم ملك بعده داريوس. فكان ملكه عشرين سنة، وقيل تسع عشرة سنة. ثم بعده
انبطحست. فكان ملكه تسعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده اليسع. فكان ملكه خمس عشرة سنة، وقيل عشرين سنة.
قال المسعودي: فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم، وذكرنا مدة ملكهم، هم الذين
شيدوا البنيان، ومدنوا المدن، وكوروا الكور، وحفروا الأنهار، وغرسوا الأشجار،
واستنبطوا المياه، وأثاروا الأرض، واستخرجوا المعادن من الحديد والنحاس والرصاص
وغير ذلك، وطبعوا السيوف، واتخذوا عدة الحرب، ونصبوا قوانين الحروب، ورتبوا الميمنة
والميسرة والأجنحة، وجعلوا ذلك مثالاً لأجزاء أعضاء الإنسان، ورتبوا الأعلام؛ فجعلوا
أعلام القلب على صورة الفيلة والنسور وما عظم من أجناس الحيوان؛ وجعلوا أعلام
الميمنة والميسرة على صورة السباع؛ وجعلوا في الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر
والذئب؛ وجعلوا في الطلائع كصور الحيات وما خفي فعله من هوام الأرض؛ وتغلغل القوم في
هذه المعاني.

قال: والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور. والله تعالى أعلم.
ملوك الروم وأنسابهم
قال المسعودي: قد تنازع الناس في الروم ولأي علة سموا بهذا الاسم، فقيل لإضافتهم
لمدينة رومية واسمها بالرومية روماس، فعرب هذا السام فسمى من كان بها روما، والروم لا
يسمون أنفسهم في لغتهم إلا رومس. ومنهم من رأى أن هذا الاسم اسم الأب الأول، وهو
روم بن شماخلين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.
ومنهم من رأى أنهم سموا باسم جدهم رومس ابن لبطي بن نويفل بن رومي بن الأصغر بن
النفر بن العيص، وقيل غير ذلك. وقد ذكرنا في الأنساب شيئاً نم ذلك.
قال المسعودي: ولبت الروم على ملك اليونانيين، فكان أول من ملك منهم طوخاس وهو
جانيوس الأصغر بن روم بن شماخلين، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة.
وقيل إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر، واسمه غالوس أوليوس. فكان ملكه ثماني
عشرة سنة.
وقيل أول من ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس. فكان ملكه سبع سنين
ونصفاً. قال: ورومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة.
ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر. وكان ملكه ستاً وخمسين سنة، وهو أول من تسمى
بقيصر، وإنما سمي بذلك لأن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها عنه، ومعنى قيصر
بقر، وكان يفتخر بأن النساء لم تلده، وحقيقة هذه اللفظة بالعجمية جيشر، قيل إنما سمى
جيشر لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه، واسم الشعر بالعجمية حساريه وقيل جشايره، فعرب
فقيل قيصر، وهو صاحب قلوبطرة ملكة اليونان على ما ذكرناه. واحتوى هذا الملك على
مقدونية وهي مصر والإسكندرية، وحاز ما فيهما من الخزائن، وكانت له حروب كثيرة،
وكان يعبد الأوثان. وبنى بأرض الروم مدناً تنسب إليه، وكور كوراً. فمن مدنه قيسارية.
ولاثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه ولد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، وعاش

هذا الملك بقية عمره وقد بطل شقه لما ثقلت عليه الحية على ما قدمناه في أخبار
قلوبطرة.
ثم ملك بعده طياريس. فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة. قال: ولثلاث سنين بقيت من
ملكه رفع المسيح عليه السلام. قال: ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت
وأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع مائتي سنة وثمانياً وأربعين سنة لا نظام لهم ولا ملك
يجمعهم.
ثم ملكوا عليهم طباريس عابس بمدينة رومية. فكانت مدة ملكه أربع سنين.
ثم ملك بعده قلورس برومية. فكان ملكه أربع عشرة سنة، وهو أول ملك من ملوك الروم
شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح عليه السلام، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وكانت الروم تعبد
التماثيل.
ولما هلك الملك ملك بعده نيرون. قال: واستقام ملكه ورغب في عبادة التماثيل والأصنام،
وكان ملكه أربع عشرة سنة وشهوراً.
ثم ملك بعده ططس واسبابوس مشتركين في الملك. فكان ملكهما ثلاث عشرة سنة،
ولسنة من ملكهما سارا إلى الشام، فكانت لهما حروب عظيمة مع بني إسرائيل قتل فيها
من بني إسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأزالا رسمه، وكان يعبدان الأصنام.
قال المسعودي: وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربوا
فيه بيت المقدس أن يسبي منهم في كل يوم سبي فلا يوم إلا والسبي واقع فيهم قل ذلك أو
كثر.
ثم ملك بعدهما ذو مطيانس. فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة.
ثم ملك بعده قبرنوس. فكانت مدة ملكه سنة واحدة.
ثم ملك من بعده طومانوس. فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة.
ثم ملك بعده أذربالس. فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة، وخرب سائر ما بقي
بالشام لبني إسرائيل.
ثم ملك بعده أبطونيس. فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة. قال: وبنى بيت المقدس وسماه
إيلياء.
ثم ملك بعده قرمودس. فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة.

ثم ملك بعده سيريرس. فكانت مدة ملكه ثماني عشرة سنة.
ثم ملك بعده ولده انطويس. فكانت مدة ملكه تسع سنين.
ثم ملك بعده أنطويس الثاني. فكانت مدة ملكه أربع سنين، وفي آخر ملكه مات جالينوس
الطبيب.
ثم ملك بعده الإسكندر مامياس، وتفسير مامياس العاجز. فكانت مدة ملكه ثلاث
عشرة سنة.
ثم ملك بعده عرديأس. فكانت مدة ملكه ست سنين.
ثم ملك بعده ديقيوس وقيل فيه دقيوس. فكانت مدة ملكه ستين سنة. قال: فأمعن في
قتل النصارى، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف.
أصحاب الكهف
قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنماطي في كتاب المبتدأ يرفعه إلى
وهب بن منبه: إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في
كتابه العزيز فقال: نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً الآيات
التي في سورة الكهف. قال: وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله جلاله وملكه
وسلطانه وأصناف خلقه، لم يأتهم بذلك وحي ولم يقرءوا كتاباً، ولم يدركوا زمان نبوة، وكانوا
في زمن فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام، وهذا القول مخالف لما
ذكرناه آنفاً، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضي أن بين رفع عيسى عليه
السلام وبين ملك دقيوس ما يزيد على مائتي سنة. والله عز وجل أعلم.
قال: وكانوا شباناً متقاربين في السن قلما يتفاوتون، وكانوا من فصيلة واحدة يجمعهم
النسب، وكانوا في حسب عظيم من أحساب الروم، من ولد عظمائهم وملوكهم وأشرافهم،
وكان للروم فيهم هوىً وصبابة شديدة، وكان ملك الروم الأول في آباء أولئك وينقل في
فصيلتهم التي كانوا منها اكثر من أربعمائة عام حتى انقرضت تلك الفصيلة وزال الملك
عنهم، فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك وبقيتهم، وكان الروم يتمنون ملهم ويمدون إليهم
أعناقهم لما قد بلغهم ما كان الناس فيه في زمن أسلافهم من الخفض والدعة والعافية

والبسط والأمن والسعة، فكانوا يؤملونهم ويرحونهم، وكانت ملوك الروم قد جفوهم
وحرموهم وأقصوهم وأضروا بهم منهم على ملكهم لما يعلمون من رأى الروم فيهم، وكانوا
مع ذلك يكفون عنهم أذاهم، ويعرفون أنهم مفزع الروم إن اختلفوا ومعولهم عليهم، فلم تزل
تلك حالهم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هداهم
والإيمان الذي نوره الله في قلوبهم.
قال قائل منهم: إني قد رأيت رأياً وقع في قلبي وأمراً ثبت فيه، فلست أبصر غيره، وليس
يخرجه من قلبي شيء، اسمعوا أعرض عليكم، إني فكرت في خلق السموات والأرض،
واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم والسحاب والمطر، والأحياء والأموات،
والنبات، والصغار والكبار، والبقاء والفناء، والشدة والرخاء، وتقلب الدنيا بأهلها،
والأطباق التي تنصرف عليها الخلق طبقاً بعد طبق، قوماً عن قوم: من موت وحياة، ونقص
وزيادة، وخفض ورفع، وغنى وفقر، وطول عمر ونقص آخر، وموت صغير وهرم كبير،
وأشباه لذلك كثيرة، وهي أكثر من أن تعد وتوصف أو تحصى؛ فلما نظرت فيها وأعملت
الري والنظر أجمع رأيي على أن لها خالقاً بديعاً ابتدعها؛ ورباً يملكها ويدبرها، ويخلقها
ويرزقها، ويغنيها ويفقرها، ويرفعها ويخفضها، ويحييها ويميتها ويفنيها، تتقلب في قبضته
وتعيش برزقه؛ فلما تم لي الرأي نظرت في عظمة هذا الرب الذي ابتدع هذا الخلق وضبطه،
ودبره وأحكم أمره، فإذا قدرته تأتي من وراء شيء ومن وراء كل شيء، ثم نظرت في
عظمة الرب هل أصفها كما وصفتها القدرة، وهل أعلم كنهها؟ فتحيرت فيها، وعجز عنها
الحلم والعلم، وحسر عنها العقل والنظر، وما بقي مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا نصفه
إلا أنه قد ألهم بمعرفته واسر بها أكثر وأعظم وأعجب مما وصفت وشرحت لكم، فماذا
تقولون، وماذا تعفون، وماذا تفعلون؟
قالوا: قد قلت قولاً عظيماً ووصفت أمراً عجيباً، وما نحسبك إلا قد أصبت فيه الرأي
والنظر، وقد صدقناك وتابعناك ورأينا رأيك وواقع قلوبنا منه ومن معرفته مثل الذي عرفت

وواقع قلبك، وإن كنا لنرى مثل الذي رأيت من أعاجيب هذا الخلق وعظمة هذا الخالق،
وإن كان ليكثر أن يخطر على قلوبنا منه مثل ما خطر على قلبك، ولكنا لم نشرح منه ما
شرحت ولم نصف منه ما وصفت، ولم نعمل الرأي والنظر في معرفته مثل ما أعملت
وعرفت، ولكن الله أراد هداك وتفضيلك وإكرامك بما سبقت إليه من هذا القول وهذا
العلم وهذه المعرفة، ولكن حدثنا عما نسألك عنه، وإنما نظرنا فيه بعد ما سمعنا قولك؛
هل ينبغي لهذا الرب الذي وصفته بما وصفته من العظمة أن يكون له شريك في ملكه، أو
حاجة إلى شيء من خلقه، أو هل يغلبه شيء يستعين عليه بغيره.
قال لهم: لو كان له شريك في شيء من أمره لضبط ما ضبط، ولو كانت به حاجة إلى
أحد من خلقه لكان مثلهم، ولو كان يستعين على شيء يغلبه بغيره إذاً ما بلغت قدرته ما
بلغت، ولا أخاطب به، ولا وسع ما اتسع له من أمر خلقه، وتدبير ما خلق ورزق وأمات
وأحيا.
قالوا له: صدقت وعرفنا ما تقول وثبت في قلوبنا، ولكن حدثنا ما بال خلقه يشركون به
وهم يعرفونه حق معرفته. قال: لأنه خلق فيهم الأهواء وطبع فيهم الشهوات، وجبلهم على
الضعف، وثبت معهم الشيطان، فمن قبل هذا عدلوا به وهم يعرفون أن الذين يدعون من
دونه لا يحيونهم ولا يميتونهم، ولا يخلقونهم ولا يرزقونهم، ولا يضرونهم ولا ينفعونهم، إذا
مسهم الضر فغياه يدعون وإليه يجأرون، فعند ذلك اجتمع رأيهم على أن يأووا إلى الكهف،
وأن يعتزلوا قمهم وما يعبدون من دون الله، فعندها قالوا: ربنا رب السموات والأرض لن
تدعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً إلى قوله: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً قال:
فلما اعتزلوهم وما يعبدون من دون الله آووا إلى الكهف رجاء أن ينشر لهم ربهم من
رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقاً. قال: وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم
حتى يفرق لهم رأيهم، فألقى الله عليهم السبات.
قال: وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس، وملك الروم يومئذ دقيوس، ويقال -

والله أعلم - إن عدتهم سبعة، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول: ما يعلمهم
إلا قليل وأنا من أولئك القليل، منهم مرطالوس، ونونوس، ودانيوس، وسراقيون،
وأسطاطالوس، ومكسلميس، وتمليخا، وهو الذي بعثوه بورقهم إلى المدينة ليرتاد لهم. هذا
قول ابن عباس، قال: وكانوا قوماً يطلبون الصيد لما مسهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير
معيشة غيره، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم
يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزاتهم وقسيهم ونبلهم. فلما أجمع رأيهم أن يأووا إلى الكهف
ليأتمروا فيه، هل يقيمون مع قومهم على شركهم، أم يفارقونهم فينتجعون ناحية من الأرض
يحلون فيها ويوحدون فيها ربهم. فيبنا هم على ذلك ألقى الله عليهم السبات وأخفى على
جميع خلقه مكانهم، وصرف عنهم الأبصار والعقول، فليس يبصرهم أحد ولا يفطن
بمكانهم، فلبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً حتى انقرضت الأمة التي كانوا فيها
والملك الذي كان عليهم، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس واتبعوا
ملته ورفعه الله إليه وذهب زمانه وزمان أهل ملته وهم في كهفهم.
قال: وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفعه الله يحدث عنهم وعن إيمانهم
وبصيرتهم، وكيف تفكروا في عظمة إلههم، وكيف ألقى الله عليهم السبات في كهفهم،
وكيف أخفى مكانهم عن الناس، ولا ينبغي لأحد أن يهتدي إليهم ولا يعرف مكانهم،
وكان يخبر أن الله سيرد إليه أرواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم إن أراد أن
يعتبر بهم.
قال: فرد الله إليهم أرواحهم بعد أن لبثوا في كهفهم العدة التي ذكرها الله عز وجل في
القرآن ولزمهم كلبهم، فلبث سنيهم كلها، كما أخبر الله تعالى: وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد. والوصيد: فناء الكهف الذي فيه موضع الباب، زكان الكلب من كلاب
صيدهم ولم يطعهم ولم يشرب ليجعله الله آية من آياتهم.
قال: فلما رد الله عليهم أرواحهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم إلى

قوله: ولن تفلحوا إذا أبداً وهم حينئذ يظنون أن قومهم أحياء، وانهم على ما يعهدون من
حالهم وشركهم وعتو ملكهم، فانطلق رجل منهم يقال له تمليخا، وكان أشدهم وأنجدهم،
فتوجه حتى إذا خالط ربض المدينة أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدواب والبنيان
وغير ذلك، ووجد الناس على حال لم يكن يعهدها وسنة لم يكن يعرفها، ووجدهم يبتاعون
لورق لا يشبه الورق الذي معه، فتحير وأنكر وأقبل وأدبر، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا
عليه، وظنوا أنه فطن به وقدر عليه. فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى
من نواحيها حفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الربض في كل شيء، فلما شك
وارتاب والتبس عليه رأيه عمد إلى مشيخة من أهل المدينة توسم فيه الخير ليتجسس
ويسمع قولهم، فوجد معهم الإنجيل يقرءونه، فسمع ما فيه ن توحيد الله وعظمته وعذابه
وسنته وشرائعه وحلاله وحرامه، فعرف ذلك وأذعن إليه وأنصت يسمع حتى إذا فرغوا
من قراءتهم سألهم عن كتابهم فقالوا: هذا كتاب الله الإنجيل الذي أنزل على عيسى بن
مريم عليه السلام نبيه. قال: وأين عيسى؟ قالوا: قد رفعه الله تعالى إليه. قال: وكم لبث
فيكم؟ قالوا: ثلاثاً وثلاثين سنة. قال: وهل رأيتموه وأتيتموه وأدركتم زمانه؟ قالوا: لا، كان
قبل أن نولد، ووجدنا في أيدي آبائنا. قال: أفكل هذه المدينة تؤمن بهذا النبي وبهذا الكتاب
وتعمل بما فيه مما أسمع من حلاله وحرامه؟ قالوا: نعم، إلا مستحقاً بذنب أو ظالماً لنفسه.
قال: فهل سمعتم بالملك الذي يقال له دقيوس؟ قالوا: نعم.
قال: فكم له منذ هلك؟ قالوا:
أكثر من ثلثمائةعام. قال: فهل بقي له عقب، أو لأحد من أهل مملكته يعمل بعمله؟ قالوا:
لا. قال: فلو أراد أحد أن يعمل بمثل عمله ما كنتم تفعلون بع؟ قالوا: نقتله أو نخرجه نم بين
أظهرنا. فلما آمنهم واطمأن إليهم ورأى سمت الإسلام وهديه عليهم وفقه الله وهداه
لمسألة سألهم عنها. قال: أخبروني، هل كان نبيكم عيسى عليه السلام يخبركم عن سبعة
رهط خرجوا من هذه المدينة في زمن دقيوس وقومه، وهربوا إلى الله بأنفسهم ودينهم فراراً

من دقيوس وقومه، وما كانوا يعبدون من دون الله حتى آووا إلى الكهف في هذه الحال
فاستخفوا فيها. فلما قال لهم هذا أوجسوا في أنفسهم أنه منهم، قالوا: نعم، قد كان يخبرنا
عنهم فلعلك منهم فإنا ننكر حالك كله.
قال: فهل كان عيسى عليه السلام فيما بلغكم سمى أصحاب الطهف؟ قالوا: نعم؛ قال:
فسموهم لي بأسمائهم، فسموهم حتى إذا ذكروا اسمه تمليخا
قال: فأنا تمليخا وأنا أحدهم،
فخروا له سجداً كما صنع إخوة يوسف بيوسف يوم دخلوا عليه؛ وكانت تحيتهم فيما
بينهم السجود يومئذ، ثم أدخلوه مسجدهم وعظموه ووقروه وأكرموه ورفعوه وجمعوا له أهل
مدينتهم وقراءهم وفقهاءهم، فتبركوا به، وجعلوا له عيداً عظيماً، وأقام أياماً بين أظهرهم ثم
قال لهم: إن أصحابي الذين يحدثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلا وقد خافوا
علي وساء ظنهم وهم يظنون أن دقيوس حي، وأن زمانه وأن الدين دينه، فانطلقوا بنا
نعلمهم كيف أهلكه الله وقومه وطهر الأرض منهم، وكيف استبدل به وبأهل ملته أمة
يوحدونه ويعرفونه ويهدون بالحق وبه يعدلون. فانطلقوا معه انتهوا إلى الكهف فوجدوا كلبهم
باسطاً ذراعيه بالوصيد فقالوا حين رأوا: وهذا الكلب أيضاً من علاماتكم التي كان يحدثنا
عنها عيسى عليه السلام، وقد كان يحدث أن أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحد من
خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى عليه بن مريم عليه السلام إلا رجل
واحد منهم، وهو الذي يدل عليهم وعلى مكانهم، وأنت هو؛ فدخل على أصحابه
فأخبرهم بما رأى وما لقي، ثم كان آخر العهد بهم. قال الله عز وجل: وكذلك أعثرنا
عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا
ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً.
قال: فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه.
قال وهب: فبلغني - والله أعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن نزول أخي

عيسى بن مريم عليه السلام علم للساعة، وإن الله يبشرهم عند نزول عيسى بن مريم
عليه السلام، وإنه يحج في سبعين ألفاً فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا، ثم تقبل ريح
صفراء يمانية، ألين من الحير، وريحها ريح المسك فتقبض روح عيسى عليه السلام وأرواح
من معه. انتهى خبر أصحاب الكهف، فلنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك الروم.
قال: ثم ملك بعد دقيوس جالش. فكانت مدة ملكه ثلاث سنين. ثم ملك بعده
فيلطانس. فكانت مدة ملكه عشر سنين. ثم كانت بعده ملوك الروم المتنصرة.
ملوك الروم المتنصرة
وهم ملوك القسطنطينية
قال المسعودي: لما هلك قليطانس ملك بعده قسطنطين برومية، وهو أول من انتقل من
ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطيا، وهي القسطنطينية، فبناها هذا الملك وسماها بهذا
الاسم. قال: وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست خلت من ملكه،
وذلك أن أمه هلانا خرجت إلى أرض الشام وبنت الكنائس وسارت إلى بيت المقدس
وطلبت الخشبة التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها، فلما ظفرت بها
حلتها بالذهب والفضة واتخذت يوم وجودها عيداً وهو عيد الصليب، لأربع عشرة ليلة
خلت من أيلول. وهي التي ابتنت كنيسة حمص على أربعة أركان، واستخرجت الدفائن
بمصر والشام، وصرفت ذلك في بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية، فكل كنيسة بالشام
ومصر من بناء هذه الملكة هلانا.
قال: ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أشقفا
بمدينة نيقية لأرض الروم فأقاموا دين النصرانية. وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة التي
تذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات وأحدها
سونودس. فالأول بنيقية وكان الاجتماع فيه على أرنوس، وهذا اتفاق من سائر أهل دين
النصرانية. والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة

مائة وخمسون رجلاً. والثالث بأقسيس وعدة اجتمع فيه من الأساقفة مائة رجل. والرابع
بخلقدونية وعددهم ستمائة ووستون رجلاً. والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة
وأربعون رجلاً.
والسادس كان من ملكة المدن، وعدتهم مائتان وثمانون رجلاً.
قال: وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه خرج في بعض حروب أبرجان
أو غيرهم من الأمم، فكانت الحرب بينهم سجالاً نحواً من سنة، ثم كانت عليه في بعض
الأيام فقتل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه كأن رماحاً نزلت من السماء
فيها عذب وأعلام على رأسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع
الجواهر والخشب، وقيل له: خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنتصر، فجعل يحارب في
النوم فرأى عدة قد انهزم، فاستيقظ من نومه ودعا بالرماح وركب عليها الصلبان مثل ما
رأى، ورفعها في مسكره وزحف إلى عدوة فكسرهم وأخذهم السيف، فرجع إلى مدينة
نيقية وسأل عن تلك الصلبان وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل؟ فقيل له: إن
بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب، وأخبروه بما فعله من قبله من الملوك من
قتل النصارى، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه
بنيقية ففص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية. فهذا هو السنودس الأول.
وقيل: إن أمه كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا. وكان ملكه إلى أن
هلك إحدى وثلاثين سنة، وقيل خمساً وعشرين.
ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين. فكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة. وابتنى
كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية.
ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيفي ويسمى البرباط. قال: ولما ملك رجع
عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير فأتاه سهم غرب
فذبحه. ولما هلك جزع من كان معه من الملوك والبطارقة ففزعوا إلى بطريق كان معظماً
عندهم يقال له يونياس، وقيل: إنه كان كاتباً للملك الماضي، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى

دين النصرانية، فأجابوه إلى ذلك فملك عليهم يونياس المذكور.
قال: ولما ملك كان له مراسلات مع سابور ومهادنة واجتماع، ثم انصرف بجيوش النصرانية
موادعاً لسابور وأخلف عليه ما أتلف الملك الماضي من أرضه بأموال حملها إليه وهدايا
من ألطاف الروم، وشيد النصرانية وأعاد معالمها، ومنع من عبادة الأصنام والتماثيل. وقتل
من كان على عبادتها. فكان ملكه سنة.
ثم ملك بعده أوالس قال: ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه، وهلك في بعض
حروبه، فكان ملكه إلى أن هلك أربع عشرة سنة. وقيل: إن في أيامه استيقظ أهل
الكهف.
ثم ملك بعده غراطيانس. فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة، وسنة من ملكه كان
اجتماع النصرانية، وهو آخر الاجتماعات. فأتموا القول في روح القدس، وهو السنودس
الثاني.
ثم ملك بعده بدرسيس الأكبر، وتفسير هذا الاسم عطية الله.
قال: ولما ملك قام بدين
النصرانية وعظم أمرها وابتنى الكنائس، ولم يكن من أهل بيت المقدس ولا من الروم؛ بل
كان أصله من الأسبان، وهم بعض الأمم السالفة. قال: وقد كانت ممن ملكت الشام ومصر
والمغرب والأندلس. وقد تنازع الناس فيهم، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أن
بدءهم من أهل أصبهان، وانهم ناقلة من هنالك، وهذا يوجب أنهم من قبل ملوك فارس.
قال: وذكر عبيد الله بن خرداذبه نحو ذلك، وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير
والأخبار.
قال المسعودي: والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافث بن نوح، وهم اللذارقة ملوك
الأندلس وأحدهم لذريق، وقد تنوزع في دياناتهم، فمنهم من رأى أنهم على دين المجوس،
ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الأصنام. قال: وكان ملك
بدرسيس إلى أن هلك تسع عشرة سنة.
ثم ملك بعده أوقاديس. فكان ملكه أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية.
ثم ملك بعده بدرسيس الأصغر، وذلك بمدينة أقسس، وجمع مائتي أسقف وهو الاجتماع

الثالث من الأسنودسات، ولعن فيه نسطورس البطرك، وإليه تنسب النسطورية من
النصارى. وكان ملك هذا الملك إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة.
ثم ملك بعده مرقياقس وزوجته بلجاريا. فكانت ملكة معه. وكان ملكهما سبع سنين،
وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث.
قال: وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا
اليسير فإنهم ملكية، والنوبة والأرمن يعاقبة؛ ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت،
وكان لهم بالقرب من رأس عين واحد فمات، وانتقل مطرانها إلى بلاد حلب وقنسرين
والعواصم.
قال المسعودي: وكرسي اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية، وكذلك لهم كرسي
بمصر.
ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون. فكان ملكه ست عشرة سنة، وفي أيامه أحرم
مسعدة اليعقوبي بطرك الإسكندرية، واجتمع له من الأسقافة ستمائة وثلاثون أسقفا. وفي
تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلاً، وذلك بخلقدونية، وهذا الاجتماع هو
السنودس الرابع عند الملكية. واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس.
قال: واليعاقبة أضيفت إلى يعقوب البرذعي وبه عرفت، وكان من أهل أنطاكية، وكان يعمل
البراذع بها.
ثم ملك بعده ابن به على دين الملكية. فكانت مدة ملكه إلى أن هلك سنة.
ثم ملك بعده بير وهو من بلاد الأرمينان، وكان ملكه سبع عشرة سنة، وكان يميل إلى
رأي اليعاقبة، وكان له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار ملكه فظفر بهم.
ثم ملك بعده نسطاس، وكان يذهب إلى مذهب اليعاقبة، وهو الذي بنى مدينة عمورية،
وأصاب كنوزاً ودفائن عظيمة. وكان ملكه تسعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين.
ثم ملك بعده سطيانس. فكان ملكه تسعاً وثلاثين سنة، وبنى كنائس كثيرة وشيد دين
النصرانية وأظهر مذاهب الملكية، وبنى كنيسة الرها، وهي إحدى عجائب مباني العالم.

قال: وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه أهل دين النصرانية، وهو أن اليسوع
الناصري حين اخرج من ماء المعمودية نشف به، فلم يزل هذا المنديل يتداول إلى أن قرر
على كنيسة الرها؛ فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم فوقعت الهدنة عليه، وفرح الروم فرحاً عظيماً.
ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه، وكان ملكه إلى أن هلك ثلاث
عشرة سنة.
ثم ملك بعده طباريس. فكان ملكه أربع سنين، وأظهر في مدة ملكه أنواعاً من الباس
والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك.
ثم ملك بعده مورقيس، وقيل فيه موريقس، فكانت مدة ملكه عشرين سنة، وهو الذي
نصر كسرى أبرويز على بهرام جوبين على ما قدمناه، ثم قتل وانتصر أبرويز لولده وبعث
بجيوش الفرس، وكانت له حروب ذكرناها.
ثم ملك بعده قرقاس. فكان ملكه إلى أن قتل ايضاً ثماني سنين.
ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقاً في بعض الجزائر قبل ذلك.
قال: ولما ملك عمر بيت
المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام، وبنى الكنائس. ولسبع سنين خلت من
ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ملوك الروم بعد الإسلام
قال المسعودي: وجدت في كتب التواريخ تنازعاً في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي
عصر من كان من ملوك الروم؛ فمنهم من ذهب إلى ما قدمناه، ومنهم من رأى أن مولده
صلى الله عليه وسلم كان في ملك نوسطينوس. وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة.
ثم ملك نوسطينوس الثاني، وكان ملكه عشرين سنة.
ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس، وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقلية. وكان
ملكه خمس عشرة سنة.
ثم ملك بعده ابنه مورق بن هرقل، وهو الذي كتب الزيجات في النجوم، وعليه يعمل أهل
الحساب. وفي تواريخ ملوك الروم فيمن سلف وخلف أن الملك للروم كان في وقت ظهور

الإسلام وخلافة أبي يكر وعمر هرقل. وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ
أهل السير. وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك
الروم قيصر بن فوق.
ثم ملك بعده قيصر بن قيصر، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي حاربه
أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله
عنه.
ثم ملك بعده مورق بن هرقل في خلافة عثمان ين عفان رضي الله عنه.
ثم ملك بعده فوق بن مورق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام معاوية بن
أبي سفيان.
ثم ملك بعده فلقط بن مورق بقية أيام معاوية بن أبي سفيان، وكانت بينهما مراسلات
ومهادنات، وكان ملكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد ابنه ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم
وصدرا من أيام ابنه عبد الملك بن مروان.
ثم ملك بعده لاوي بن فلقط في بقية أيام عبد الملك بن مروان.
ثم ملك بعده جيرون بن لاوي في أيام الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك أخيه
وعمر بن عبد العزيز، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة ين عبد الملك بن
مروان وغزو المسلمين لهم في البر والبحر، فملكوا عليهم رجلاً من غير أهل بيت الملك من
أه لمرعش يقال له جرجس. فكان ملكه تسع عشرة سنة.
ولم يزل ملك الروم في اضطراب إلى أن ملك عليهم قسطنطين بن اليون، وذلك في خلافة
أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور.
ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين، وكانت أمه أرسى ملكة معه ومشاركة له في الملك
لصغر سنه. وملك في أيام المهدي والهادي.
ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين، وكانت أمه مشاركة له وسلمت عيناها
بعد موته.
ثم ملك بعده نقفور بن استبراق، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع الرشيد، وغزاه

الرشيد فأعطى القود من نفسه من بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته، فانصرف الرشيد
عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد، فكتم الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها
بالرقة، ثم تجهز وغزاه فنزل على هرقلة؛ وذلك في سنة سبعين ومائة، فحاصرهما سبعة
عشر يوماً فأصيب خلق من المسلمين وفنيت الأزواد والعلوقات، ثم فتحها عنوة. وقيل:
إنهم بادروا لما فتحها بطلب الأمان فأمنوا. والأشهر أنه فتحها عنوة.
ثم ملك بعده استبراق بن نقفور بن استبراق. وكان ملكه في أيام الأمين، ولم يزل ملكاً حتى
غلب على الملك قسطنطين بن قفلط، وكان ملكه في خلافة المأمون.
ثم ملك بعده توقيل وذلك في خلافة المعتصم، وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتصم بعد
فتح عمورية.
ثم ملك بعده ميخائيل بن توقيل، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين، ثم
كان بين الروم تنازع في الملك، فملكوا عليهم توقيل بن ميخائيل ابن توقيل.
ثم غلب على الملك بسيل الصقلبي ولم يكن من أهل بيت الملك. وكان ملكه في أيام المعتز
والمهتدي وبعض أيام المعتمد.
ثم ملك بعده اليون بن يسيل. فكان ملكه بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد إلى
أن هلك.
ثم ملك عليهم أخاه لاوي بن اليون بن بسيل الصقلبي. فكان ملكه بقية أيام المعتضد وأيام
المكتفي وصدرا من أيام المقتدر.
ثم هلك وخلف ولداً صغيراً يقال له قسطنطين فملك وغلب على ماشركته في الملك
أرمنوس بطريق البحر صاحب حربه. قال: فزوج قسطنطين الصبي بابنته، وذلك في بقية
أيام المقتدر وأيام القاهر وأراضي والمتقي، وذلك في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة.
قال المسعودي: فملوك الروم في هذا الوقت ثلاثة، فالأكبر منهم والمدبر للأمور أرمنوس
يخاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمنوس ابناً له آخر صاحب الكرسي
بالقسطنطينية، وهو البطريك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم، وقد كان خصاه قبل ذلك

أبوه وقربه إلى الكنيسة. وهذا آخر من ذكره المسعودي من ملوك الروم ولم نجد من ضبط
أمرهم بعده على اتسق فنذكره.
قال: فعدة ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين بن هلاي الذي أظهر دين النصرانية بالروم إلى
هذا الوقت أحد وأربعون ملكاً، ولم يعد ابن أرمنوس وسنيهم خمسمائة سنة وسبع سنين.
وقال في ملوك رومية: الذي وجدت في اكثر كتب التواريخ مما اتفقوا عليه أنعدة ملوك الروم
الذين ملكوا مدينة رومية، وهم الذين ذكرهم في كتابه وذكرناهم نحن في كتابنا هذا، تسعة
وأربعون ملكاً، وجميع عدد سني ملكهم، من أول من ملكهم على حسب ما ذكرناه من
الخلاف في صدر هذا الفصل إلى قسطنطين ابن هلاي، أربعمائة سنة وثلاثون سنة وسبعة
أشهر وستة أيام. والله أعلم.
ملوك الصقالبة والنوكبرد
قال المسعودي: الصقالبة من ولد ماراي بن يافث بن نوح، وإليه يرجع سائر أجناس
الصقالبة وبه يحقون في أنسابهم. ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية اليعاقبة، ومنهم من لا
كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة. وهم أجناس:
فمنهم جنس كان الملك فيهم قديماً في صدر الزمان، وكان ملكهم يدعى ماجك، وهذا
الجنس يدعى لبناناً، وكان يتلو هذا الجنس قديماً في صدر الزمان سائر أجناس الصقالبة
وهم اصطبرانة، وملكهم يدعى بصقلانح. وجنس يقال له نامجين، وملكهم يدعى عرابة،
وهذا الجنس أشجع الصقالبة، وجنس يدعى مناي، وملكهم رتبيل، ثم جنس يقال له
سرتين، وهو جنس مهيب عندهم، ثم جنس يقال له مراوة، ثم جروانيق وصاصين
وخشانين وبزانجابين.
قال: والجنس الذي يدعى سرتين يحرقون أنفسهم بالنار، وإذا مات لهم ملك أو رئيس
يخرقونه ويحرقون دوابه، ولهم أفعال كأفعال الهند.
قال: ومن الصقالبة جنس التحق بالخزر والروس. قال: والأول من ملوك الصقالبة ملك
الدير، وبه مدن واسعة وعمائر كثيرة، وهو يحارب الروم والفرنج والنوكبرد وغيرهم من
الأمم، والحرب بينهم سجال: ثم بلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملوك الترك. قال:

والصقالبة أجناس كثيرة، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وملك جنس منهم
عليهم ملكاً.
هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصقالبة. والله أعلم.
وأما النوكبرد فقال المسعودي فيهم: إنهم أيضاً من ولد يافث وبلادهم متصلة ببلاد
المغرب، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس. وهم ذو بأس شديد ومنعة، ولهم مدن
كثيرة ويجمعهم بلد واحد.
قال: وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس، والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم
تبت وهي مدينة عظيمة يخترقها نهر عظيم من أعظم الأنهار اسمه سابيط والمدينة على
جانبيه.
قال: ومن مدنهم التي كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبوهم عليها وسلبوها منهم
وسكنوها ثم استعادها النوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة
سيرنية، ولم يذكر من أمرهم خلاف ذلك فنذكره.
ملوك الإفرنجة والجلالقة
قال المسعودي: لا خلاف أن الإفرنجة والجلالقة والصقالبة والنوكبرد والأسبان والترك
والخزر وبرجان واللان وبأجوج ومأجوج وغير من ذكرنا ممن سكن بلاد الشمال من ولد
يافث بن نوح.
قال: والإفرنجة اشد هؤلاء الأجناس باساً، وأمنعهم وأكثرهم عدة، وأوسعهم ملكاً،
وأحسنهم نظاماً، وانقياداً لملوكهم، وأكثرهم طاعة.
قال: والجلاقة اشد من الإفرنجة واعظم منهم نكاية. والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم من
الإفرنجة. ثم قال: وكلمة الإفرنجة متفقة على ملك واحد لا تنازع بينهم في ذلك، ومدنهم
تزيد على مائة وخمسين مدينة غير الكور.
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة إقريطش، ثم
ملكوا بلاد الغرب واستولوا عليها.
قال: وأول ملوك الإفرنجة قلويا وكان مجوسياً فنصرته امرأته عرضلة. ثم ملك بعده ابنه
لذريق.
ثم ملك بعده ابنه دفسوت.
ثم ملك بعده ابنه قادله
ثم ملك بعده ابنه بيبق.

ثم ملك بعده قادله. وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة، وذلك ف أيام الحكم صاحب
الأندلس، وتدافع بعده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الإفرنجة بسببهم.
وسار لذريق بن قادله ثمانياً وعشرين سنة وستة اشهر، وهو الذي أقبل إلى طرطوشة
فحاصرها.
ثم ملك بعده قادله بن لذريق تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر.
ثم ملك بعده ابنه لذريق ستة أعوام، ثم خرج عليه قائد للإفرنجة يسمى يوسة فملك
الإفرنجة وأقام في الملك ثماني سنين. وهو الذي صالح المجوس على بلده سبع سنين بستمائة
رطل ذهباً وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الإفرنجة إليهم.
ثم ولى بعده قادله وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر.
ثم ولي بعده لذريق بن قادله واستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثلثمائة.
هذا ما أورده المسعودي من أخبارهم في كتابه المترجم لمروج الذهب ومعادن الجوهر.
ثم اتسعت بعد ذلك ممالكهم وانبسطت أيديهم واستولوا على أكثر بلاد الغرب وغيرها.
طوائف السودان
وشيء من أخبارهم ونسبهم
قال المسعودي: لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش ين كنعان نحو المغرب حتى
قطعوا نيل مصر. ثم افترقوا فسارت طائفة منهم ميميمين المشرق، وهم النوبة والحبشة
والزنج. وسار فريق منهم نحو المغرب، وهم أنواع كثيرة: الزغاوة والكانم ومرنك وكوكو
والحمى غانة وغير ذلك من أنواع الأجابش والدمادم، ثم افترق الذين يمموا بين المشرق
والمغرب، فصارت الزنج من المكمين والمسكو ودبرا وغيرهم من أنواع الزنج.
قال: ومن مدنهم بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج البربري،
طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل.
قال: وليست هذه بربرا هي التي تنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض إفريقية. قال:
ولباس هؤلاء الزنج جلود النمورة، وهي جلود كبيرة تحمل من أرضهم إلى بلاد الإسلام.
قال: وأقاصي بلاد الزنج بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب

كثيرة العجائب والخصب، حارة. واتخذ بها الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكاً اسمه
وقليمى وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار.
قال: ويركب وقليمى وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب، ودوابهم البقر، وليس
في أرضهم خيل ولا بغال ولا غبل ولا يعرفونها، وإنما يركبون البقر بالسروج واللجم، ويقاتلون
عليها وهي تعدو بهم كالخيل.
قال المسعودي: رأيت بالري نوعاً من هذه البقر تبرك كما يبرك الجمل وتحمل وتثور
بأحمالها، وتحمل عليها الميتة من الخيل والإبل وغيرها فتنهض بحملها.
والغالب على هذا النوع من البقر حمرة الحدق وسائر البقر تنفر منها. قال: ولا يقع البرد في
بلاد الزنج. قال: ومنهم ناس محددو الأسنان يأكل بعضهم بعضاً.
قال: ومساكن الزنج من
حد الخليج المشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق، ومقدار مسافة مساكنهم
واتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ: بر وأودية وجبال ورمال.
قال المسعودي: ومعنى تسمية ملك الزنج وقليمى أي ابن الرب الكبير، لأنه اختارهم
لملكهم والعدل، فمتى جار الملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه
الملك. وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء
والأرض، ويسمون الخالق عز وجل مكليجو وتفسيره الرب الكبير.
قال: والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم؛ يقف الرجل الزاهد منهم
فيخطب على الخلق الكثير منهم يرغبهم في القرب من ربهم ويبعثهم على طاعته، ويرهبهم
من عقابه، ويذكرهم من سلف من ملوكهم وأسلافهم، وليس لهم شريعة يرجعون إليها بل
رسوم لملوكهم، وأنواع من السياسات يرجعون إليها ويسوسون بها رعيتهم، وأكثر أكلهم
الموز، وهو كثير ببلدهم، وغالب أقواتهم الذرة ونبت يقال له الكلاري يقتلع من الأرض
كالكمأة والراسن، ويأكلون العسل واللحم.
قال: ومن هوى منهم شيئاً نم نبات أو حيوان وجماد عبده.
وجرائرهم لا تحصى كثرة
وفيها النارجيل.

وأما النوبة وما قيل فيها فافترقت فرقتين في شرقي النيل وغربيه وأناخت على شطيه
واتصلت ديارها بديار مصر، واتسعت مساكنها على شاطئ النيل مصعدة. ومدينتهم
دنقله. والفريق الآخر من النوبة يقال له غلوة وينزل مدينة الملك واسمها سرته.
وأما البجة وما قيل فيها فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقاً وملكوا عليهم
كلوكاص، وفي أرضهم معادن الذهب. قال: وانضاف إلى البجة طائفة من العرب من ربيعة
بن نزار بن معد بن عدنان وتزوجوا من البجة.
وأما الحبشة وما قيل فيها فإن دار ملكهم كعبر، وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة
النجاشي. وللحبشة مدة كثيرة وعمائر واسعة ويتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي، وله
ساحل فيه مدينة كبيرة، وهو مقابل لبلاد اليمن. فمن مدن الحبشة على الساحل: الزيلع
والدهلك وناصع، وفي هذه المدن جماعة ن المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة. قال: وبين
ساحل الحبشة ومدينة غلافقة، وهي ساحل زبيد من أرض اليمن، ثلاثة أيام عرض البحر.
قال: ومنه عبرت الحبشة إلى اليمن حين ملكته في أيام ذي نواس، وهذا الموضع هو أقل هذا
البحر عرضاً.
قال: وهنالك جزائر بين الساحلين منها: جزيرة العقل فيها ما ء يشرب فيفعل في القرائح
والذكاء فعلاً جميلاً، وبها جزيرة أسقطرة. وأما غير هؤلاء من الحبشة فمنهم من أمعن في
المغرب مثل: الزغاوة والكوكو القراقر ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطين ودويله
والقرمة. قال: ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملك يرجعون إليه.

الباب الرابع من القسم الرابع من الفن الخامس

ملوك العرب

ويتصل بهذا الباب خبر سيل العرم

ملوك قحطان

قل المؤرخون: لم يكن للعرب ملك حقيقي، وإنما كان من ملك حمير في بلاد اليمن سمى
ملكاً، وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم ويسيحون في الأرض حتى بلغوا
أقصى المغرب، وبلغوا من حدود المشرق سمرقند، وبلغوا باب الأبواب، ودخلوا بلاد الهند

ولم يستقروا في غير بلادهم، فلا يعد ذلك ملكاً، وإنما هو غارة.
فأول ملوك قحطان عبد شمس، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن عابر بن
شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وإنما سمى سبأ لأنه أول من أدخل بلاد اليمن السبي.
قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكلمة الزهر وصدفة الدر: إن عبد شمس هذا
ملك أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة. قال: وقد اختلف في أول من ملك منهم، فقيل
يعرب بن قحطان. قال: وهو أول من نطق بالعربية، وأول نم حياه ولده بتحية الملك: أبيت
اللعن، وأنعم صباحاً. والأشهر أن عبد شمس سبا هو أول ملوكهم. والله أعلم.
ثم ملك ابنه حمير بن سبأ، قال: وكان أشجع الناس في وقته، وأفرسهم وأجملهم. وقيل:
إنه غنما سمى حمير لكثرة لباسه الأحمر من الثياب، وكان يلقب بالعرنجج، وهو أول من
وضع تاج الذهب على رأسه من ملوك اليمن. وكان ملكه خمسين سنة، وذلك في عصر
قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.
ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ. فكان ملكه إلى أن هلك ثلثمائة سنة.
واختلف فيمن ملك بعده، فقيل: ملك بعده أبو مالك بن عسكر بن سبأ. فكان ملكه
ثلثمائة سنة. وقيل ملك بعد كهلان الرائس وهو الحارث بن شداد، وكان الحارث أول من
غزا منهم، وأصاب الغنائم، وأدخلها اليمن، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً، وسمى
الرائس لأنه لما أدخل الغنائم والأموال والسبي بلاد اليمن فراش الناس في أيامه. وفي عصره
مات لقمان النسور. قال: وذكر الرائش هذا نبينا صلى الله عليه وسلم في شعره، فقال من
قصيدته:

ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني أعمر بعد مخرجه بعام

قال: وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة. هكذا نقل عبد الملك بن عبدون وذكر
الخلاف في أبي مالك وارائش على ما ذكرناه. وأما غيره فإنه لم يذكر كهلان ابن سبا ولا أبا
مالك، بل قال: إن حمير عهد إلى ابنه الملطاط بن عمرو بن حمير. قال: وفي أيامه انقرض
ملك ملك صحار وجاسم ابني دارم وبادوا.

قالوا: ثم ملك بعده ابنه أبرهة ويقال له ذو المنار. قالوا: سمى بذلك لأنه أول من أقام المنار
في مغازيه على الطريق، وذلك أنه أوغل في بلاد المغرب والسودان، واتخذها ليهتدي بذلك في
قفوله. وكان ملكه مائة وثلاثين سنة، وقيل مائة وثلاثاً وثمانين سنة. هكذا ذكر ابن قتيبة في
كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة. وقال المسعودي: إن الذي ملك بعد الرائش جبار بن
غالب زيد ابن كهلان وقال: إن ملكه كان مائة وعشرين سنة، والله اعلم.
ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرته ابنه إفريقش، وهو ذوا الأذعار.
قال: سمي بذلك لأنه خرج نحو بلاد المغرب وأوقع بوم لهم خلق منكرة فذعر الناس منهم
وفرقوا. قال ابن عبدون: وغزا إفريقش بلاد المغرب حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض
فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب. وكان البربر بقية من قلت يوشع بن
نون. قال: وإفريقش هو الذي بنى إفريقية وبه سميت.
ثم ملك بعده ابنه العبد ويلقب ذا الشناتر، وهي الأصابع في لغة حمير.
قال: وخرج نحو العراق فاحتضر في طريقه. هكذا ذكر ابن حمدون. وقال عبد الملك: إن
الذي ملك بعد إفريقش أخوه العبد بن أبرهة. قال: وهو ذو الأذعار سمي بذلك لأنه كان
فيما ذكر أهل الأخبار غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة، ورجع إلى اليمن من
سبيهم بقوم وجوههم في صدورهم فذعر الناس فسمي بذي الأذعار. وكان ملكه خمساً
وعشرين سنة. وقد قدمنا أن ذا الأذعار هو إفريقش. والله أعلم.
ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل. هكذا قال ابن حمدون والمسعودي إلا أن
المسعودي لم يذكر عمراً وقال الهدهاد بن شرحبيل. وسماه ابن قتيبة هداد بن شرحبيل
بن عمرو بن الرائش، وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام. وكانت مدة ملكه
عشرين سنة، وقيل سبعة، وقيل سنة. وقد قدمنا خبر بلقيس وأنها ابنة ذي أشرح، وان
والدها لم يكن ملكاً وإنما كان وزيراً لملك حمير وهو شراحي المحيري. والله تعالى أعلم.

واختلف فيمن ملك بعد الهدهاد، قال المسعودي: تبع الأول. وكان ملكه أربعمائة سنة.
وقال ابن قتيبة أقل من ذلك، وقال: ملك بعد الهدهاد ابنته بلقيس وهي صاحبة سليمان
بن داود عليهما السلام. وكان ملكها مائة وعشرين سنة. وقد أتينا على أخبارها فيما
سلف من هذا الكتاب في قصة سليمان عليه السلام.
ثم ملك بعدها ياسر بن عمرو بن شرحبيل وهو ناشر النعم، قالوا: سمي بذلك لإنعامه
على العرب، وكان شديد السلطان، وسار غازياً وأوغل في بلاد المغرب حتى بلغ وادي
الرمل ولم يبلغه أحد قبله، وهو رمل جار، ولم يجد وراء ذلك مجازاً لكثرة الرمل وجريانه،
فبينما هو مقيم إذا انكشف الرمل فأمر بعض أهل بيته أن يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم
يعودوا غليه وهلكوا عن آخرهم، فأمر بصنم من نحاس فنصب على صخرة عظيمة على
شفير الوادي وكتب على صدره بقلم المسند: هذا الصنم لناشر النعم الحميري ليس وراءه
مذهب ولا يتكلفن أحد ذلك فيعطب، ورجع من هناك. وكان ملكه خمساً وثمانين سنة
على رواية ابن قتيبة.
وقال المسعودي: خمساً وثلاثين.
ثم ملك بعده أبو كرب شمر بن إفريقش، ويسمى يرعش لارتعاش كان به. قال: وخرج نحو
بعض العراق في زمن بستاسف أحد ملوك الفرس فأعطاه بستاسف الطاعة، وسار نحو
الصين حتى نزل في طريقه ببلاد الصغد، فاجتمع أهل تلك الأرض بمدينة سمرقند فأحاط
بهم شمر وافتحها عنوة وأسرف في القتل وخرب المدينة وهدمها فسميت شمركند، وعربت
بعد ذلك فقالوا: سمرقند. ومعنى شمركند أي خربتها شمر. وفيه يقول دعبل بن علي
يفتخر باليمن من قصيدة:

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الشاش كانوا كاتبينا
وهم سموا بشمر سمرقنداً وهم غرسوا هناك التبيتنا

قال: ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار، فاحتال وزير له بأن
جدع أنفه وأتى إلى شمر، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر مراحل، ومت إليه بأن ملك
الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر وخالف رأيه، فسأله شمر عن الطريق والماء،

فقال له: بينك وبين الماء ثلاث مراحل، فتزود لثلاثة أيام، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له
الرجل أمره مات هو وأصحابه عطشاً.
قال ابن قتيبة: وكانت مدة ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة. وقال المسعودي: ثلاثاً وخمسين
سنة.
ثم ملك بعده ابنه أبو ملك بن شمر، قال: وتأهب للأخذ بثأر أبيه فبلغه أن بالمغرب وادياً
من الزبرجد، فحمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه.
ثم ملك بعده ابنه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر. قال: وطلب ثأر جده وأتى سمرقند
فعمرها وجدد بناءها، ثم أتى الصين وأخرب مدينتها وابتنى هناك مدينة أسكن فيها
ثلاثين ألف رجل. قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة: هم إلى اليوم هناك في زي
العرب، ولهم بأس وشدة - يعني يوم صنف كتابه وهو في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أو
نحو ذلك - قال: وفي أوانه كان بوار طسم وجديس على ما نذكره في وقائع العرب.
قال: وفي أوانه أيضاً كان سيل العرم وتفرق سبأ وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله
تعالى.
قال ابن قتيبة: وكان ملك تبع الأقرن ثلاثاً وخمسين سنة. قاغل المسعودي: إن ملكه كان
مائة وثلاثاً وستين سنة. ولم يذكرا الملك الذي كان قبله، ونسبا هذا الملك أنه ابن شمر.
ثم ملك على ما رواه ابن حمدون - وهو إن شاء الله أشبه بالصواب - أسعد ابن
عمرو. قال: وملك والملك متشتت فاستفز قومه فنهضوا معه في ملوك اليمن حتى قتلهم
ملكاً ملكاً، وانتظم له ملك اليمن، فوجه بابن عم له يقال له القيطون إلى الحجاز فبغى
وظلم فقتله اليهود. ولما بلغ أسعد ذلك غضب وحلف ليقتلن كل يهودي في الأرض، وتجهز
في مائة ألف حتى ورد يثرب، فاجتمع الأوس والخزرج وأخبروه بقصة ابن عمه وفجره
وظلمه فعفا عن اليهود وقال: لست أرضى بالظلم ولو علمت ذلك منه لقتلته، وأتاه بنو
هذيل بن مدركة فرغبوه في الكعبة وما فيها من الذهب والجوهر، فقدم مكة لذلك، فاجتمع

إليه أحبار اليهود وقالوا: إن هذا البيت العتيق الذي ليس لله عز وجل بيت في الأرض
غيره وقد رام إفساده كثير من الملوك فأبادهم الله. وفي هذه البلدة يكون مولد نبي آخر
الزمان اسمه محمد وأحمد من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو خاتم الرسل، وإنما أراد
من ذلك على ذلك هلاكك، فضرب أعناق الهذليين وأقام بمكة ستة شهور ينحر في كل يوم
ألف ناقة، وكسا البيت وعلق عليه باباً من الذهب.
ولما هلك ملك بعده ابن عمه مرثد بن عبد بن تبع الأقرن المعروف بذي الأعواد. قال:
وكان ملكه أربعين سنة. ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين في الملك على
كل واحد منهم تاج. قال: وخرجوا إلى مكة ليقلعوا الحجر الأسود ويبتنوا بيتاً بصنعاء
يكون حج الناس إليه؛ فاجتمعت كنانة وقلدوا أمرهم فهر بن مالك والتقوا فقتل ثلاثة من
الملوك وأسر الرابع.
ولما أسر هؤلاء ملكت بعدهم أختهم أبضعة ابنة ذي الأعواد. قال: وكانت فاجرة فقتلها
قومها.
ثم ملك بعد أولاد ذي الأعواد ملكيكرب بن عمرو بن سعد بن عمرو، وكانت مدة ملكه
عشرين سنة، وتحرج عن سفك الدماء فلم يغزو ولم يخرج من اليمن.
ثم ملك بعده تبع أسعد بن ملكيكرب. قال: ولما ملك غزا بني معد بتهامة في ثلثمائة ألف
طالباً لدماء الملوك الأربعة، واجتمع بنو معد وعقدوا الرياسة لأمية ابن عوف الكناني
المعروف بالعنسي، ثم نفست ربيعة أن تكون الرياسة في مضر فقعدت عنهم، فضعفت
مضر عن تبع وسألوه الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك الأربعة، عن كل ملك ألف ناقة.
وكذلك كانت دية الملوك في الجاهلية. وديات من قتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة،
فقبل تبع ما بذلوه وانصرف إلى أرضه ووقع الشر بين الحيين: ربيعة ومضر، فأرسلت ربيعة
إلى تبع رسلاً فعقد بينهم حلفاً وعقداً، وهو الحلف الباقي بين ربيعة واليمن إلى أن جاء
الإسلام. وأقام تبع هذا بأرض الشام ما شاء الله، ثم سار إلى الهند في البحر باشر الحرب

بنفسه فبرز إليه ملك الهند، وهو ابن فوز الذي قتل الإسكندر أباه فقتله تبع بيده،
وتحصنت اليهود بمدينتهم وحاصرهم تبع شهراً حتى سألوه الأمان فآمنهم وقفل إلى بلاده.
ثم ملك بعده ابنه حسان بن تبع. قال: فغزا العراق في ثلثمائة ألف وأتى في طريقه مكة،
وقد عادت إليها خزاعة عند وفاة فهر بن مالك، فأعطاه بنو نزار الطاعة. وروى عنه شعر
يخبر فيه ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم.

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً وابن عم

قال: ولما ورد العراق وجد الفرس وسلطانهم واه وقد مات هرمز وولدت امرأته غلاماً،
وهو سابور ذو الأكتاف، ومربية أحد عظماء الفرس، فلم يقم بضبط الملك؛ فاستقبلوه
بالطاعة وأقروا له بالخراج، فأقام بالعراق حولاً وعزم على غزو الصين فساء ذلك حمير
وقالوا: نغيب عن أولادنا وأعيالنا ولا ندري ما يحدث بهم، فمشوا إلى عمرو أخي حسان
الملك وبعثوه على قتل أخيه على أن يملكوه عليهم ويعود بهم إلى بلادهم، وأعطوه العهود
والمواثيق إلا رجل يقال له ذو رعين، فقال لهم: إنكم إن قتلتم ملككم ظلماً خرج الأمر
منكم فلم يحفلوا به، فأقبل بصحيفة مختومة وقال لعمرو بن تبع: لتكن هذه الصحيفة وديعة
لي عندك إلى وقت حاجتي إليها، وأقبل عمرو ليلاً إلى أخيه حسان وهو نائم في فراشه
فقتله وانصرفت حمير إلى بلادها. هكذا نقل ابن حمدون في تذكرته.
وقال أبو علبي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم في أخبار
الفرس: إن ملك الفرس لما غزا الفرس ابنه حسان وابن أخيه شمر. قال: فسار تبع حتى
نزل الحيرة ووجه ابن أخيه شمرا ذا الجناح إلى قباذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري، ثم
أدركه بها فقتله.
قال: ثم إن تبعا أمضى شمرا ذا الجناح وابنه حسان إلى الصغد وقال: أيكما سبق إلى
الصين فهو عليها. وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال إنهما سامائة ألف وأربعون
ألفاً، وبعث ابن أخيه - واسمه يعف - إلى الروم.

قال: فأما يعفر فإنه سار حتى أتى القسطنطينية، فأعطوه الطاعة والأتاوة ومضى إلى
رومية فحاصرها، ثم أصابهم جوع ووقع فيهم الطاعون فتفرقوا، وعلم الروم بذلك فوثبوا
عليهم فلم يفلت منهم أحد.
وأما شمر ذو الجناح فإنه سار حتى انتهى إلى سمرقند فحاصرها فلم يظفر منها بشيء
فلما رأى ذلك طاف بالحرس حتى أخذ رجلاً من أهلها فاستمال قلبه ثم سأله عن المدينة
وملكها فقال: أما ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الأكل والشرب والجماع، ولكن له
بنت هي التي تقضي أمر الناس، فمناه ووعده حتى طابت نفسه، ثم بعث معه هدية إليها
وقال: أخبرها أني إنما جئت من أرض العرب للذي بلغني من عقلها لتنكحني نفسها،
فأصيب منها غلاماً يملك العرب والعجم، وإني لم أجئ ألتمس مالاً، وإن معي من المال
أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة هاهنا، وأنا أدفعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت لي
الأرض كانت امرأتي، وإن هلكت كان المال لها. فلما انتهت رسالة إليها قالت: قد أجبته
فليبعث المال، فأرسل إليها بأربعة آلاف تابوت، في كل تابوت رجلان، وكان بسمرقند أربعة
أبواب على كل باب منها أربعة آلاف رجل. قال: وجعل سمرقند العلامة بينه وبينهم أن
يضرب لهم بالجلجل، وتقدم بذلك إلى رسله الذين وجههم، فلما صاروا بالمدينة ضرب
بالجلجل فخرجوا وأخذوا بالأبواب، ونهد شمر في الناس فدخل المدينة وقتل أهلها،
واحتوى على ما فيها. ثم سار إلى الصين فلقي الترك فهزمهم، وانتهى إلى حسان بن تبع
بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين.
قال: وفي بعض الروايات وهي المجتمع عليها: إن حسان وشمراً انصرفا في الطريق الذي كانا
أخذا فيه حتى قدما على تبع بما حازا من الأموال بالصين وصنوف الجوهر والطيب
والسبي، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم، فكانت وفاة تبع باليمن. وكان ملكه مائة سنة
وإحدى وعشرين سنة.
قال: وأما في الرواية الأخرى فإن تبعا أقام ووطأ ابنه حسان وابن أخيه شمر أن يملكا

الصين ويحملا إليه الغنائم، ونصل بينه وبينهم المنار، فكان إذا حدث حدث أوقدوا النار،
فأتى الخبر في ليلة.
قال: وقد ذكر بعض الرواة أن الذي سار في المشرق من التبابعة تبع الأخير؛ وهو تبع تبان
أسعد أبو كرب بن مليك بن زيد بن عمرو بن ذي الأذعار، وهو أبو حسان. انتهى ما
أورده ابن مسكويه من أخبارهم، فلنرجع إلى مساق ما قدمناه مما نقله ابن حمدون.
قال: ثم ملك حسان بن تبع أخوه، فقتله عمرو بن تبع. قال: وانصرف بالقوم إلى بلادهم
فسلط الله عليه السهر فكان لا ينام، فجمع الكهنة والقياف والعرافين فسألهم عن ذلك فلم
يعرفوه، فقال له رجل منهم: إنه يقال من قتل أخاه ظلماً سلط عليه السهر وحرم النوم،
فأحال بالذنب على حمير وجعل يقتل من أشار عليه بقتل أخيه واحداً بعد واحد، ثم
أرسل إلى ذي رعين ليلحقه بمن قتل من أصحابه، فقال: أيها الملك إني خالفت القوم فيما
زينوا لك من قتل أخيك. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: الصحيفة التي أودعتها عندك،
فأخرجها فقرأها فإذا فيها:

ألا من يشتري سهراً بنوم خلى من يبيت قرير عين
فإن تك حمير غدرت وخانت فمعذرة الإله لذي رعين

قال: فخلى عمرو سبيله.
قال: ولما قتل عمرو أشراف قومه وصناديدهم تضع أمر حمير ووهي ملكها، فطمع فيه بنو
كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فوثب ربيعة ابن نصر بن الحارث بن عمرو
بن عدي بن مرة بن زيد بن مذحج بن كهلان في قومه وجمعهم من أقطار الأرض، وجمع له
عمرو بن تبع والتقوا فقتل عمرو بن تبع.
وملك بعده ربيعة بن نصر المقدم ذكره قال: وكان قد رأى رؤيا أزعجته وعبرت له أن
الحبشة تملك بلاده فوجه ابن أخيه جذيمة بن عمرو بن نصر ومعه ابنه عدي بن ربيعة
وهو صبي، ووجه معهما حرمه وخزائنه، وكتب لهم إلى سابور ذي الأكتاف، فأسكنهم
سابور الحيرة وملكهم ما حولها.
قال: ولما بلغ عدي بن ربيعة الحلم زوجه جذيمة أخته رقاش فولدت له عمرو بن عدي.
وهؤلاء ملوك الحيرة على ما نذكره في أخبارهم.

قال: ولما مات ربيعة بن نصر تجمعت حمير فآذنت كهلان بحرب أو إعادة الملك فيهم،
ودخل بينهم السفراء فسلموا الملك إلى حمير فملكت حمير عليها أبرهة ابن الصباح بن
لهيعة لن شيبة الحمد بن مرثد بن الحير بن سيف بن مصلح ابن عمرو بن مالك بن زيد بن
سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سعد ابن زرعه بن ذي المنار.
قال: فملك عليهم ومكث طول أيام سابور ذي الأكتاف ثم مات.
فملك بعده ابن عمه صهبان بن محرث. قال: فبعث عماله على أرض العرب، واستعمل
على ولد سعد بن عدنان ابن خاله الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة ابن عدي بن مرة
بن زيد بن مذحج بن كهلان، وكان الحارث يلقب بآكل المرار، وهو جد امرئ القيس
الشاعر بن حجر بن الحارث، وهو جد الأشعث بن قيس ابن معد يكرب بن جبلة بن
عدي بن الحارث المذكور؛ فقسم الحارث مملكته بين ولده، وكانوا ثلاثة: فملك ابنه حجراً
على أسد وكنانة، وملك شرحبيل على قيس وتميم، وملك سلمة على ربيعة، فمكثوا
كذلك حيناً حتى مات أبوهم الحارث فوثبت بنو أسد على حجر فقتلوه، ووثبت قيس
وتميم على شرحبيل فطردوه، فغضب صهبان وتجهز للمسير إلى مصر، فاستغاثت مضر
بربيعة وجاءت وفودهم إليهم واستنصروهم، ورئيسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير
بن جشم ابن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب بنوائل، واجتمعت ربيعة ومضر والرياسة
على الحيين لكليب؛ فقاتلوا صهبان وعظماء قومه، وهو اليوم المشهور في العرب، فقتل
صهبان. وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم:

ونحن غداة أوقد في خزاز رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنوا أبينا
فآبوا بالنهاب والبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

قال: ولما قتل صهبان بن محرث ملك بعده الصباح بن أبرهة بن الصباح.
قال: وكان نجداً نجداً، فسار إلى معد في مئتي ألف يطلب ثأر صهبان. قال: وتجمعت معد
ورئيسهم كليب أيضاً، وكانت الحرب بينهم بموضع يسمى الكلاب، فانهزمت اليمن. وهذان

اليومان من مفاخر نزار على اليمن، وامتنعت معد بعد ذلك على اليمن حتى قتل كليب بن
ربيعة.
قال: ولما مات الصباح ملك بعده ابن عم له فاسق، وقيل: إن الذي ملك لخنيعة ذو
شناتر، قال: ولم يكن من أهل بيت الملك، فاغري بحب الأحداث من أبناء الملوك، فكان
يطالبهم بما يطالب به النسوان، وكان لا يسمع بأحد من فتيان العرب وأولاد الملوك حسن
الصورة إلا استدعاه وطالبه بهذا الفعل القبيح، ولم يزل على هذه الطريقة المذمومة حتى نشأ
غلام من أبناء ملوك حمير اسمه زرعة. ابن كعب ويدعى ذا نوس؛ سمي بذلك لأنه كان له
ذؤابتان تنوسان على عاتقه، وكان وضيئاً فاستدعاه لمثل ما كان يدعو إليه غيره، فجعل
تحت إخمصه سكيناً، فلما خلا له الملك واثبه ذو نواس فقتله ثم حز رأسه، وكان له كوة
يشرف منها على عبيده إذا قضى حاجته من الغلام الذي يكون عنده ويضع مسواكاً في
فيه، فلما قتله ذو نواس جعل السواك في فيه، وجعل رأسه في تلك الكوة التي كان يشرف
منها على عبيده، ثم خرج على العبيد فقالوا له: ذو نواس، أرطب أم يباس؟.
فقال لهم: سل نخماس استرطبان ذو نواس. استرطبان لابأس. وتفسير ذلك سلو الرأس
التي في الكوة تخبركم واتركوا ذا نوس، قال: فأجمعت حمير عليه أمرها وقالوا: ينبغي أن
نملكه لأنه أراحنا من الهذا الفاسق.
فملك عليهم ذو ناس زرعة هذا. قال: ولما ملك واستتب له الأمر فارق عبادة الأوثان
ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى ابن مريم عليه السلام
ممن امتنع من موافقته، ثم قصد نجران وبها عبد الله بن الثامر وأصحابه وهم على دين
عيسى عليه السلام، فسألهم الدخول في اليهودية فامتنعوا، فقتل عبد الله بن الثامر بالسيف
وأضرم للباقين ناراً عظيمة فألقاهم فيها، وهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى في
كتابه العزيز فقال: قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على
ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أ ن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. قال: ولم ينج

منهم إلا نفر قليل. وكان سبب تهوده ا، حمير لها بيت نار فيه أصنامهم، وكان يخرج من
تلك النار عنق يمد مقدار فرسخين، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا: أيها الملك إن هذا
العنق من النار شيطان، فطلب منهم تبيان ذلك، فنشروا التوراة وقرؤوها فتراجع ذلك
العنق وطفئت تلك النار، فأعظم ذو نواس ذلك ودخل في دين اليهودية.
قالوا:
ثم إن أحد الناجين من نجران - ويعرف بدوس بن ذي ثعلبان - قصد قيصر ملك الروم
مستنجداً به، ومعظماً عنده ما جرى على قومه وهم على دينه، فاعتذر إليه ببعد دياره
وقال: سأكتب لك إلى ملك على دينك قريب من ديارك، فكتب إلى النجاشي ملك
الحبشة، فلما عرض عليه الكتاب وحدثه بما جرى على أهل ملته غضب وحمى لأهل
دينه، وندب من جنوده سبعين ألف رجل مع ابن عمه أرياط، وتقدم إليه بأن يقتل كل من
باليمن على دين اليهودية، فركب أرياط في البحر حتى انتهى إلى عدن فأحرق السفن وقال:
يا معشر الحبشة، العدو أمامكم، والبحر وراءكم، ولا منجى لكم إلا الصبر حتى تظفروا
أو تموتوا كراماً.
قال: والتقوا واقتتلوا فانهزمت حمير بعد حرب عظيمة وقتل منهم خلقاً كثيراً.
قال: واقتحم ذو نواس البحر بفرسه وقال: والله الغرق أفضل من أسر السودان، فغرق.
وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان. فجميع ما
ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة.
واستولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرياط الأموال على أشراف الحبشة وحرم
الضعفاء، فجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم وخرج على أرياط وحاربه فقتله
أبرهة بيده واستولى أبرهة على ملك اليمن.
ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرياط وحلف لأطان أرض أبرهة سهلها وجبلها
برجلي، ولاجزن ناصيته بيدي، ولأهرقن دمه بكفي، وتجهز للمسير إلى أرض اليمن، فبلغ
ذلك أبرهة فملأ جرابين من تراب السهل والجبل، وعمد إلى ناصيته فجزها ووضعها في

حق، واحتجم وجعل دمه في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك،
وبعث بذلك إلى النجاشي وكتب إليه يعتذر مما فعله أرياط وأنه خالف سيرتك في العدل،
وقد بلغني ما حلفت، وقد بعثت إليك بجرابين من تراب السهل والجبل، فطأها هنالك
برجلك، وجز ناصيتي بيدك، وأهرق دمي بكف، وبر في يمينك، ولطف غضبك عني فإنما
أنا عبد من عبيدك، وعامل من عمالك. فاعجب النجاشي عقل أبرهة وأقره على مكانه
ورضي عنه؛ فبقي إلى زمان كسرى أنوشروان وهو صاحب الفيل.
وكانت قصته انه نظر إلى أهل اليمن يتأهبون للحج، فسأل عن أمرهم، فاخبر أنهم يخرجون
حجاجاً إلى مكة فقال: أنا أكفيهم تجشم هذا السفر البعيد ببيعة أبنيها بصنعاء فيكون
حج اليمن إليها، وأمر ببنائها فبنيت. وقد تقدم وصفها في الفن الأول في المباني، ونصل
عند المذبح درة عظيمة تضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج، ثم أدى أهل مملكته
بالحج إليها ،فغضب العرب لذلك، فانطلق رجلان من خثعم فأحدثا في البيت الذي بناه
ولطحاه بالعذرة.
وقيل: إن الذي فعل ذلك رجل من كنانه، فاتهم أبرهة قريشاً بذلك، وكان حينئذ بصنعاء
تجار من قريش فيهم هشام بن المغيرة، فأحضرهم وسألهم عمن احدث في بيعته، فأنكروا
أن يكونوا علموا بشيء من ذلك، فقال أبرهة: ظننت أنكم فعلتم ذلك غضباً لبيتكم الذي
يحج إليه العرب، فقال هشام بن المغيرة: إن بيتنا حرز تجتمع فيه السباع مع الوحوش،
وجوارح الطير مع البغاث، ولا يعرض منها شيء لصاحبه، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك
هذه من كان على دينك، فأما من كان على لصاحبه، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك هذه
من كان على دينك، فأما من كان على دين العرب فلا يؤثر على ذلك شيئاً. فاقسم ليسيرن
إلى البيت فيهدمه حجراً حجراً. فقال له هشام بن المغيرة: إنه قد رام ذلك غير واحد من
الملوك فما وصلوا إليه لأن له رباً يمنعه. فخرج أبرهة في أربعين ألفاً وسار بالفيل، فغضبت

لفعله همدان وجمعت إليها قبائل من اليمن - وكان ملكهم رجلاً من أشراف اليمن يقال
ص 306 فاستقبلوه فحاربه فهزمهم وظفر بذي نفر ملك همدان ونفيل بن حبيب سيد
أسيرين فأمر بضرب عنقهما. فقالا: أيها الملك، استبقنا لندلك على الطريق فأنا من أدل
العرب، ففعل ذلك. فلما صاروا في مفرق الطريقين: مكة والطائف، قال ذو نفر لابن حبيب:
كفى بنا عاراً ا، ننطلق بهذا الأسود إلى بيت الله تعالى فيهدمه قال ابن حبيب: هلم بنا
لنأخذ به طريق الطائف فيشتعل بتثقيف ولعله يرى ما يسوءه فلم يشعر أهل الطائف
صباحاً إلا والجيوش قد وردت عليهم، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم، فاعلم أبرهة
أنها ليست طريقه، وسار أبرهة حتى أتى مكة واستاق السوائم ونزل على حد الحرم؛
فكان فيما ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم، فركب عبد المطلب فرسه وقصد
العسكر ودخل على أبرهة فأعجبه جماله وأكرمه ونزل عن سرير كان عليه وحبس دونه
حتى لا يرفع عبد المطلب غليه، ثم قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن يرد على الملك
مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك، قال له أبرهة: قد كان بلغني شرفك في العرب
وفضلك فأجببتك، ثم دخلت علي فرأيت من جمالك ووسامتك مازادني حباً، فنقصت
عندي في سؤالك إياي مائتي ناقة وتركت أن تسألني في الرجوع عما هممت به من هدم هذا
البيت الذي هو شرفك وعزك قال عبد المطلب: أيها الملك، إن لهذا البيت رباً سمنعه
منك وأنا رب إبلي، وقد رام هدمه من لا يحصى نم الملوك فرجعوا بين أسير وقتيل، فرد
إبله، اجتمع إلى عبد المطلب أشراف قومه فقالوا: اجعل له مالاً نجمعه له ليرجع عما هم به
من هدم هذا البيت. قال لهم عبد المطلب: وما عسى أن نجعل له من المال مع عظم ما
هو فيه من الملك والسلطان اطمئنوا، الله أمددكم، فوالله لا يصل إليه أبداً. ثم أنشد عبد
المطلب يقول:

يا رب إن المرء يم نع جاره فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم بغيا وما جمعوا محالك
إن كنت تاركهم وقب لتنا فأمر ما بدا لك

ثم علا جبل أبي قبيس هو وحكيم بن حزام ونفر من سادات قريش، وهرب الناس،
فلحقوا برءوس الجبال، وأم أبرهة البيت وقدم أمامه الفيل، وكان أكبر فيل رآه الناس كالجبل
العظيم، واسمه بلسان الحبشة محمود؛ فلما انتهى الفيل إلى طرف الحرم برك، فكانوا
بنخسونه، فإذا أخذوا به يميناً وشمالاً هرول، وإذا أقحموه برك. فلم يزل كذلك بقية
يومهم. فلما قارب المشاء نظروا إلى طير قد أقبلت من نحو البحر لا تحصى كثرة أصغر من
الحمام، فعجبوا من كثرتها ولم يغرفوها ولا رأوا على خلقتها طيوراً، وكان مع كل طير ثلاثة
أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، على مقدار الحمص، فرفرفت على رءوسهم
وأظلت عسكرهم، ثم قذفت بالحجارة عليهم، وهبت ريح شديدة فزادت الحجارة صعوبة
وقوة، فكان الحجر منها إذا وقع على رأس الرجل منهم نفذ حي يخرج من دبره، فإذا سقط
على بطنه خرج من ناحية ظهره، فكان ما أخبر الله عز وجل عنهم في سورة الفيل: "
فجعلهم كعصف مأكول". وخرج عبد المطلب وأصحابه فملأ وأيديهم من المال، وأرسل إلى
قريش فجاءوه من الجبال وغنموا ما شاءوا، فعظمت قريش في أعين العرب وسموهم آل الله،
وازداد عبد المطلب وأصحابه شرفاً. وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومهم
بخمس وخمسين ليلة. وكان ذلك بعد عشرين سنة من ملك أنوشروان.
وملك اليمن بعد أبرهة بأنه يكسوم.
ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة، وهو الذي زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن على ما
نذكره إن شاء الله تعالى.
ذكر خبر سيف بن ذي يزن
وعود الملك إلى حمير
وذلك أن حمير لما رأت ملك الحبشة قد دام عليهم ونوارثوه فيهم، اجتمع ساداتهم إلى
سيف بن ذي يزن - وهو من أولاد ذي نواس الذي غلب الحبشة على اليمن في أيام ملكه
- وبذلوا له أن يجمعوا له نفقة تقيمه ليسير إلى بعض الملوك فيستنجده ففعل ذلك، وسار
حتى وافى القسطنطينية إلى قيصر ملك الروم، فاستنجده فقال له قيصر: إن الجيش على

ديني، وما كنت لأعينك عليهم، وأمر له بعشرة ألف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: إذا لم
تنصرني فلا حاجة لي إلى مالك.
وانصرف إلى كسرى واستنجده، فقال له كسرى: بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة خيرها،
إنما فيها الشاء والبعير وما لا حاجة لي فيه. فقال له سيف: لاتزهدن أيها الملك في بلادي
فإنها فرضة العرب، وأرض التبابعة الذين ملكوا أقطار أقاليم الأرض، ودان لهم أهل الشرق
والغرب. قال كسرى: ما كنت لأغرر بجندي فيما لا ينفعني وأمر له بعشرة آلاف درهم.
فلما انتهى إلى باب القصر نثرها في الناس حتى أتى عليها، فبلغ ذلك كسرى فغضب وقال
له: ما الذي حملك على استخفافك بصلتي حتى نثرتها في الناس؟ قال: ما أصنع بالمال
وتراب أرضي ذهب وفضة ثم خنقته العبرة، فرق له كسرى ووعده بالانتصار له، فأشار
عليه بعض وزرائه فقال: إن في سجونك بشراً كثيراً ممن استوجب القتل، فمر بإطلاقهم،
وقوهم بالمال والكراع والسلاح، ووجههم مع هذا العربي، فإن ظفروا كان ذلك زيادة في
ملكك، وغن قتلوا كان ذلك جزاء عن جرائمهم. فاعجب كسرى هذا الرأي وعمل به
وقدم عليهم وهرز بن كامخان، وكان من فرسان العجم وأهل البيوتات، وقد أناف على المائة
من السنين، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف وستمائة رجل، فركبوا البحر في سبع سفن، وأرسل
سيف إلى اليمن ومخاليفها، فأتوه من أقاصي اليمن وادانيها حتى صاروا في عشرين ألفاً
وتجهز إليهم مسروق، فلما التقيا قال وهرز لسيف: أرني ملكهم، فأراه إياه؛ وهو على فيل
وعلى رأسه التاج وفيه ياقوتة حمراء مدلاة على جبينه، فلبث ساعة ثم تحول إلى فرس ثم
تحول إلى بغله، فقال وهرز: ذل الأسود وبد ملكه، وأنا أرميه فتأمل الرمية، فإن رأيت
أصحابه تصدعوا عنه وحاصوا يميناً وشمالاً فاعلم أني قتلته، وإن لم يتحركوا من منازلهم
فلم أصنع شيئاً؛ ورماه، ففلق السهم الياقوتة نصفين وخرج من مؤخر رأس مسروق،
واضطربت الحبشة وماجوا، وحمل عليهم وهرز ومن معه والعرب فولوا منهزمين، ودخلوا

صنعاء وقتلوا كل أسود يوجد في اليمن. وكتب وهرز إلى كسرى بالفتح، فكتب إليه
كسرى أن يسأل عن سيف بن ذي يزن، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على ملكه
وانصرف عنه، وإن لم يكن من أبنائهم فاضرب عنقه وأقم في الأرض متولياً لهم.
قال: فسلم وهز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وانصرف إلى كسرى،
وملك اليمن لكسرى، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى.
وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم انتزع عنهم.

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكلمو الزهر وصدفة الدر: ومن أهل اليمن من
خرج منها فملك الشام، وهم آل جفنة وأولهم: الحارث بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن
امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن
يستجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى الحارث بأبي شمر. ثم تداولها منهم سبع وثلاثون
ملكاً. ومدة ما ملكوا ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم،
وهو الذي تنصر في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر
وأسلم.
ثم إنه كان في الطواف فداس رجل طرف ردائه فلطمه جبلة، فأتى الرجل عمر رضي الله
عنه فطلب بلة ليقيده منه فتنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية، فأقطعه هرقل
الأموال والضياع والرباع، ثم ندم جبلة على ما كان منه وقال:

تنصر الأشراف من اجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة فبعث لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

وحكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى هرقل رسولاً يدعوه إلى الإسلام أو

إلى الجزية فأجاب إلى الجزية، فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل: ألقيت ابن عمك
هذا الذي عندنا - يعني جبلة - الذي أتانا راغباً في ديننا؟ فقال: ما لقيته. فإن ألقه، قال
الرسول: فذهبت إلى باب جبلة فإذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل
ما على باب هرقل. قال: فتلطفت في الدخول عليه حتى أذن لي، فدخلت فرأيته أصهب
اللحية، وكان عهدي به أسود اللحية والرأس، فأنكرته وإذا هو قد ذر سحالة الذهب على
لحيته حتى صار أصهب، وهو قاعد على سرير من قوارير، وقوائمه أربعة اسود نم
الذهب. قال: فلام عرفني رفعني معه على السرير. قال: وجعل يسألني عن المسلمين وعن
عمر رضي الله عنه؛ فذكرت خيراً وعرفته أن السملمين كثروا. ثم انحدوا عن السرير فقال لي: لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها؛ قلت: إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا. قال: نعم صلى الله عليه وسلم، ولكن نق قلبك من
الدنس ولا تبال على ا قعدت. فلما سمعته يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم طمعت
فيه فقلت له: ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله؟ قال: أبعدما كان مني؟
قلت: نعم. قال: إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الإمرة بعده رجعت إلى
الإسلام. قال الرسول: فضمنت له التزويج ولم أضمن له الغمرة. قال: ثم أومأ إلي خادم ما ن
على رأسه فذهب مسرعاً فإذا خدام قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام، فوضعت
ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة، قال لي: كل، فقبضت يدي وقلت: إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة. قال: نعم صلى الله عليه
وسلم، ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت. قال: فأكل في الذهب وأكلت في الخلنج، ثم جئ
بطسات الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فيها وغسلت في الصفر، ثم أومأ إلى خادم فمر
مسرعاً فإذا خدم معهم كراسي الذهب مرصعة بالجواهر، فوضعت عشرة عن يمينه
وعشرة عن شماله، ثم جاءت الجواري عليهن تيجان الذهب مرصعة بالجواهر، فقعدن عن

يمينه وعن شماله على تلك الكراسي، ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسناً على رأسها
تاج، على ذلك التاج طائر وفي يدها اليمن جامة مسك فتيت، وفي يدها اليسرى جامة فيها
ماء ورد، فأومأت الجارية أو صفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جام ماء الورد
فاضطرب فيه، ثم أومأت إليه أو صفرت فوقع في جام المسك فتمرغ فيه، ثم أومأت فطار
حتى نزل على تاج جبلة، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما عليه في رأسه، فضحك جبلة
سروراً به، ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه وقال لهن: بالله أضحكنا، فاندفعن يغنين
بخفق عيدانهن ويقلن:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلامهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أسحابهم شم الانوف من الطراز الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال: فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: أتدري من يقول هذا؟ قلت لا؛ قال: حسان بن
ثابت، ثم أشار إلى الجواري اللواتي عن يساره فقال لهن: بالله أبكيننا فاندفعن يغنين
عيدانهن ويقلن:

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالخمان
ذاك مغنىً لآل جفنة في الده ر وحق تعاقب الأزمان
قد أراني هناك دهراً سكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني

قال: فبكى حتى سالت دموعه على لحيته، ثم قال: أتدري من يقول هذا؟
قلت: لا، قال: حسان ثم أنشد: نصرت الأشراف الأبيات ثم سألني عن حسان احي
هو؟ قلت: نعم، فأمر له بكسوة ولي بمثلها، وأمر بمال لحسان وتوق موقرة برأتم قال: إن
وجدته حياً فادفع الهدية إليه، وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره.
قال: فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط علي وما ضمنت له
قال: فهلا ضمنت له الأمر
فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ثم جهزني عمر إلى القسطنطينية إلى هرقل ثانية
وأمرني أن أضمن له ما اشترط، فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس قد انصرفوا من
جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب.

ذكر أخبار ملوك الحيرة
وهم من آل قحطان
وأولهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن
كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان قد خرج من اليمن مع عمرو بن
عامر حين أحسوا بسيل العرم، وقد ذكرنا أن الملك ربيعة ابن نصر كان قد بعثهم إلى
سابور فأسكنهم الحيرة وملكوا ما حولها. والله اعلم. قال: وكان ملك مالك على الحيرة
عشرين سنة.
ثم ملك بعده ابنه جذيمة وهو الوضاح. قال: وكان يقال له ذلك لبرص كان به، ويقال أيضاً
فيه الأبرش، وكان ينزل الأنبار، وكان لا ينادم أحداً من الناس ذهاباً بنفسه على الندماء،
وكان ينادم الفرقدين فإذا شرب قدحاً صب في الأرض لهذا قدحاً ولهذا قدحاً، ويقال: إنه
أول من عمل المنجنيق من الملوك، وأول من حذيت له النعال. وأول من وقد بين يديه
الشمع، وهو الذي قتلته الزباء بحيلة.
ثم ملك بعده ابن أخته عمرو بن عدي بن ربيعة. قالوا: وعمرو هذا هو الذي استهوته
الجن دهراً طويلاً ثم رجع؛ فبينما مالك وعقيل ابناً فارح وفيل - قالح - يقصدان جذيمة
الملك بهدية إذا نزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها: أم عمرو، فتعرض لهما عمرو، وقد
طالت أظفاره وشعره وساءت حالته وهيئته، فجلس إليهما - وكانا يأكلان - فمد إليهما
يده مستطعماً فناولته تلك الجارية طعاماً فأكله، ثم مد يده ثانية فقالت: إن يعط العبد كراعاً
يتبع ذراعاً ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت سقاءها، فقال عمرو:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراهاً اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهما ففرحا به وأقبلا على خاله - وقد كان جعل الجعئل لمن
يأتيه به - فلما أتياه به قال جذيمة لهما: لكما حكمكما. فقالا: منادمتك. فكانا كما
اختارا، وسار بهما المثل، ويقال: إنهما نادماه أربعين سنة، فما أعادا عليه حديثاً مما حدثاه
به مرة أخرى، بل كانا يحدثانه بحديث جديد لم يسمعه منهما قبل.

وعمرو هذا هو الذي اخذ بثأر خاله جذيمة من الزباء وقتلها.
وذلك أن قصير ابن سعد
كان من غلمان جذيمة قال لعمرو: اضرب ظهري واقطع أرنبة أنفي واتركني والزباء، فإني
سأحتال لك عليها، ففعل به ذلك، ففر قصير إلى الزباء وصار في جملة رجالها وأراها
النصح والاجتهاد في حوائجها، وأنه غاش لعمرو ابن عدي؛ وجعل يتجر لها ويذهب لعمرو
في السر فيعطيه الأموال فيأتيها بها، كأن ذلك من اجتهاده وحذقه في التجارة حتى اطمأنت
له؛ فذهب إلى عمرو وأخذه واخذ معه ألفي رجل وجعلهم في جوالق على ألف جمل،
ومعهم دروعهم وسيوفهم وجاء على طريق يقال له الغوير، ولم يكن يسلكه قبل ذلك، فلما
قرب من حصنها تقدم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بمال صامت، فأشرفت من أعلى قصرها
تنظر إلى الجمال، فرأتها وكأنها تنزع من أوحال لثقل ما عليها، فقالت: عسى الغوير أبؤساً.
فذهبت مثلاً. ثم قالت:

ما للمطايا مشيها وئيداً أجندلاً يحملن أم حديداً
أم صرفاناً بارداً شديداً أم الرجال جثماً قعوداً

وقد كان قصير قال لها قبل ذلك كالاناصح: ما ينبغي لمثلك إلا أن يكون له موضع ليوم ،
فإنه لا يدري ما تحدثه الأيام؛ فأرته سرباً في ناحية قصرها قد نفذت فيه إلى حصن أختها
- وكانا على ضفتي الفرات - قال: فلما دخلت الإبل على البواب ضجر لكثرتها، حتى إذا
كان آخرها طعن في جوالق يعود كان في يده، فقابلت الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في
الجوالق فحنق فقال البواب: لشنا لشنا، أي شيء في الجوالق، فثارت الرجال من الجوالق
بأيديهم السيوف، فهربت الزباء إلى ذلك السرب فإذا هي بتقصير عند النفق ومعه عمرو بن
عدي، والسيف في يده، فمصت خاتماً كان في يدها فيه سم ساعة وقالت: بيدي لا بيد
عمرو. وفي ذلك يقول المتلمس:

وفي طلب الأوتار ما حز أنفه قصير ورام الموت بالسيف بيهس

وعمرو هذا هو الذي يقال فيه: شب عمرو عن الطوق. وكانت مدة ملكه مائة سنة.
ثم ملك بعده ابنه امرؤ القيس. فكان ملكه ستين سنة.

ثم ملك بعده ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب. وكان ملكه خمساً وعشرين
سنة، وكانت أمه مارية التي يضرب لمثل بقرطيها.
ثم ملك بعده النعمان بن المنذر فارس حليمة، وهو الذي بنى الخورنق وكردس
الكراديس. وكان أعور، ويقال: إنه أشرف في بعض الأيام على ما حول الخورنق فقال: أكل
ما أرى إلى نفاذ؟ فقيل: نعم. قال: فأي خير في ملك يكون آخره إلى نفاذ ثم انخلع من
ملكه ولبس المسوح وسار في الأرض. وقد ذكره عدي بن زيد فقال:

وتفكر رب الخورنق إذ أش ف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يم لك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال: فما غب طة حي إلى الممات يصير؟

وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة.
ثم ملك الأسود بن النعمان. فكان ملكه عشرين سنة. ويقال: إن الأسود هذا هو الذي
انتصر على غسان وأسر عدة من ملوكهم، وأراد أن يعفو عنهم، وكان للأسود ابن عم يقال
له: أبو أذينة قد قتل آل غسان له اخاً في بعض الوقائع، فقال قصيدته المشهورة يغري بهم
الأسود بن النعمان:

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وأحزم الأنس من إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضباً
وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبلهم ضرباً
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذباً
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جرودا السيف فاجعلهم له جزراً وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم تقول الناس كلهم لم يعف حلماً ولمن عفوه رهبا
وكان أحسن من ذا العفو لو هربوا لكنهم أنفوا من مثلك الهربا
همو أهلة غسان ومجدهم عال فإن حالوا ملكاً فلاعجبا
وعرضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وابلاً يروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا

علام تقبل منهم فدية وهمو لا فضة قبلوا ولا ذهبا
فلما انشده هذا القصيدة رجع عن رأيه في العفو عنهم وقبول الفداء منهم وقتلهم. والله أعلم.
ثم ملم بعده المنذر بن الأسود؛ وكانت أمه ماء السماء. وكانت مدة ملكه أربعاً وثلاثين سنة.
ثم ملك بعده عمرو بن المنذر. فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة.
ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر. وكان ملكه ستين سنة.
ثم ملك بعده قابوس بن المنذر. فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.
ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء.
ثم ملك بعده النعمان بن المنذر؛ وهو الذي قيل له: أبيت اللعن وهو آخر من ملك من آلهم. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة. وها نحن نذكر ما قيل في سبب ملكه وزواله.
قالوا:
وكان عدي بن زيد العبادي وابنه زيد بن عدي سبب ولايته وسبب هلاكه. وذلك أن عدياً وأخويه، وهما عمار وعمرو، كانوا في خدمة الأكاسرة ولهم من جهتهم قطائع، وكان قابوس الأكبر عم النعمان بعث إلى كسرى أبرويز بعدي بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يترجمون له، فلما مات المنذر ترك من الأولاد اثني عشر رجلاً، وهم الأشاهب، سموا بذلك لجمالهم، وفيهم يقول الأعشى:
وبنو المنذر الأشاهب بالحـ يرة يمشون غدوة كالسيوف
فجعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد هذا، وجعل ابنه الأسود في حجر رجل يقال له: عدي بن أوس بن مرينا، وبنو مرينا قوم لهم شرف، وهم من لخم، وترك المنذر بقية بنيه، وهم عشرة، يستقل كل واحد منهم بنفسه، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي، فلما مات قابوس طلب كسرى من يملكه على العرب، فدعا عدي بن زيد فقال له: من بقي من بني المنذر، وماهم؟ وهل فيهم خير؟ فقال: بقيتهم في ولد هذا الميت، يعني المنذر، وهم رجال نجباء؛ فكتب إليهم بالقدوم عليه، فقدموا فأنزلهم، على عدي بن زيد، وكان عدي يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن، وهو يظهر لهم خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر، ويكرم نزلهم ويخلو بهم ويريهم

أنه لا يرجو النعمان، كل ذلك ليطمئنوا إليه ويرجعوا إلى رأيه، ثم خلا بكل منهم على
انفراده وقال لهم: إن سألكم الملك أتكفوني العرب فقولوا: نكفيهم إلا النعمان، وقال للنعمان
إن سألك الملك عن إخوتك فقل له: إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم أعجز.
قال: وكان عدي بن أوس بن مرينا داهية أريبا، وكان يوصي الأسود ابن المنذر ويقول: قد
عرفت أني لك راج، وأن طلبتي إليك ورغبتي أن تخلف عدي بن زيد فيما يشير به عليك،
فإنه والله لا ينصح لك أبداً، فلم يلتفت الأسود إلى قوله. فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن
يدخلهم عليه قدمهم رجلاً رجلاً، وكسرى يرى رجالاً قلما رأى مثلهم، فإذا سألهم هل
تكفوني العرب قالوا: نكفيك العرب كلها إلا النعمان. فلما دخل النعمان عليه رأى رجلاً
دميماً قصيراً أحمر الشعر فكلمه وقال: هل تستطيع أن تكفيني العرب؟ قال نعم، قال:
فكيف تصنع بإخوتك؟ قال: أيها الملك إن عجزت عنهم فإني إن غيرهم أعجز. فملكه
وكساه والبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم. فلما خرج وملك على العرب قال عدي ابن
أوس بن مرينا للأسود بن المنذر: دونك فإنك خالفت الرأي.
قال: ثم إن عدي بن زيد صنع طعاماً ما في بيعة وأرسل إلى ابن أوس أن ائتني مع من
أحببت فإن لي حاجة، فأتاه في أناس فتغدوا في البيعة، فقال عدي بن زيد لعدي بن أوس:
ياعدي إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، إني عرفت أن صاحبك
الأسود كان احب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على
مثله، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأحب أن تعطيني من نفسك
ما أعطيتك من نفسي، فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك. فقام عدي بن
زيد إلى البيعة وحلف ألا يهجوه ولايبغيه غئلة أبداً، ولا يروي عنها خيراً، وحلف عدي بن
أوس على مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى أتى
منزله بالحيرة وافترق العديان على وحشة، فقال عدي بن أمس للأسود: إن لم تظفر أفلا

تعجز أن تطلب بثارك من هذا المعدي الذي عمل بنا ما عمل؟ فقد كنت أخبرتك أن
معداً لا تنام عن مكرها، وأمرتك أن تخالفه فعصيتني. قال: فما تريد؟ قال: ألا تأتيك فائدة
من ملكك ولا أرضك إلا عرضتها علي، ففعل. وكان عدي بن أوس كثير المال، فلم يمر به
يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية أو تحفة. فلما توالى ذلك وكثرت هداياه عنده النعمان
صار من أكرم الناس عليه، وصار لا يقضي في ملكه شيئاً إلا برأي عدي بن أوس. فلما
رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده تابعوه ولزموه؛ فكان يقول لمن يثق به نم
أصحاب النعمان: إذا رأيتموني أذكر عدي بن زيد عند الملك بخير فقولوا: إنه لكما يقول
ولكنه لا يسلم عليه أحد، وإنه يقول: إن الملك - يعني النعمان - إنما هو عامله، وإنه هو
الذي ولاه ما ولاه.
فلم يزالوا وأشباهه حتى أضغنوا عليه. ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدي إلى قهرمان كان له،
ودسوا من اخذ الكتاب وأتى به النعمان فقرأه فغضب، وأرسل إلى عدي بن زيد يقول:
عزمت عليك إلا زرتني فإني قد اشتقت إليك، وكان عند كسرى فاستأذن في زيارة النعمان
فأذن له، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه، فجعل يقول الشعر ويستعطفه به، فكان مما قاله:

بلغ النعمان عني مآلكا إنه قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وقال أشعاراً كثيرة كانت تبلغ النعمان فندم على حبسه وعلم أنه كيد فيه، فكان يرسل
إليه ويعده ويمينه، فلما طال سجنه وأعياه التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبى – وهو
عمار - وهو مع كسرى يخبره بحاله، ويبعثه على السعي في خلاصه، فدخل أبي على
كسرى وكلمه، فكتب إلى النعمان في أمره وبعث رسولاً بكتابه، فقال له أبي: إبدأ بعدي
أنظره قبل أن تجتمع بالنعمان، ورشاه على ذلك، ففعل الرسول ذلك ودخل إلى الحبس
واجتمع بعدي وقال له: ما تحب أن أصنع؟ قال: أحب ألا تخرج من عندي، وأعطني
كتاب كسرى لأرسله من قبلي. قال: لا أستطيع ذلك. قال: فإنك إن خرجت من عندي

قتلت. فقال: لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي، فانطلق إلى النعمان وأوصله
الكتاب فقبله وقال: سمعاً وطاعة، ووصله بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء وقال:
إذا كان من غد فادخل عليه وأخرجه بنفسك. وكان أعداء عدي أتوا النعمان وأخبروه
أن رسول كسرى دخل إلى عدي وأنه خرج من الحبس لم يستبق منا أحداً، ولم تنج أنت
ولاغيرك، فأمرهم النعمان بقتله، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وغموه حتى
مات، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس: إن عدياً قد مات منذ أيام، ولم نجرؤ
أن نخبر النعمان فرقاً منه لعلمنا بكراهيته لذلك، فرجع الرسول إلى النعمان فقال: إني كنت
بدأت به فدخلت عليه وهو حي. فقال له النعمان: يبعثك الملك إلي فتدخل إليه قبلي،
كذبت! ولكنك ارتشيت وتهدده، ثم استدعاه بعد ذلك وزاده جائزة وكسوة واستوثق منه
وصرفه إلى كسرى. فلما رجع إليه قال له: قد مات قبل مقدمي على النعمان.
قال: ثم ندم النعمان على قتل ندماً شديداً واجترأ أعداء عدي على النعمان وهابهم، ثم
ركب النعمان في بعض أيامه للصيد فلقي ابناً لعدي بن زيد، فكلمه فإذا هو غلام ظريف
ففرح به النعمان وقربه ووصله واعتذر إليه، ثم جهزه إلى كسرى وكتب إليه: إن عدياً كان
ممن أعين به الملك في نصيحته ورأيه، فانضقت مدته وانقطع أجله، ولم يصب به أحد أشد نم
مصيبتي، وإن الملك لم يكن ليفقد رجلاً من عبيده إلا جعل الله له منه خلفاً، وقد أدرك له
ابن ليس هو دونه، وقد سرحته إلى الملك فإن رأى أن يجعله مكان أبيه ويصرف عمه إلى
عمل آخر فعل. فأجابه كسرى إلى ذلك ورتبه في وظيفة أبيه، وسأله عن النعمان فأحسن
الثناء عليه، فمكث سنوات على منزلة أبيه واعجب به كسرى. وكان لصاحب هذه
الرتبة على العرب وظيفة في كل سنة من الأفراس والمهارة والكماة والأقط والأدم وغير
ذلك، وهو يلي ما يكتب عن كسرى إلى العرب.
قال: ثم تمكن زيد بن عدي بن زيد عند كسرى حتى كان يجتمع به في أوقات خلواته،

فدخل عليه في بعض الأيام فكلمه فيما دخل بسببه؛ ثم جرى ذكر النساء.
وكانت عنده الأكاسرة صفات امرأة، ومن رسمهم أن يطلبوا للملك من هي متصفة بتلك
الصفات، وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية كان أصابها لما أغار
على الحارث الأكبر الغساني، فكتب إلى أنوشروان بصفة الجارية فقال: هي معتدلة الخلق،
نفيه اللون والثغر، بيضاء قمراء وطفاء دعجاء حوراء عيناء قنواه شماء برجاء زجاء
أسيلة الخد شهية المقبل جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عريضة الصدر،
كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة
البنان، لطيفة طي البطن، خميصة الخصر، غرثي الوشاح، رداح الاقبال، رابية الكفل،
مفعمة الساق، لفاء الفخذين، ريا الروادف، ضخمة المأكمتين، عظيمة الركبة، مشبعة
الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضة المتجرد، سموع
للسيد، ليست بخلساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤس، حيية
رزينة، حليمة ركينة، كريمة الخال، تقتصر بنسب أبيها، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد
أحكمتها التجارب في الأدب، رأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع
الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت ساكنته، تزين البيت وتشين العدو إن أردتها اشتهت،
وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحمر وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة إذا
قمت، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست. فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في
ديوانه، فكانت تتوارث حتى انتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز. فلما قرئت هذه الصفة
عليه قال له زيد بن عدي: أيها الملك، أنا أخبر بآل المنذر، وعند عبدك النعمان من بناته
وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة. فقال له كسرى: اكتب فيهن
إليه. فقال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرمون - زعموا
في أنفسهم - عن العجم، فابعثني إليه وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفقه العربية. فبعث

معه رجلاً جلداً فهما، فخرج به زيد حتى أتى الحيرة ودخل على النعمان؛ فلما دخل عليه
عظم الرسول أمر كسرى وقال له: إنه قد احتاج آلة نساء لأهله وولده فأراد كرامتك بصهره
وبعث إليك فيهن. فقال النعمان: وما صفة هؤلاء النسوة؟ قال: هذه صفتهن قد جئناك
بها، وقرأها على زيد بن عدي، فشق ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول: أما في مها
السواد وعين فارس ما تبلغون به حاجتكم؟ فقال الرسول لزيد: ما المها والعين؟ قال:
البقر. فقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أن ذلك يشق عليك لما كتب
إليك، فأنزلهما يومين عنده ثم كتب إلى كسرى. إن الذي طلب الملك ليس عندي. ثم قال
لزيد: أعرني عنده. فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد: أين ما كنت أخبرتني به؟ قال: قد
كنت أخبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم، وإن ذلك من شقائهم، فسل هذا الرسول عن
مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله، فقال للرسول: وما قال؟ قال: إنه قال: أما
في بقر السواد وفارس ما يكفي الملك حتى يطلب ما عندنا! فعرف الغضب في وجه
كسرى ثم قال: رب عبد قد قال هذا فصار أمره إلى التباب، فبلغ كلامه النعمان. وسكت
كسرى على ذلك أشهراً، وهو يستعد ويتوقع حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه، فانطلق
النعمان حتى أتى جبال طيئ وهو متزوج منهم، فأرادهم أن يمنعوه فأبوا ذلك وقالوا: لولا
صهرك لقتلناك، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى، فأقبل يعرض نفسه على العرب فلا
يقبلوه، حتى نزل بذي قار بني شيبان سراً فلقي هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود
فأودعه سلاحه وتوجه إلى مسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط، فقال له: انج
نعيم! فقال: أنت يا زيد فعلت هذا! أما والله لئن أفلت لأسقينك بكأس أبيك! فقال له
زيد: امض نعيم، فقد والله وضعت عنده أخيه لا يقطعها المهر الأرن. قال: فلما بلغ كسرى
أنه بالباب أمر به فقيد وأبعده إلى خانقين فلم يزل بالسجن حتى مات بالطاعون.
قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم: والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله

الأعشى. والصحيح ما قلناه.
وقال ابن عبدون: إن النعمان لما أقبل إلى المدائن صف له كسرى ثمانية آلاف جارية
عليهن المصبغات وجعلهن صفين، فلما صار النعمان بينهن قلن له: أما فينا للملك غني عن
بقر السواد؟ وأن كسرى أمر بالنعمان فحبس بساباط المدائن، ثم أمر به فرمى بين أرجل
الفيلة فوطئته حتى مات. وفي ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر قتل كسرى أبرويز للنعمان
فقال:

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه نحور الفيول بعد بيت مسردق

ثم ملك إياس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام. فهؤلاء ملوك العرب باليمن والشام
والحيرة.

سد مأرب وسيل العرم

قد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز فقال:" لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين
وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سيل العرم " الآية. روى عن فروة بن مسيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما
أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ فقال: " ليس
بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة،
فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعرون
وحمير وكندة ومذحج وأنمار " فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: الذين منهم
خثعم وبجيلة. أخرجه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه.
وكانت ارض مأرب من بلاد اليمن متصلة العمارة مسيرة ستة أشهر، وقيل أزيد من شهرين
للراكب المجد، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض ستة اشهر؛ فكانت المرأة إذا أرادت
أن تجتني من ثمارها شيئاً وضعت المكل على رأسها وخرجت تمشي بين الأشجار وهي
تغزل وتعمل ما شاءت، فلا ترجع إلا وقد امتلأ مكتلها مما يتساقط فيه من الثمار.
واختلف في مأرب فقيل: إنه اسم ملك تلك الأرض فسمين به، قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وقيل: هو اسم لقصر الملك، وفيه يقول أبو الطمحان:
ألم تروا مأرباً ما كان أحصنه وما حواليه من سور وبنيان
قال: وكان أول من خرج من اليمن بسبب سيل العرم عمرو بن عامر مزيقيا، وقد ذكرناه في
الأنساب، وإن سبب تسميته مزيقيا أنه كان يلبس في كل يوم حلة وقيل حلتين، وهو الأشهر،
ثم يمزقهما عشية نهاره لئلا يلبسهما غيره، وكان هذا دأبه في كل يوم.
وكأنسب خروجه من اليمن وإطلاعه على خبر سيل العرم قبل حدوثه دون غيره من
الناس أنه كان له امرأة كاهنة يقال لها: طريفة الخير، وكانت قد رأت في منامها أن سحابة
غشيت أرشهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه، ففزعت طريفة
الخير لذلك فزعاً شديداً وأتت إلى زوجها عمرو بن عامر وقالت: ما رأيت اليوم أزال عني
النوم. فقال لها: ما رأيت؟ قالت: رأيت غيماً أرعد وابرق ثم أصعق فما وقع على شيء
إلا احترق. قال: فلما رأى ما داخلها من الروع والفزع سكنها.
ثم إن عمراً بعد ذلك دخل حديقة له ومعه جارية من بعض جواريه، فبلغ ذلك امرأته
طريفة فخرجت إليه ومعها وصيف لها اسمه سنان، فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث
مناجد منتصبات على أرجلها، واضعات أيديها على أعينها. قال: والمناجد: دواب تشبه
اليرابيع. فلما نظرت طريفة إليها قعدت إلى الأرض ووضعت يديها على عينيها وقالت
لغلامها: إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني، فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة، فلما
عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت سلحفاة من الماء فوقعت في الطريق على
ظهرها وجعلت تروم الانقلاب ولا تستطيع، وتستغفر بيديها وتحث التراب على بطنها من
جنباته وتقذف بالبولى. فلما رأتها طريفة الخير جلست إلى الأرض. فلما عادت السلحفاة
إلى الماء مضت طريفة حتى دخلت الحديقة على عمرو حين انتصف النهار في ساعة
شديدة الحر فإذا الشجر يتكافأ من غير ريح، فلما رآها استحيى منها وأمر الجارية بالتنحي
ثم قال لها: ما أتى بك يا طريفة؟ فكهنت وقالت: والنور والظلماء، والأرض والسماء، إن

الشجر لهالك، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك. قال لها عمرو ومن خبرك بهذا؟
قالت: أخبرني المناجيد بسنين شدائد، يقطع فيها الولد الوالد.
قال: فما تقولين؟ قالت:
أقول قول الندمان لهفاً، لقد رأيت سلحفاة تجرف التراب جرفاً، وتقذف بالبول قذفاً،
فدخلت الحديقة فإذا الشجر من غير ريح يتكافأ. قال عمرو: وما ترين في ذلك؟ قالت:
هي داهية دهياء من أمور جسيمة، ومصائب عظيمة. قال: وما هو ويلك؟ قالت: أجل،
إن فيه الويل، ومالك فيه من نيل، وإن الويل فيما يجيء به السيل. فألقى عمرو نفسه على
فراشه وقال: ما هذا با طريفة؟ قالت: هو خطب جليل، وخزي طويل، وخلف قليل،
والقليل خير من تركه. قال: وما علامة ما تذكرين؟ قالت: اذهب إلى السد فإن رأيت
جرذاً يديه في السد الحفر، ويقلب برجليه مراجل الصخر، فاعلم أن الغمر غمر، وإن قد وقع
الأمر. قال: وما هذا الذي تذكرين؟ قالت: وعد من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا
نكل. قال: فانطلق عمرو إلى السد فحرسه فإذا الجرذ يقلب برجليه ما يقلبها خمسون
رجلاً، فرجع إليها وهو يقول:

أبصرت أمراً عادني سنه ألم وهاج لي من حوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الأجم أو كبش صرم من افاويق الغنم
يقلب صخراً من جلاميد العرم له مخاليب وأنياب قضم

ما فاته صخر من الصخر قصم فقالت طريفة: وإن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر
بزجاجة بين يديك؛ فإن الريح تملأها بتراب البطحاء من سهل الوادي ورمله، وقد علمت أن
الجنان مظللة ما يدخلها شمس ولا ريح. فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث
إلا قليلاً حتى امتلأت من تراب البطحاء. فقال لها عمرو: متة يكون هلاك السد؟ فقالت:
فيما بينك وبين سبع سنين. فقال: ففي أيها يكون؟ فقالت: لا يعلم ذلك غلا الله، ولو علمه
أحد لعلمته، ولا تأتي على ليلة فيما بيني وبين السبع سنين إلا ظننت أن هلاكنا في غدها
أو مسائها.
ثم رأى عمرو بعد ذلك في منامه سيل وقيل له: آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في

سعف النخل وكربه، فنظر إليها فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع، وأن
بلادهم لا محالة؛ فكتم ذلك وأخفاه وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب ويخرج منها
هو وولده، ثم خشي أن ينكر الناس حاله فصنع وليمة جمع الناس لها وقرر مع أحد أولاده
أنه يأمره بأمر في ملأ القوم فيخالفه فإذا لطمه عمرو فيلطمه الآخر، ففعل ذلك. فلما لطمه
ابنه - وكان اسمه مالكاً - صاح عمرو: وأذلاه! يوم فحر عمرو يهينه صبي ويضرب
وجهه! وحلف ليقتلنه، فسأله القوم ألا يفعل، فحلف ألا يقيم بموضع صنع به فيه هذا،
وليبيعن أمواله حتى لا يورث بعده. فقال الأنس بعضهم لبعض: اغتنموا غضبة عمرو
واشتروا منه قبل أن يرضى، فابتاع الناس منه جميع ما هوله بأرض مارب، وفشا بعض
حديثه فباع أناس من الأزد، فلما كثر البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء، فلما
اجتمعت لعمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم وخرج من اليمن، وخرج لخروجه منها
خلق كثير فنزلوا أرض عك حتى مات عمرو بن عامر وتفرقوا بعده في البلاد؛ فمنهم من
صار إلى الشام، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار إلى يثرب، وهم أبناء
قبيلة الأوس والخزرج، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر، وصارت أزد الشراة إلى
أرض الشراة، وأزد عمان إلى عمان، ومالك بن فهم إلى العراق.
ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طئ فنزلت بجبلي طئ: اجا وسلمى، ونزل
ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة، وسموا خزاعة لانخزاعهم من أخواتهم، وتمزقوا
في البلاد كما أخبر الله تعالى عنهم فقال: " ومزقناهم كل ممزق " ثم أرسل الله عز وجل
السيل على السد فهدمه.
واختلف في العرم ما هو؟ فقيل: السد واحدته عرمة، وقيل: هو الجرذ.
وكان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد، وكان صفه لحجارة السد بالرصاص
فرسخاً في فرسخ. ويقال: إن الذي بناه كان من ملوك حمير.
وقد ذكر ذلك ميمون ابن
قيس الأعشى فقال:

وفي ذلك للمؤتسى أسوة ومأرب عفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير إذا جاء مواره لم يرم
فصاروا أيادي ما يقدرو ن منه على شرب طفل فطم
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤها إذ قسم
الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس
أيام العرب في الجاهلية
وأنها لمن مآثرها السنية، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجارهم،
وحققت عنده أنهم ما أحجموا عن طلب أوتارهم، وعلم مكافأتهم للأقران، وسماحتهم
بالنفوس والأبدان وإقدامهم على الموت، ومبادرتهم عند الإمكان خشية الفوت.
وقيل لبعض الحابة رضي الله عنهم: ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ فقال:
نتناشد الشعر بأخبار جاهليتنا.
وقال بعضهم: وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية.
ألا ترى أن عنترة الفوارس جاهلي لا دين له، والحسن ين هانئ إسلامي، فمنع عنترة كرمه
ما لم يمنع ابن هانئ دينه، فإن عنترة يقول:
وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها
وقال أبو نواس الحسن بن هانئ:
كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
والباعثي والناس قد هجعوا حتى أبيت خليفة البعل
وسأذكر من وقائعهم ما يقوي الجنان، ويبعث الجبان.
وقعة طسم وجديس
وطسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وجديس بن عابر بن إرم ابن سام بن
نوح عليه السلام، وهم العرب العاربة، على ما ذكر بعض المؤرخين. وكان منزلهما اليمامة،
واسمها في وقتهم جو؛ وكان الملك عليهما رجلاً من طسم يقال له: عمليق، وكان غشوماً
ظلوماً. وكان سبب فنائهما أن عمليقا أتته ذات يوم امرأة اسمها هزيلة بنت مازن مع زوج
لها اسمه ماش، وكان قد طلقها وأراد أخذ ولده منها، فترافعا إليه ليحكم بينهما، فقالت
هزيلة: أيها الملك هذا ابني حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفعاً، ولم أنل منه نفعاً
حتى إذا تمت أوصاله ، واستوت خصاله، أراد أن يأخذه مني قهراً ويسلبنيه سراً، ويترك
يدي منه صفرا. فقال الزوج: قد أخذت المهر كاملاً، ولم أنل منك طائلاً، غلا ولدا جاهلاً،

فافعل ما كنت فاعلاً. فأمر الملك أن يجعل الولد في غلمانه، فقالت هزيلة:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأبرم حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا فهماً عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي عاثر الرأي نادما

فلما بلغ عمليقاً ذلك غضب وأقسم أنه لا تهدى عروس في جديس لبعلها حتى يكون هو
الذي يبدأ بها قبل زوجها. فلم يزل على ذلك دهراً حتى أهديت عفيرة بنت عفارا
الجديسية أخت الأسود بن عفار سيد جديس إلى بعلها، ويقال: إن اسمها الشموس،
فحملت إلى عمليق، فلما افترعها وخلى سبيلها خرجت على قومها في دمائها شاقة جيبها
عن قبلها ودبرها وهي تقول:

لا أحد أذل من جديس هكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حر أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذه الموت كذا لنفسه خير من أن يفعل ذا بغرسه

ثم قالت تحرض جديساً على طسم:

أيصلح ما يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشي في الدماء فتياتكم صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن كنتمو لا تغضبوا عند هذه فمونوا نساء لا تفيق من الحكل
ودونكم طيب العروس فإنما خلقتم لأثواب العرائس وللغسل
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكنا لا نفر على الذل
فقبحاً وسحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراماً واصبروا لعدوكم لحرب تلظى بالضرام من الجزل
ولا تجزعوا في الحرب يا قوم إنها تقوم بأقوام كرام على رجل

فاجتمعت جديس فقال لهم الأسود بن عفار، وكان مطاعاً فيهم: لتطيعني فيما آمركم به
أو لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري. قالوا: فإنا نطيعك. قال: إن طسما ليسوا
بأعز منكم، ولكن ملك صاحبهم هو الذي يذعننا إليهم بالطاعة، ولو امتنعتم منهم لكان
لكم النصف. قالوا: إن القوم أكثر منا عدداً وعدداً. قال: إني صانع طعاماً فأدعوهم إليه،
فإذا جاءوكم متفضلين في الحلل نهضنا إليهم بأسيافنا. فقالت عفيرة لأخيها: لا تفعل! فإن

الغدر ذلة وعار، ولكن كاثروا القوم في ديارهم فتظفروا أو تموتوا كراماً. قال: بل نمكر بهم
فنكون أمكن منهم. تم صنع الأسود طعاماً وأمر قومه أن يخترطوا سيوفهم ثم يدفنوها في
الرمل. ودعا عمليقا وقومه، فلما أتوا استثارت جديس السيوف وشدوا عليهم فما أفلت
منهم إلا رياح بن مرة، ففر إلى حسان بن تبع فاستغاث به وأخيره بما صنعته جديس بطسم
فوعده النصرة، ثم نادى حسان في حمير بالمسير وأخبرهم بما صنعت جديس بطسم؛
فقالوا: وما جديس وطسم؟ قال: هما أخوان. قالوا: فما لنا في هذا من أرب.
قال حسان: أرأيتم لو كان هذا فيكم! أكان حسناً لملككم أن يهدر دماءكم.
وما علينا في الحكم إلا أن ننصف بعضهم من بعض. فقالوا: الأمر أمرك أيها الملك فمرنا
بما أحببت. فأمرهم بالمسير، فساروا حتى إذا كانوا من اليمامة على ثلاث ليال قال رياح
بن مرة لحسان بن تبع: أبيت اللعن! إن لي أختاً متزوجة في جنديس تنظر الراكب على
مسيرة ثلاث ليال وأخاف أن تنذر قومها، فأمر كل إنسان أن يقتلع شجرة من الأرض
ويجعلها أمامه، فأمرهم حسان بذلك. ثم ساروا، فنظرت أخت رياح فقالت: يا جنديس!
لقد سارت إليكم الشجر. فقالوا لها: وما ذاك؟ قالت: أرى شجراً، من ورائه بشراً، وإني
لا أرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كتفاً أو يحصف نعلاً، فكذبوها وغفلوا عن اخذ أهبة
الحرب حتى صبحتهم حمير. ففي ذلك تقول زرقاء اليمامة:

خذوا لهم حذركم ياقوم ينفعكم فليس ما قد أراه اليوم يحتقر
إني أرى شجراً من خلفه بشر فكيف تجتمع الأشجار والبشر
صفوا الطوائف منكم قبل داهية من الأمور التي يخشى وتنتظر
إني أرى رجلاً في كفه كتف أو يخصف النعل خصفاً ليس يعتذر
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم فإن ذلك منكم - فاعلموا – ظفر
وغوروا كل ماء دون منزلهم فليس من دونه نحس ولا ضرر
أو عاجلوا القوم عند الليل إن رقدوا ولا تخافوا لها حرباً وإن كثروا

فلما كان حسان على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صحبهم فاستباح اليمامة قتلاً وسبياً،
وهرب الأسود حتى نزل بطئي فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه. وقبيلته في طيء
مذكورة. ثم إن حساناً أمر باليمامة فنزع عينيها فإذا في داخلها عروق سود، فسألها عن
ذلك فقالت: حجر أسود كنت اكتحل به يقال له الإثمد فثبت لي بصري. وقيل: إنها أول
من اكتحل بالإثمد، فأمر بها فصلبت على باب جو. وقيل: سمى جو باليمامة من ذلك
الوقت. وفي ذلك يقول رياح بن مرة لما أخذ بثأره:

غدر الحي من جديس بطسم آل طسم كما تداني تديني
قد أتيناهم بيوم كيوم تركوا فيه مثل ما تركوني
ليت طسماً على منازلها تع لم أني قضيت عني ديوني

وقد كررت الشعراء قصة هذه المرأة وجو. فمن ذلك قول الأعشى على رواية ابن قتيبة:

قالت أرى رجلاً في كفه كتف أو يخصف النعل لهفي آية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي السم والسلعا
فاستنزلوا آل جو من مساكنهم وهدموا رافع البنيان فاتضعا

وروى ابن إسحاق:

كوني كمثل التي إن غاب واحدها أهدت له من بعيد نظرة جزعا

ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة. وقال المسيب بن علس:

لقد نظرت عين إلى الجزع نظرة إلى مثل موج المفعم المتلاطم
إلى حمير إذ وجهوا من بلادهم تضيق بهم لأيا فروج المخارم

وفيها يقول النمر بن تولب:

وفتاتهم عنز غداة تبينت من بعد مرأى في الفضاء ومسمع
قالت أرى رجلاً يقلب نعله تقليب ذي وصل له ومشسع
ورأت مقدمة الخميس ودونها ركض الجياد إلى الصباح يتبع

حروب قيس
يوم منعج لغنى على عبس

يوم منعج. هو يوم الردهة وفيه قتل شأس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي؛ قتله
رياح بن الأشل الغنوي. وذلك أن شأساً اقبل من عند النعمان بن المنذر وقد أجزل
حباءه. وكان من حبائه قطيفة حمراء ذات هدب وطيب؛ فورد منعجا - وهو ماء لغني -
فأناخ راحلته إلى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الأشل، وجعل يغتسل وامرأة رياح

تنظر إليه، وهو كالثور الأبيض، فانتزعه رياح بسهم فقتله، وضم متاعه ونحر ناقته وأكلها
وغيب أثره. وفقد شأس بن زهير، حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد باعتها
امرأة رياح، فعلموا أن رياحاً صاحب ثأرهم، فغزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو
ديةً، مع الحصين بن زهير ابن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة. فلما بلغ ذلك غنيا
قالوا لرياح: انج، لعلنا نصالح القوم على شيء أو نرضيهم بدية. فخرج رياح رديفاً لرجل من
بني كلاب، وهما بظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم؛ فمر صرد على رءوسهما فصرصر، فما
راعهما إلا خيل بني عبس، فقال الكلابي لرياح: انحدر من خلفي والتمس نفقاً في الأرض
فإني شاغل القوم عنك، فانحدر رياح من عجز الجمل حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل
مكان الأرنب وولج فيه، ومضى صاحبه، فسألوه فقال: هذه غني جامعة، وقد استمكنتم
منهم، فصدقوه وخلوا سبيله، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا: من الذي كان
خلفك؟ فقال: لا كذب! رياح بن الأشل، وهو في أولئك الصعدات. فقال الحينان لمن
معهما: قد مكننا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا فيه أحد، فوقفوا عنهما، ومضيا فجعلا
يريغان رياحاً بين الصعدات، فقال لهما: هذا غزالكما الذي تربغانه، فابتدراه فرمى أحدهما
بسهم فأقصده، فطعنه الآخر فأخطأه، ومرت به الفرس، فاستدبره رياح بسهم فقتله قم أتى
قومه. ففي ذلك يقول الكميت بن زيد الأسدي، وكانت له أمان من غني:

أنا ابن غني والداي كلاهما لامين منهم في الفروع وفي الأصل
هم استودعوا زهر نسيب بن سالم وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا أباه زهيراً بالمذلة والثكل

يوم النفراوات
لبني عامر على بني عبس
فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي. وكانت هوازن تؤدي إليه إتاوة، فأتته عجوز
رهيش من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي، وشكت سنين تتابعت على الناس، فذاقه

فلم يرض طعمه، فدعها بقوس في يده عطل في صدرها، فاستقلت على قفاها منكشفة،
فتألى خالد بن جعفر وقال: والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل. وكان زهير
مقداماً فتفرد من قومه ببنيه وبني أخويه أسيد وزيناع يريغ الغيث في عشرواوات له وشول؛
فأتاه الحارث بن عمرو ابن الشريد، وكانت تماضر بنة عمرو بن الشريد تحت زهير، فلما
عرف الحارث مكانه أنذر عليه بني عامر بن صعصعة رهط خالد بن جعفر، فركب منهم
ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن الشريد وحندج بن البكاء ومعاوية بن عبادة
ابن عقيل فارس الهرار. ويقال لمعاوية: الأخيل، وهو جد ليلى الأخيلية. فقال أسد لزهير:
أعلمتني راعية غنمي أنها رأت على راس الثنية أشباحاً ولا أحسبها إلا خيل بني عامر،
فألحق بنا بقومنا. فقال له زهير: كل أزب نفور وكان أشعر القفا، فذهبت مثلاً، فتحمل
أسيد بمن معه وبقي زهير وابناه ورقاء والحارث. وصبحتهم الفوارس فارمدت بزهير
فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الأخيل، فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيراً، وخر
خالد فرفع المغفر عن راس زهير وقال: يا لعامر اقتلونا جميعاً وأقبل معاوية فضرب زهيراً
على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ، وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً وعليه درعان
فلم تغن شيئاً، وأجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء
فقال: اسقوني وغن كانت نفسي فيه، فسقوه فمات بعد ثالثة من الأيام، فقال في ذلك ورقاء
بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالداً ويمنعه مني الحديد المظاهر
فياليت أني قبل أيام خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني فماذا الذي ردت عليك البشائر

وقال خالد بن جعفر في قتله زهيراً:

بل كيف تكفرني هوازن بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف واكثر الأوتارا
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم عقل الملوك هجائناً وبكارا
سوم بطن أقل
لذبيان على بني عامر

فيه قتل خالد بن جعفر ببكطن عاقل. وذلك أنه قدم على الأسود بن المنذر أخي النعمان
ومعه عروة الرحال بن عتبة بن جعفر، فالتقى خالد بن جعفر والحارث ابن ظالم بن غيط
بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر، فجعل خالد يقول للحارث بن ظالم:
ياحار، أما تشكر يدي عندك أن قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم؟ فقال:
سأجزيك شكر ذلك. فلما خرج الحارث قال الأسود لخالد: ما دعاك إلى أن تتحرش بهذا
الكلب وأنت ضيفي؟ فقال: إنما هو عبد من عبيدي، ولو وجدني نائماً أيقظني. وانصرف
خالد إلى قبته فلامه عروة الرحال، ثم ناما وأشرجت عليهما القبة، وكان مع الحارث تبيع له
من بني محارب يقال له خراش، فلما هدات العيون أخرج الحارث ناقته وقال لخراش: كنم لي
بمكان كذا، فإن طلع الصبح ولم آتك فانظر أحب البلاد إليك فاعمد لها؛ ثم انطلق الحارث
حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها ثم ولجها وقتله، فنادى عروة عند ذلك: الجوار الملك!
فأقبل إليه الناس، وسمع الأسود الهتاف وعنده امرأة من بني عامر يقال لها: المتجردة،
فشقت جيبها. ففي ذلك يقول عبد الله ابن جعدة:

شقت عليك العامرية جيبها أسفاً وما تبكي عليك ضلالاً
يا حار لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعشاً ولا معزالاً
واغرورقت عيناي لما أخبرت بالجعفري وأسبلت إسبالاً
فلتقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن للظالمين نكالا
فإذا رأيتم عارضاً متهللاً منا فإنا لا نحاول مالا

يوم رحرحان
لعامر على تميم
ولما هرب الحارث بن ظالم ونبت به البلاد لجأ إلى معبد بن زرارة فأجاره؛ فقالت بنو تميم
لمعبد: ملك أويت هذا المشئوم الأنكد وأغريت بنا الأسود؟ وخذلوه غير ماوية وبني عبد
اله بن دارم. وبلغ الأحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم، وأنه عند معبد بن
زرارة، فغزا معبداً فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة، أسره عامر
والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب، فوفد لقيط بن زرارة عليهما في فدائه فقال لهما:
لكما عندي مائتا بعير، فقالا: أبا نهشل، أنت سيد الناس، واخوك معبد سيد مضر فلا

تقبل فيه إلا دية ملك، فأبى أن يزيدهم وقال: إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحداً في ديتنا على
مائتي بعير، وقال: لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم،
ورحل لقيط عن القوم.
قال: فمنعوا معبداً الماء وضاروه حتى مات هزالاً. وقيل: بل أبى معبد أن يطعم شيئاً أو
يشرب حتى مات هزالاً. ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل:

قضينا الجون عن عبس وكانت منية معبد فينا هزالاً

وقال جرير:

وليلة وادي رحرحان رفعتم فراراً ولم تلووا رفيق النعائم
تركتم أبا القعقاع في الغل معبداً وأي أخ لم تسلموا للأداهم

وقال أيضاً:

وبرحرحان غداة كبل معبد نكحت فتاتكم بغير مهور

يوم شعب جبلة
لعامر وعبس على ذبيان وتميم
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يوم جبلة أعظم أيام العرب، وذلك أنه لما انقضت وقعة
رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر وألب عليهم. وبين يوم رحرحان ويوم جبلة سنة.
ويوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة، وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر حلفاء لهم، فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني
عبس من اجل حرب داحس، فأجابته غطفان كلها غير بني بدر، وتجمعت لهم تميم كلها
غير بني سعد، وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان، ثم أتى لقيط الجون
الكندي وهو ملك هجر وكان يحيى من بها من العرب فقال له: هل لك في قوم عادين قد
ملأوا الأرض نعماً وشاءً، فأرسل فما أصبنا من مال وسبى فلهما، وما أصبنا من دم فلي،
فأجابه الجون إلى ذلك وجعل له موعداً رأس الحول، ثم أتى لقط النعمان ابن المنذر
فاستنجده وأطعمه في الغنائم، وكان لقيط وجيهاً عند الملوك، فلما كان على قرن الحول من
يوم رحرحان أقبلت الجيوش إلى لقيط، وأقبل سنان بن أبي حارثة المري في غطفان
وجاءت بنو أسد، وأرسل الجون ابنيه معاوية وعمرا، وأرسل النعمان أخاه لأمه حسان بن
وبرة الكلبي. فلما توافوا خرجوا إلى بني عامر وقد أنذروا بهم وتأهبوا لهم، فقال الأحوص

بن جعفر، وهو يومئذ رحى هوازن لقيس بن زهير: ما ترى؟ فإنك تزعم أنه لم يعرض لك
أمران إلا وجدت في أحدهما المخرج! فقال قيس بن زهير: الرأي أن نرحل بالعيال والأموال
حتى تدخل شعب جبلة فتقاتل القوم دونها من وجه واحد، فإنهم داخلون عليك الشعب،
وإن لقيطا رجل فيه طيش فيستقحم عليك الجبل، فأرى أن تأمر بالإبل فلا ترعى ولا
تسقى وتعقل، ثم تجعل الذراري وراء ظهورنا وتأمر بالرجالة فتأخذ بأذناب الإبل، فإذا
دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الإبل ثم لزمت أذنابها فإنها تنحدر عليهم وتحن
إلى مراعيها ووردها، ولا يرد وجوهها شيء، ويخرج الفرسان في أثر الرجالة الذين خلف
الإبل فإنها تحطم ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل. فقال الأحوص: نعم ما
رأيت وأخذ برأيه، وكان مع بني عامر يومئذ بنو عبس، وغني في بني كلاب، وباهلة في بني
صعب، والأبناء أبناء صعصعة. وكان رهط المعقر البارقي يومئذ في بني نمير بن عامر،
وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس.
قال أبو عبيدة: وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا شعب جبلة
فنزلوا على فمه، فقال لهم رجل من بني أسد: خذوا من بني أسد: خذوا عليهم فم
الشعب حتى يعطشوا ويجوعوا، فأتوا حتى دخلوا عليهم الشعب، وكانوا قد عقلوا الإبل
وعطشوها ثلاثة أخماس، وذلك اثنتا عشرة ليلة لم تطعم شيئاً، فلما دنوا حلوا عقلها
فأقبلت تهوي، فظن القوم عند ذلك أن الشعب قد هد عليهم، والرجالة في آثارها آخذين
بأذنابها فدقت كلما لقيت، فانهزموا لا يلوون على أحد، وقتل لقيط وأسر حاجب بن
زرارة، أسره ذو الرقيبة، وأسر سنان بن أبي حارثة المري أسره عروة الرحال، فجز ناصيته
وأطلقه، واسر عمرو بن أبي عمرو بن عدس، أسره قيس بن المنتفق، فجز ناصيته وخلاه
طمعاً في المكافأة فلم يفعل، وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريف الأسدي، ومالك بن
ربعي بن جندل بن نهشل، فقال جرير في ذلك:

كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعوا بال دارم

ويوم الصفا كنتم عبيداً لعامر وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم
يعني بالحزن يوم الوقيط. وقال أيضاً في بني دارم:
ويوم الشعب قد تركوا لقيطاً كأن عليه خملة أرجوان
وكبل حاجب بسمام حولاً فحكم ذا الرقيبة وهو عاني
وقالت دختنوس أخت لقيط ترثي لقيطاً:
فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها
عن خير خندف كلها من كهلها وشبابها
وأتمها حسباً إذا ضمت إلى أحسابها
يوم الخريبة
وفيه قتل الحارث بن ظالم
قال أبو عبيدة: لما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابي أتى صديقاً له من كندة.
فالتف عليه وطلبه الملك فخفى ذكره، ثم شخص من عند الكندي وأضمرته البلاد حتى
استجار بزياد أحد بني عجل بن لجيم، فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا
لمعجل: اخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فإنه لا طاقة لنا بالشهباء ودوسر، وهما
كتيبتان للأسود بن المنذر، فأبت عجل ذلك عليهم فلما رأى الحارث بن ظالم ذلك كره أن
تقع الفتنة بينهما بسببه، فارتحل من بني عجل إلى جبلي طيء فأجاروه فقال في ذلك:
لعمري لقد حلت بي اليوم ناقتي إلى ناصر من طيء غير خاذل
فأصبحت جاراً للمجرة فيهم على باذخ يعلو يد المتطاول
إذا أجأ لفت على شعابها وسلمى فأني أنتم من تناولي
فمكث عندهم حيناً. ثم إن الأسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل إلى جارات كن
للحارث بن ظالم استاقهن وأموالهن، فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الجبلين فاندس في الناس
حتى علم مكان جاراته ومرعى إبلهن فأتاهن واستنقذهن واستاق إبلهن فألحقهن بقومهن.
واندس في بلاد عطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المري وهو أبو هرم بن سنان ممدوح
زهير. وكان الأسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمى امرأة سنان، وهي
من بني غنم بن دودان بن أسد، فكانت لا تأمن على ابن الملك أحداً، فاستعار الحارث بن
ظالم سرج سنان، وهو في ناحية الشربة، فأتى به سلمى امرأة سنان وقال لها: يقول لك
بعلك: ابعثي ابنك مع الحارث فإني أريد أن أستأمن له الملك، وهذا سرجه لك آية. قال:

فزيتته ودفعته إليه، فأتى به ناحية من الشربة فقتله وهرب من فوره، وهرب سنان بن أبي
حارثة. فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان فقتل وسبى، وأخذ الأموال،
وأغار على بني دودان رهط سلمى، فقتلهم وسباهم، ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في
جانب الشربة عند بني محارب بن خصفة، فغزاهم وأسرهم وأحمى لهم الصفا وقال: إني
أحذيكم نعالاً، فأمشاهم عليها، فسقطت أقدامهم. ثم إن سيار بن عمرو بن جابر
الفزاري احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ورهنه بها قوسه، فوفاه بها وقال في ذلك:

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت بألف على ظهر الفزاري أقرعا
بعشر مئين للملوك وفى بها ليحمد سيار بن عمرو فأسرعا

قال: ثم هرب الحارث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره، وكان من سببه وقعة
رحرحان التي تقدم ذكرها. ثم هرب حتى لحق بمكة وقريش لأنه يقال: إن مرة بن عوف بن
سعد بن دبيان إنما هو مرة بن عوف بن لؤي بن غالب، فتوسل إليهم بهذه القرابة وقال في
ذلك:

إذا فارقت ثعلبة بن سعد وإخوتهم نسبت إلى لؤي
إلى نسب كريم غير وغل وحي من أكارم كل حي
فإن يك منهم أصلي فمنهم قوانين الإله بنو قصي

فقالوا له: هذا نسب رحم كرشاء إذا استغنيتم عنها أدبرتم. قال: فشخص الحارث عنهم
غضبان وقال في ذلك:

ألا لستم منا ولا نحن منكم برئنا إليكم من لؤي بن غالب
غدونا على نشر الحجاز وأنتم بمنشعب البطحاء بين الأخاشب

وتوجه إلى الشام فلحق بيزيد بن عمرو الغساني فأجاره وأكرمه. وكانت ليزيد ناقة محماة،
في عنقها مدية وزناد وصرة ملح، يمتحن بها رعيته لينظر من يجترى عليه، فوحمت امرأة
الحارث فاشتهت شحماً فانطلق إلى الناقة فانتحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فأرسل
إلى الخمس التغلبي، وكان كاهناً، فسأله عنها، فاخبره أن الحارث صاحبها فهم به الملك ثم
تذمم من ذلك، فأوجس الحارث في نفسه شراً فأتى الخمس التغلبي فقتله، فلما فعل ذلك

دعا به الملك فأمر بقتله، فقال: إنك قد أجرتني فلا تغدرني، قال الملك: لا ضير إن غدرت
بك مرة فقد غدرت بي مراراً، وأمر ابن الخمس به فقتله، وأخذ ابن الخمس سيف
الحارث، فأتى به سوق عكاظ في الأشهر الحرم، فأراه قيس بن زهير العبسي فضربه به
قيس فقتله.

داحس والغبراء

وهي من حروب قيس

قال أبو عبيدة: حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابني بغيض أن ريث بن غطفان.
وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل ابن بدر تراهنا على داحس والغبراء
أيهما يكون به السبق. وكان داحس محلا لقيس بن زهير.
والغبراء حجر لحمل بن بدر،
فتواضعا الرهان على مائة بعير، وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، ثم
قاداهما إلى رأس الميدان بعد أن ضمراهما أربعين ليلة. وكان في طرف الغاية شعاب كثيرة،
فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين وأرمهم إن جاء داحس
سابقاً أن يردوه عن الغاية، ثم أرسلوهما، فلما أحضرا خرجت الأنثى عن الفحل فقال حمل
بن بدر: سبقتك ياقيس، فقال قيس: زويداً يعدوان الجدد إلى الوعث وترشح أعطاف
الفحل، فلما أوغلا عن الجدد وخرجا إلى الوعث برز داحس عن الغبراء فقال قيس: جرى
المذكيات غلاب فذهبت مثلاً. فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا في وجه
داحس فردوه عن الغاية، ففي ذلك يقول قيس بن زهير:

وما لا قيت من حمل بن بدر وإخوته على ذات الإصاد
همو فخروا علي بغير فخر وردوا دون غايته جوادي

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابني بغيض، فركدت أربعين سنة لم تنتج ناقة ولا فرس فيها
لاشتغالهم بالحرب. فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس بن زهير يطلب منه حق
السبق، فقال قيس: كلا لا مطلتك به، ثم أخذ الرمح فطعنه فدق صلبه، ورجعت فرسه
غائرة، واجتمع الناس فحملوا دية مالك ناقة عشراء وزعموا أن الربيع بن زياد العبسي
حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس.

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه، فعدا عليه فقتله،
ففي ذلك يقول عنترة:
فلله عيناً من رأى مثل مالك عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة وليتهما لم يرسلا لرهان
فقالت بنو عبس: مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا، فأبى حذيفة أن يرد
شيئاً، وكان الربيع بن زياد مجاوراً لبني فزارة.
قال: فلما قتل مالك بن زهير جعل بنو فزارة يتساءلون ويقولون: ما فعل حماركم؟ قالوا:
صدناه، فقال لهم الربيع: ما هذا الوحي؟ قالوا: قتلنا مالك ابن زهير، قال: بئس ما فعلتم
بقومكم! قبلتم الدية ورضيتم بها ثم غدرتم! فقالوا: لولا أنك جارنا لقتلناك، وكانت خفرة
الجار ثلاثاً، فقالوا له: بعد ثلاث ليال أخرج عنا، فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه،
وأتاه قيس بن زهير فعاقده. ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى
بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر،
يوم المريقب
لبني عبس على بني ذبيان
فالتقوا بذي المريقب من أرض الشربة فاقتتلوا، فكانت الشوكة في بني فزارة قتل منهم عوف
بن بدر بن عمرو بن أبي الحصين، أحد بني عدي بن فزارة وجماعة كثيرة. وفي هذه الوقعة
يقول عنترة الفوارس:
ولقد علمت إذ التقت فرسانها يوم المريقب أن ظنك أحمق
يوم ذي حسي
لذبيان على عبس
ثم إن ذبيان تجمعت لما أصابت بنو عبس منهم يوم المريقب فزارة بن ذبيان ومرة بن عوف
بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فنزلوا فتوافوا بذي حسي، وهو وادي الصفا من ارض
الشربة، فهزمت بنو عبس وخافت ألا تقوم بجماعة بني ذبيان واتبعوهم حتى لحقوهم،
فقالوا: التفاني أو تقيدونا، فأشر قيس بن زهير على الربيع بن زياد إلا يناجزهم ، وأن
يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم، فتراضوا أن يكون رهنهم عند سبيع بن
عمرو أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فدفعوا إليه ثمانية من الصبيان، فانصرفوا وتكافأ

الناس، فمكث رهنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سبيع: إن
عندك مكرمة لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة، وكأني بك لومت قد أتاك خالك
حذيفة بن بدر فعصر لك عينيه وقال: هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه
فيقتلهم، فلا تشرف بعدها أبداً، فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم. فلما هلك سبيع
أطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم اليعمرية، فجعل يبرز كل يوم
غلاماً فينصبه غرضاً ويقول له: ناد أباك، فينادي حتى يقتله.

سوم اليعمرية

لعبس على ذبيان
قال: فلما بلغ ذلك من فعله بني عبس أتوهم باليعمرية فلقوهم بحرتها فقتلوا منهم اثني عشر
رجلاً، منهم مالك بن سبيع الذي نبذ بالغلمة إلى حذيفة، وأخوه يزيد بن سبيع، وعامر بن
لوذان، والحارث بن زيد، وهرم بن ضمضم أخو حصين. ويقال ليوم اليعمرية: يوم ذي نفر
لأنهما متجاوران.

يوم الهباءة

لعبس على ذبيان
قال: ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ إلى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من أول النهار إلى أن
انتصف، وحجز الحر بينهم، وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض، فقال قيس بن
زهير: يابني عبس، إن حذيفة غداً إذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم
بها، فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف: فرس حذيفة، والحيفاء: فرس حمل بن بدر،
فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة، فبصر بهم حمل بن بدر فقال: هذا قيس
بن زهير قد أتاكم، فوقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وهو يقول: لبيكم لبيكم! يعني
أجابه الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يقتلونّ وفي الجفر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر،
وورقاء بن بلال من بني ثعلبة بن سعد. وحنش بن عمرو، فوقف عليهم شداد بن معاوية
العبسي، فحال بينهم وبين حيلهم، ثم توافت فرسان بني عبس فقال حمل: ناشدتك بالرحم
يا قيس، فقال: لبيكم لبيكم! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فانتهر حملاً فقال: إياك والمأثور

من الكلام، فذهبت مثلاً، وقال لقيس: لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها أبداً! فقال:
أبعدها الله ولا أصلحها، وجاءه قرواش بمعبلة فقضم صلبه، وقتل الربيع بن زياد حمل بن
بدر، فقال قيس بن زهير يرثيه:

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة ما يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهر ما بدت النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغي والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال وما رسوني فمعوج وآخر مستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل بالغلمة، فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في
استه، ففي ذلك يقول قائلهم:

فإن قتيلاً بالهباءة في استه صحيفته إن عاد للظلم ظالم
متى تقراوها من ضلالكم وتعرف إذا ما فض عنها الخواتم

وقال عمرو بن الأسلع:

إن السماء وإن الأرض شاهدة والله يشهد والإنسان والبلد
أني جزيت بني بدر بسعيهم على الهباءة قتلاً ما له قود
لما التقينا على أرجاء جمتها والمشرفية في أيماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له: خذها حذيف فأنت السيد الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا، وعرفت بنو عبس أن
ليس لهم مقام بأرض غطفان، فخرجوا إلى اليمامة فنزلوا بأخوالهم من بني حنيفة، ثم
رحلوا عنهم فنزلوا ببني سعد ين زيد مناة.

يوم الفروق
لبني عبس

ثم إن بني عبس غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجون فاستجاسوا عليهم وأرادوا أكلهم،
قبلغ ذلك بني عبس فقروا ليلاً، وقدموا ظعنهم، ووقفت فرسانهم بموضع يقال له الفروق،
وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم فلم يجدوا إلا مواقد النيران
فاتبعوهم حتى أتوا الفروق، فإذا بالخيل والفرسان وقد تواترت الظعن عنهم، فانصرفوا
عنهم؛ ومضى بنو عبس فنزلوا ببين ضبة فأقاموا فيهم. وكان بنو حذيفة من بني عبس
يسمون بني رواحة، وبنو بدر من فزارة يسمون بني سودة، ثم رجعوا إلى قومهم وصالحوهم،
فكان أول من سعى في الحمالة حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة، فمات، فسعى فيها ابنه
هاشم ين حرملة، وإليه أشار الشاعر:

أحيا أباه هاشم بن حرملة يوم الهباءتين ويوم اليعملة
ترى الملوك حوله مرعبلة يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له!
يوم قطن
فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تيجان أحد بني
مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم. وكان عنترة بن شداد العبسي قتله بذي المريقب،
فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا: لا نصالحكم ما بل البحر
صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة، وتناهض الناس: عبس وذبيان، فالتقوا بقطن يومئذ عمرو
بن الأسلع عتبة، ثم سفرت السفراء، بينهم، وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه
إليه وقال: في هذا وفاء من ابنك! فأخذه فكان عنده أياماً ثم حمل خارجة لأبي تيجان
مائة بعير فأداها إليه واصطلحوا وتعاقدوا.
يوم غدير قلهى
قال أبو عبيدة: فاصطلح الحيان إلا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فإنهم أبوا ذلك وقالوا: لا
نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها، فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قلبي،
فسبقتهم بنو عبس إلى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشاً، فأصلح بينهم عوف
ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة وإياهما يعني زهير بقوله:
تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فوردوا حرباً وخرجوا عنه سلما. تم خبر داحس والغبراء.
يوم الرقم
لغطفان على بني عامر
غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم - وهو ماء لبني مرة - وعلى بني عامر:
عامر بن الطفيل - ويقال يزيد بن الصعق - فركب عتبة بن حصين في بني فزارة، ويزيد بن
سنان في بني مرة - ويقال الحارث بن عوف - فانهزمت بنو عامر، فزعمت غطفان أنهم
أصابوا من بني عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلاً، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع، كانت
بنو عامر قد أصابوا فيهم، فقتلوهم أجمعين.
وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه، فيهم خوات بن كعب حتى انتهوا إلى ماء يقال
له: المرورات، فقطع العطش أعناقهم فماتوا، وخنق الحكم ابن الطفيل نفسه مخافة المثلة،
فقال في ذلك عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا

يوم النتاءة

لعبس على بن عامر

يقال: خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرقم، فهجموا على عبس بالنتاءة وقد أنذروا بهم، فالتقوا، وكان على بني عامر: عامر بن الطفيل، وعلى بني عبس. الربيع بن زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر، وقتل منهم هزار بن مرة، قتله الأحنف بن مالك، ونهشل بن عبيدة بن جعفر، قتله أبو زغبة ابن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة.

يوم شواحط

لبني محارب على بني عامر

غزت سرية من بني عامر بن صعصعة بلاد غسان، فأغاروا على بابل لبني محارب بن خصفة، فأدركهم الطلب، فقتلوا من كلاب تسعة نفر وارتدوا إبلهم فلما رجعوا وثبت بنو كلاب على جسر - وهم من بني محارب، وكانوا حاربوا إخوتهم، فخرجوا من عندهم فخالفوا بني عامر بن صعصعة - فقالوا: نقتلهم بقتل بني محارب من قتلوا منا، فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك وقال:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن عقيلاً وأبلغ إن لقيت أبا بكر

فيا أخوينا من أبينا وأمنا إليكم لا سبيل إلى جسر

دعوا جانبي إني سأترك جانبا لكم واسعاً بين اليمامة والقهر

يوم حوزة الأول

لسليم على غطفان

قال أبو عبيدة. كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مرة - مرة غطفان - كلام بعكاظ، فقال معاوي: والله لوددت أني قد سمعت بظعائن يندبنك، فقال هاشم: والله لوددت أني قد بريت الرطبة - وهي جمة معاوية، وكانت الدهر تنظف ماءً ودهناً وإن لم تدهن - فلما كان بعد حين تهيأ معاوية ليغزو هاشماً، فنهاه أخوه صخر، فأبى وغزاهم يوم حوزة، فرآه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقهاً من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد بن حرملة: إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي، وأنا

حديث عهد بشكية، فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك، ففعل، فحمل عليه معاوية
وأردفه هاشم، فاختلفا طعنتين فأردى معاوية هاشماً عن فرسه الشماء، وأنفذها هاشم
سنانه عن عانة معاوية، وكر عليه دريد وظنه قد أردى هاشماً، فضرب معاوية بالسيف
فقتله، وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاري فقتله.
قال: وغارت الشماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا أنها
فرس الفزاري الذي قتله خفاف، ورجع الجيش، فلما دنوا من صخر أخي معاوية قال لهم:
ما صنع معاوية؟ قالوا قتل! قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها! قال: إذا قد
أردكتم ثأركم، هذه فرس هاشم بن حرملة.
قال: فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام، فأتى بني مرة، فلما
رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيوه وقولوا له خيراً، وهاشم مريض من الطعنة التي
طعنه معاوية، فقال: من قتل أخي؟ فسكتوا ، فقال: لمن هذه الفرس التي تحتي؟ فسكتوا.
فقال هاشم: هلم أبا حسان إلى من يخبرك! قال: من قتل أخي؟ فقال هاشم: إذا أصبتني
أو دريداً فقد أصبت ثأرك! فقال: هل كفنتموه؟ قال: نعم، في بردين: أحدهما بخمس
وعشرين بكرة وأروه قبره، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال: كأنكم ما رأيتم من جزعي،
فوالله ما بت منذ عقلت إلا واتراً أو موتوراً، وطالباً أو مطلوباً حتى قتل معاوية، فما ذقت
طعم نوم بعده.
يوم حوزة الثاني
قال: ثم غزا صخر فلما دنا منهم مضى على الشماء، وكانت غراء محجلة، فسود غرتها
وتحجيلها، فلما رأته بنت هاشم قالت لعمها دريد: أين الشماء؟ قال: هي في بني سليم.
قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فقال: هذه والشماء غراء محجلة، ثم اضطجع فلم يشعر
حتى طعنه صخر، قال: فثاروا وتناذروا، وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها، وعارض
دونه أبو شجرة بن عبد العزي، وكانت أمه خنساء أخت صخر، صخر خاله، فرد الخيل

عنه أراح فرسه ونجا إلى قومه، فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية: قتلني الله إن برحت
من مكاني حتى أثار به! فشد على مالك سيد بني شمخ فقتله، وقال صخر في قتله دريداً:

ولقد دفعت إلى دريد طعنة نجلاء تزغل مثل غط المنخر
ولقد قتلتكم ثناء وموحداً وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة: وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج منتجعاً فلقيه عمرو بن قيس الجشمي،
فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وألت نفس إن وأل، فلما دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق
قحفه فقتله.

يوم ذات الإثل

قال أبو عبيدة: ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بني أسد بن خزيمة فاكتسح إبلهم، فأتى
الصريخ بني أسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فطعن ربيعة
الأسدي صخرا في جنبه وفات القوم بالغنيمة، ومرض صخر من الطعنة قريباً من الحول
حتى مله أهله، فسمع امرأة من جاراته تسال سلمى امرأته: كيف بعلك؟ قالت: لا حي
فيرجى، ولا مبت فينسى، لقد لقينا منه الأمرين! وكانت أمه إذا سئلت عنه تقول: أرجو
له العافية إن شاء الله! فقال في ذلك:

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وملت سلمى مضجعي ومكاني
فأي امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في أذى وهوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائماً وأمسعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

قال: فلما طال عليه البلاءء - وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة -
قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ، فقال شأنكم! فقطعوها فمات، فقالت أخته الخنساء
ترثيه:

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر!
ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر!

يوم اللوى

لغطفان على هوازن

قال أبو عبيدة: غزا عبد الله بن الصمة - واسم الصمة: معاوية الأصغر - من بني غزية
بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن - وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى، فاسمه:

عبد اله، وخالد، ومعبد، وكنيته أبو فرعان، وأبو دفافة، وأبو وفاء، وهو أخو دريد بن
الصمة لأبويه - فأغار على غطفان فأصاب منهم إبلاً عظيمة فاطردها، فقال له أخوه
دريد: النجاء فقد ظفرت، فأبى عليه وقال: لا أبرح حتى أنتقع نقيعتي - والنقيعة: ناقة
ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاماً لأصحابه، ويقسم ما أصاب عليهم - فأقام
وعصى أخاه، فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى، فقتل عبد الله، وارتث وعصى
أخاه، فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى، فقتل عبد الله، وترتث دريد فبقي في
القتلى، فلما كان في بعض الليل أتاه فارسان، فقال أحدهما لصاحبه: إني أرى عينية تبص،
فأنزل فانظر إلى سبته، فنزل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز، فطعنه، فخرج دم قد احتقن.
قال دريد: فأفقت عندها، فلما جاوزوا نهضت، فما شعرت إلا وأنا بين عرقوبي جمل
امرأة من هوازن، فقالت: من أنت؟ أعوذ بالله من شرك! قلت: لا، بل من أنت؟ ويلك!
قالت: امرأة من هوازن سيارة. قلت: وأنا من هوازن، أنا دريد بن الصمة. قال: وكانت في
قوم مختارين لا يسعرون بالوقعة، فضمته وعالجته حتى أفاق.

يوم الظعينة

بين دريد بن الصمة وربيعة بن مكدم

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم حتى إذا
كانوا في واد يقال له: الأخرم، وهم يريدون الغارة على بني كنانة، إذ رفع له رجل في ناحية
الوادي ومعه ظعينة، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صح به: خل الظعينة وانج بنفسك، فانتهى إليه الفارس، فصاح به وألح عليه، فألقى زمام
الراحلة وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن
إن انثنائي دون قرني شاءني أبلى بلائي واخبري وعايتي

ثم حمل عليه فصرعه واخذ فرسه وأعطاه للظعينة، فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما
صنع صاحبه، فلما انتهى إليه ورآه صريعاً صاح به فتصام عنه، فظن أنه لم يسمع، فغشيه،
فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة ورجع وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاق دونها ربيعه
في كفه خطية مطيعه أو لا فخذها طعنة سريعه

والطن من في الوغى شريعة
ثم حمل عليه فصرعه، فلما أبطأ على دريد بعث فارساً ثالثاً لينظر ما صنعا، فلما انتهى
إليهما رآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه، فقال له: خل سبيل الظعينة، فقال
للظعينة: اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:
ما ذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس
أرداهما عامل رمح يابس
ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه، وارتاب دريد وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا
الرجل، فلحق ربيعة وقد دنا من الحي، فوجد أصحابه قد قتلوا، فقال: أيها الفارس، إن
مثلك لا يقتل، ولا أرى معك رمحاً والخيل ثائرة بأصحابها، فدونك هذا الرمح فإني منصرف
إلى أصحابي فمثبطهم عنك، فانصرف دريد وقال لأصحابه: إن فارس الظعينة قد حماها
وقتل فرسانكم وانتزع رمحي، ولا مطمع لكم فيه فانصرفوا، فانصرف القوم، فقال دريد:
ا إن رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارساً لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللاً تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجهاً يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل
يا ليت شعري من أبوه وأمه يا صاح من يك مصله لا يجهل
وقال ربيعة بن مكدم:
إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظعينة يوم وادي الاخرم
إذ هي لأول من أتاها نهبه لولا طعان ربيعة بن مكدم
غذ قال لي أدنى الفوارس ميتة خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابه فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشه نجلاء فاغرة كشدق الأصجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث وأبى الفرار لي الغداة تكرمي
ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جشم، فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى
نفسه، فبينما هو عندهم محبوس إذ جاءه نسوة تتهادين إليه. فصرخت إحداهن وقالت:
هلكتم وأهلكتم! ما جر علينا قومنا! هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة! ثم
ألقت عليه ثوبها وقالت: ياآل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي! فسألوه:

من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال: فما فعل؟
قالوا: قلته بنو سليم!
قال: فما فعلت الظعينة؟ قالت المرأة: أنا هيه، وأنا امرأته، فحبسه القوم وآمروا أنفسهم،
فقال بعضهم، لا ينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا! وقال آخرون: والله لا يخرج
من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره، فانبعثت المرأة في الليل. وهي ربطة أنت جذل
الطعان، تقول:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة وكل امرئ يجزي بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مدمما
سنجزيه نعمي لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح الطويل المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه وأهل بأن يجزي الذي كان أنعما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم ولا تركبوا تلك التي تملأ القما
فلو كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً غنياً كان أو كان معدم
ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشر سئما

فلما أصبحوا أطلقوه، فسكته وجهزته ولحق بقومه، فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى
هلك.

يوم الصلعاء

لهوازن على غطفان

قال: فلما كان في العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلعاء، فخرجت إليه غطفان فقال
دريد لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى خيلاً عليها رجال كأنهم الصبيان، أنتها عند آذان
خيلها. قال: هذه فزارة، ثم قال: أنظر ما ترى؟ قال: أرى قوماً كأن عليهم ثياباً غمست في
لجاب المعزى، قال: هذه أشجع، قم قال: انظر ما ترى؟ قال: أرى قوماً يجرون رماحهم
سوداً، يخدون الأرض بأقدامهم، قال: هذه عبس، أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا، فالتقوا
بالصلعاء فاقتتلوا، فكان الظفر لهوازن على غطفان، وقتل دريد ذؤاب بن زيد بن قارب.

حرب قيس وكنانة

يوم الكديد لسليم على كنانة

فيه قتل ربيعة بن مكدم فارس بني كنانة، وهو من بني فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة،

وهم أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم، وكان ربيعة بن مكدم يعقر
على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره، وقتلته بنو سليم يوم الكديد، ولم يحضر
يوم اديد أحد من بني الشريد.

يوم فزارة
لكنانة على سليم

قال أبو عبيدة: لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة ورجعوا، قاموا ما شاء
الله، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد - واسم الشريد عمرو، وكانت بنو
سليم قد تؤجوا مالكاً وأمروه عليهم - فغزا بني كنانة، فأغار على بني فراس ببزرة، ورئيس
بني فراس عبد الله بن جذل، فدعا عبد الله إلى البراز، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر
بن الشريد، فقال له عبد الله: من أنت؟ قال: أنا هند بن خالد، قال عبد الله؛ أخوك أسن
منك، يريد مالك ابن خالد، فرجع فأخبر أخاه، فبرز له، فشد عبد الله على مالك بن خالد
فقتله، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر، فشد عليه عبد الله أيضاً فقتله، فشد عليه
أخوهما عمرو بن خالد بن صخر، فتجالدا طعنتين، فجرح كل واحد منهما صاحبه
وتحاجزا.

يوم الفيفاء
لسليم على كنانة

قال أبو عبيدة: ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من
كنانة، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس، فقتل
منهم نفراً؛ منهم: عاصم بن المعلي، ونضلة، والمعارك، وعمرو ابن مالك، وحصن ،
وشريح؛ وسبى سبياً فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة، فقال عباس بن مرداس في ذلك:

ألا أبلغن عني ابن جذل وهطه فكيف طلبناكم بكرز ومالك
غداة فجعناكم بحصن وبابنه وبابن المعلى عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثأرناهم به جميعاً وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم - والموت يبني سرادقاً عليكم - شبا حد السيوف البواتك
تلوح بأيدينا كما لاح بارق تلألأ في داج من الليل حالك

حرب قيس وتميم
يوم السؤبان لبني عامر على بني تميم

قال أبو عبيدة: أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا، ورئيس ضبة حسان بن
وبرة، وهو أخو النعمان بن المنذر لأمه، فأسره يزيد بن الصعق، وانهزمت تميم؛ فلما رأى
ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده، فشد على ضرار بن عمرو الضبي، وهو الرديم، فقال
لابنه: إذا هم أغنه عني، فشد عليه فطعنه، فتحول عن سرجه إلى جنب أبدانه، ثم لحقه،
فقال لأحد بنيه: أغنه عني؛ ففعل مثل ذلك، ثم لحقه، فقال لابن له آخر، ففعل مثل ذلك،
فقال: ما هذا إلا ملاعب الأسنة! فسمى عامر من يومئذ ملاعب الأسنة فلما دنا منه قال
له ضرار: إني لأعلم ما تريد، أتريد اللبب؟ قال نعم! قال: إنك لن تصل إلي ومن هؤلاء عين
تطرف، كلهم بنو عامر، قال له عامر: فأحلني على غيرك، فدله على حبيش بن الدلف
وقال: عليك بذلك الفارس، فشد عليه فأسره، فلما رأى سواده وقصره، جعل يتفكر،
وخاف ابن الدلف أن يقتله، فقال: ألست تريد البب؟ قال: فأني لك به، وفادى حسان بن
وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بألف بعير، فداء الملوك فكثر مال يزيد ونبه.
قال أبو عبيدة: ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذي لبان، وذو
لبان: عن يمين العرنيين.
يوم أقرن
لبني عبس على بني دارم
قال: غزا عمرو بن عدس من بني دارم، وهو فارس بني مالك بن حنظلة، فأغار على بني
عبس، فأخذ إبلا ونساء ثم أقبل، حتى إذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فابتنى بجارية من
السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا، فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسي عمراً: وانهزمت بنو مالك
بن حنظلة، وقتلت بنو عبس أيضاً حنظلة بن عمرو - وقال بعضهم: قتل في غير هذا اليوم
- وارتدوا ما كان في أيدي بني مالك.
يوم المروت
لبني العنبر على بني قشير
أغار بحير بن سلمة بن قشير على بني العنبر بن عمرو بن تميم، فأتى الصريخ بني عمرو بن
تميم حتى لحقوه وقد نزل المروت، وهو يقسم المرباع ويعطي من معه، فتلاحق القوم واقتتلوا،

فطعن قعنب بن عتاب المثلم بن عامر القشيري فصرعه فأسره، وحمل الكدام، وهو يزيد بن
أويهر المازني على بجير بن سلمة فطعنه فأرداه عن فرسه، ثم أسره، فأبصره قعنب بن
عتاب، فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله، وانهزم بنو عامر.

يوم دارة مأسل

لتميم على قيس

غزا عتبة بن ستير بن خالد الكلابي بني ضبة، فاستاق نعمهم، وقتل حصين بن ضرار
الضبي زيد الفوارس، فجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائراً بابنه حصين، وزيد الفوارس يومئذ
حدث لم يدرك، فأغار على بني عمرو بن كلاب، وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير
بن خالد وكان شيخاً كبيراً، فأتى به قومه فقال: يا شتير، اختر واحدة من ثلاث، قال:
اعرضها علي، قال: إما أن ترد ابني حصيناً! قال: إني لا انشر الموتى! قال: وإما أن تدفع
إلى ابنك عتبة أقتله به! قال: لا يرضى بذلك بنو عامر، قال: وإما أن أقتلك. قال: أما هذه
فنعم! فأمر ضرار ابنه أدهم أن يقتله، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شتير يا آل عامر
صبراً بصبي كأنه أنف أن يقيل بصبي فقال في ذلك شمعلة:

وخيرنا شتيراً من ثلاث وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليت منه وبين قصاص لمته عذارا

أيام تميم على بكر

يوم الوقيط

قال فراس بن خندف: تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون، فرأى ذلك ناشب بن
شامة العنبري الأعور، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني ثعلبة، فقال لهم: أعطوني
رسولاً أرسله إلى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيراً ليولوه ما تولونني من البر. وكان
حنظلة بن طفيل المرثدي أسيراً في بني العنبر، فقالوا: على أن توصيه ونحن حضور، وقال
نعم، فأتوه بغلام، فقال: أتيتموني بأحمق، وما أراه مبلغاً عني! قال الغلام: لا والله ما أنا
بأحمق، وقل ما شئت فإني مبلغه، فملأ الأعور كفه من الرمل فقال: كم في كفي منه؟ قال:
شيء لا يحصى كثرة، ثم أومأ إلى الشمس فقال: ما تلك؟ قال: هي الشمس. قال: شيء
لا يحصى كثرة، ثم أومأ إلى الشمس فقال: ما تلك؟ قال: هي الشمس. قال: فاذهب إلى

أهلي فأبلغهم عني التحية وقل لهم: ليحسنوا إلى أسرهم ويكرموه فإني عند قوم محسنين إلي
مكرمين لي وقل لهم ليعروا جملي الأحمر: ويركبوا ناقتي العيساء، ويرعوا حاجتي في نبي
مالك، وأخبرهم أن العوسج قد أورق، وقد اشتكت النساء، وليعصموا همام بن بشامة
فإنه مشئوم محدود. ويطيعوا ابن الأخنس فإنه حازم ميمون.
قال: فآتاهم الرسول فأبلغهم، فقال بنو عمرو بن تميم: ما نعرف هذا الكلام، ولقد جن
الأعور، والله ما نعرف له ناقة عيساء، ولا جملا أحمر! فشخص الرسول، ثم ناداهم هذيل
، يا بني العنبر، قد بين لكم صاحبكم، وأما الرمل الذي قبض عليه فإنه يخبركم أنه أتاكم
عدد لا يحصى، وأما الشمس التي أومأ إليها فإنه يقول: إن ذلك أوضح من الشمس، وأما
جمله الأحمر فهو الصمان: يأمركم أن تعروه، وأما ناقته العيساء فهي الدهناء، يأمركم أن
تتحرزوا فيها، وأما أبناء مالك فإنه يأمركم أن تنذروا بني مالك بن زيد مناة، وأن تمسكوا
الحلف بينكم وبينهم، وأما العوسج الذي اورق، فيخبركم أن القوم قد لبسوا السلاح، وأما
تشكى النساء فيخبركم إنهن قد عملن حجلا يغزون يه.
قال: فتحرزت عمرو فركبت الدهناء وانذروا بني مالك فقالوا: ما ندري ما تقول بنو عمرو،
ولسنا متحولين لما قال صاحبهم. قال: فصبحت اللهازم بني حنظلة فوجدوا عمرا قد
جلت، وكان على الجيش أبجر بن جابر العجلي، وشهدها ناس من بني تيم اللات،
وشهدها الفرز بن الأسود ين شريك في بني شيبان، فاقتتلوا، فأسر ضرار بن القعقاع بن
زرارة، وتنازع في أسره بشر بن العوراء من تيم اللات، والفرز بن الأسود فجزوا ناصيته
وخلوا أسره من تحت الليل، وأسر عمرو بن قيس من بني ربيعة بن عشجل بن المأموم بن
شيبان بن علقمة من بني زرارة، ثم من عليه، وأسرت غمامة بنت الطود بن عبيد بن
زرارة، واشترك في أسرها الخطيم بن هلال، وظربان بن زياد، وقيس بن خليد، فردوها إلى
أهلها، وأسر حنظلة بن المأموم بن شيبان بن علقمة، أسره طلبة بن زياد أحد بني ربيعة بن
عجل، وأسر حوثرة بن بدر من بني عبد الله بن دارم، فلم يزل في الوثاق حتى قال أبياتاً

يمدح فيها بني عجل فأطلقوه، وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وعمرو بن ناشب،
وأسر سنان بن عمرو أحد بني سلامة من بني دارم، وأسر حاضر بن ضمرة، وأسر الهيثم
بن صعصعة، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته، وقتل حكيم النهشلي، وكان يقاتل
ويرتجز:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وفيه يقول عنترة:

وغادرنا حكيماً في مجال صريعاً قد سلبناه الإزارا

يوم النباح وثيتل
لبكر على تميم
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: غدا قيس بن عاصم في مقاعس وهو رئيس عليها -
ومقاعس هم: صريم، وربيع، وعبيد، بنو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة
بن تميم - ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحماني في الأجارب وهم: حمان، وربيعة، ومالك،
والأعرج، بنو كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بني ذهل بن
ثعلبة بن عكابة، واللهازم وهم: بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة، وعجل بن لجيم، وعنزة بن
أسد ابن ربيعة بالنباح وثيتل، وبينها روحة، فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب في
الإغارة، ثم اتفقا على أن يغير قيس على أهل النباح، ويغير سلامة على أهل ثيتل. قال:
فبعث قيس بن عاصم الأهتم سبقة له - والسبقة: الطليعة - فأتاه الخير فلما اصبح قيس
سقى خيله، ثم أطلق أفواه الروايا وقال لقومه: قاتلوا فإن الموت بين أيديكم، والفلاة من
ورائكم. فلما دنوا من القوم صبحا سمعوا ساقياً يقول لصاحبه: يا قيس، أورد، فتفاءلوا به،
فأغاروا على النباح قبل الصبح، فقاتلوهم قتالاً شديداً، ثم إن بكرا انهزمت، فأسر الأهتم
حمران بن بشر بن عمرو ابن مرثد، وأصابوا غنائم كثيرة، فقال قيس لأصحابه: لا مقام دون
الثيتل، فالنجاة، فأتوا ثيتل ولم يغزوا سلامة وأصحابه بعد، فأغار عليهم قيس بن عاصم،
فقاتلوه ثم انهزموا، فأصاب إبلاً كثيرة، فقال ربيعة بن طريف:

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم فأنت لنا عز عزيز وموئل
وأنت الذي حربت بكر بن وائل وقد عضلت منها النباح وثيتل
غداة دعت يا آل شيبان إذ رأت كراديس يزجيهن ورد محجل

وقال قرة بن قيس بن عاصم:

أنا ابن الذي شق المزاد وقد رأى بتثيل أحياء اللهازم حضرا
فصحبهم بالجيش قيس بن عاصم فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابساً إذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراءون إلا فجاءةً نثرن عجاجاً بالسنابك أكدرا
سقاهم بها الذيقان قيس بن عاصم وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا
وحمران أدته إلينا رماحنا فنازع غلا في ذراعيه أسمرا
وجثامة الذهلي قدناه عنوة إلى الحي مصفود اليدين مفكراً

يوم زرود الثاني

لبني يربوع على بني تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بني يربوع وهم بزرود، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت
بنو تغلب، وأسر خزيمة بن طارق، أسره أنيف بن جبلة الضبي - وهو فارس السليط،
وكان يومئذ نقيلاً في بني يربوع - وأسيد بن حناءة السليطي، فتنازعا فيه، فحكما الحارث
بن قراد، فحكم بناصية خزيمة للأنيف، على أن لأسيد على انيف مائة من الإبل. قال:
ففدي خزيمة نفسه بما ئتي بعير وفرس، فقال أنيف:

أخذتك قسراً يا خزيم بن طارق ولا قيت مني الموت يوم زرود
وعانقته والخيل تدمى نحورها فأنزلته بالقاع غير حميد

يوم ذي طلوح

لبني يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة، تزوج مرية بنت جابر، أخت
أبجر بن جابر العجلي، فابتنى بها في بني عجل، فأتى أبجر أخته امرأة عميرة يزورها فقال
لها: إني لأرجو أن آتيك ببنت النطف امرأة عميرة التي في قومها، فقال له عميرة: أترضى أن
تحاربني وتسبيني؛ فندم أبجر وقال لعميرة: ما كنت لأغزو قومك، ثم غزا أبجر والحوفزان
متساندين، هذا فيمن تبعه من بني شيبان، وهذا فيمن تبعه من اللهازم، وساروا بعميرة
معهم قد وكل به أبجر أخاه حرقصة بن جابر، فقال له عميرة: لو رجعت إلى أهلي
فاحتملتهم، فقال حرقصة: افعل، فكر عميرة على ناقته، فسار يومين وليلة، أتى بني يربوع،

فأنذرهم الجيش، فاجتمعوا حتى التقوا بأسفل ذي طلوح، فكان أول فارس طلع عليهم
عميرة، فنادى: يا أبجر، هلم! فقال من أنت؟ قال: أنا عميرة، فكذبه، فسفر عن وجهه،
فعرفه، فأقبل إليه، والتفت الخيل بالخيل، فأسر الجيش إلا أقلهم، وأسر حنظلة ابن بشر بن
عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم - وكان في بني يربوع - الحوفزان بن شريك،
أخذه معه أبو مليل، وأخذ ابن طارق سوادة بن يحيى ابن عم أبجر، وأخذ أبو عنمة
الضبي الشاعر مع بني شيبان، فافتكه متمم بن نويرة، وأسر شريك بن الحوفزان، وأسود
وفلحس، وهما من بني سعد بن همام فقال جريريذ كريوم ذي طلوح:

ولما لقينا خيل أبجر تدعى بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلا رأوا أن لا هوادة عندنا دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

يوم الحائر
وهو يوم ملهم
لبني يربوع على بني بكر
وذلك أن بني مليل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد، وعلقمة أخاه انطلقا يطلبان
لهما حتى وردا ملهم من أرض اليمامة، فخرج عليهما نفر من بني يشكر، فقتلوا علقمة
وأخذوا أبا مليل، فكان عندهم ما شاء الله ثم خلوا سبيله، وأخذوا عليه عهداً وميثاقاً
ألا يخبر بأمر أخيه أحداً، فأتى قومه فسألوه عنه فلم يخبرهم، فقال وبرة بن حمزة: هذا قد
أخذ عليه عهد وميثاق، فخرجوا يقصون الأثر وبينهم شهاب بن عبد القيس حتى وردوا
ملهم، فلما رآهم أهل ملهم تحصنوا، فحرقت بنو يربوع بعض زرعهم، وعقروا بعض نخلهم،
فلما رأى ذلك القوم نزلوا إليهم فقاتلوهم، فهزمت بنو يشكر، وقتل عمرو بني صابر صبراً،
ضربوا عنقه، وقتل عيينة بن الحارث بن شهاب بن مثلم بن عبيد بن عمرو رجلاً آخر
منهم، وقتل مالك بن نويرة حمران بن عبد الله وقال:

طلبنا بيوم مثل يومك علقما لعمري لمن يسعى بها كان أكرما
قتلنا بجنب العرص عمرو بن صابر وحمران أقصدناهما والمثلما

فلله عينا من رأى مثل خيلنا وما أدركت من خيلهم يوم ملهما
يوم القحقح
وهو يوم مالة
لبني يربوع على بكر
أغارت بنو أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على بني يربوع ورئيسهم مجبة ابن ربيعة بن
ذهل، فأخذوا إبلاً لعاصم بن قرط أحد بني حميد، وانطلقوا، فطلبهم بنو يربوع،
فناوشوهم، فكانت الدائرة على بني ربيعة، وقتل المنهال بن عصمة المجبة بن ربيعة، فقال في
ذلك ابن حمران الرياحي:
وإذا لقيت القوم فاطعن فيهم يوم اللقاء كطعنة المنهال
ترك المجبة للضباع مجدلاً والقوم بين سوافل وعوال
يوم رأس العين
لبني يربوع على بكر
أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة براس العين فاطردوا النعم، واتبعهم
معاوية بن فراس في بني أبي ربيعة فأدركوهم، فقتل معاوية وفاتوا بالإبل، فقال سحيم في
ذلك:
أليس الأكرمون بنو رياح نموني منهم عمي وخالي
همو قتلوا المجبة وابن تيم تنوح عليهما سود المآل
وهم قتلوا عميد بني فراس برأس العين في الحجج الخوالي
وذادوا يوم طفخة عن حماهم ذياد غرائب الإبل النهال
يوم العظالي
لبني يربوع على بكر
قال أبو عبيدة: وهو يوم أعشاش ويوم الأفاقة ويوم الإياد ويوم مليحة.
قال: وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يجيرونهم ويجهزونهم، فأقبلوا من
عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين، يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن - قال:
وكانوا يشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء انحدروا إلى الحزن - قال: فاحتمل بنو عتيبة وبنو
عبيد وبنو زبيد من بني سليط، أول الحي، حتى أسهلوا ببطن مليحة، فطلعت بنو زبيد في
الحزن حتى حلوا الحديقة بالأفاقة، وحلت بنو عبيد وبنو عتيبة بروضة الثمد. قال: وأقبل
الجيش حتى نزلوا هضبة الخصى، ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاماً شاباً من بني عبيد يقال

له قرط بن أضبط، فعرفه بسطام فقال له: أخبرني ما ذاك السواد الذي أرى بالحديقة؟
قال: هم بنو زبيد.
قال: أسيد بن حناءة؟ قال: نعم قال: كم هم؟ قال: خمسون بيتاً، قال: فأين بنو عتيبة
وبنو أريم؟ قال: نزلوا روضة الثمد. قال: فأين سائر الناس؟ قال هم محتجزون بجفاف.
قال: فمن هناك من بني عاصم؟ قال: الأحيمر وقعنب ومعدان أبناء عصمة. قال: فمن
فيهم من بني الحارث بن عاصم؟ قال: حصين ابن عبد الله.
فقال بسطام لأصحابه:
أطيعوني تقبضوا على هذا الحي من زبيد، وتصبحوا سالمين غانمين. قالوا: وما يغني عنا
بنو زبيد لا يودون رحلتنا. قال: إن السلامة إحدى الغنيمتين.
فقال له مغروق: انتفخ سحرك يا أخا الصهباء، قال له هانئ: أجبنا. قال: ويلكم إن أسيداً لم يظله بيت قط
شاتيا ولا قائظا، إنما بيته القفر، فإذا أحس بكم أحال على الشقراء، فركض حتى يشرف
مليحة، فينادي: يا آل يربوع! فيركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة، ولا يبصر أحدكم
مصرع صاحبه، وقد جئتموني وأنا تابعكم، وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غداً.
فقالوا: نلتقط بني زبيد، ثم نلتقط بني عبيد وبني عتيبة كما نلتقط الكمأة، ونبعث فارسين
فيكونان بطريق أسيد، فيحولان بينه وبين بني يربوع، ففعلوا.
فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء وخرج نحو بنى يربوع، فابتدره الفارسان فطعنه أحدهما فألقى نفسه في شق
فأخطأه، ثم كرر راجعاً حتى أشرف مليحة، فنادى: يا صباحاه! يا آل يربوع، غشيتم
فتلاحقت الخيل حتى توافوا بالعظالى، فاقتتلوا، فكانت الدائرة على بكر، قتل منهم مغروق
بن عمرو، فدفن بثينة مغروق، وبه سميت، وغيره. وأما بسطام فألح عليه فارس من بني
يربوع، وكان دارعاً على ذات النسوع، وكانت إذا أجدت لم يتعلق بها شيء من خيلهم،
ففاقت الطلب حتى أتى قومه.
يوم الغبيط
لبني يربوع على بكر
ويقال له يوم الثعالب. قال: غزا بسطام بن قيس، ومغروق بن عمرو، والحارث بن شريك –

وهو الحوفزان - بلاد بني تميم، وهذا اليوم قبل يوم العظالي، فأغاروا على بني ثعلبة بن
يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضبة، وثعلبة بن عدي ابن فزارة، وثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فلذلك قيل له يوم الثعالب. وكان هؤلاء جميعاً متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا، فانهزمت
الثعالب، فأصابوا فيهم واستاقوا إبلاً من نعمهم، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه
الوقعة لأنه كان نازلاً يومئذ في بني مالك بن حنظلة. قال: ثم أسروا على بني مالك، وهم بين
صحراء فلج بين الغبيط، فاكتسحوا إبلهم، فوكبت عليهم بنو مالك، فيهم عتيبة بن الحارث
ابن شهاب، ومعه فارسان من فرسان بني يربوع وتأنف إليهم الأحيمر بن عبد الله، وأسيد
بن حناءة، وأبو مرحب، وجزء بن سعد الرياحي - وهو رئيس بني يربوع، وربيع،
والحليس، وعمارة، بنو عتيبة بن الحارث، ومعدان وعصمة ابنا قعنب، ومالك بن نويرة،
والمنهال بن عصمة أحد بني رياح بن يربوع، وهو الذي يقول فيه متمم بن نويرة في شعره الذي
يرثي به أخاه مالكاً:

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

فأدركوهم بغبيط المدرة، فقاتلوهم حتى هزموهم، وأدركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم،
وأسر بسطام، أسره عتيبة، فلم يزل عنده حتى فادى نفسه. قيل: إنه فدى نفسه بأربعمائة
بعير وثلاثين فرساً ولم يكن غيره عكاظي أعلى فداء منه، على أن جز ناصيته وعاهده ألا
يغزو بني شهاب أبداً..

يوم مخطط
لبني يربوع على بكر

قال أبو عبيدة: غزا بسطام بن قيس والحوفزان الحارث متساندين يقودان بكر بن وائل،
حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس، وهو بطن لإياد، وبينه وبين مخطط ليلة، وقد نذرت
بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط، فاقتتلوا، فانهزمت بكر، وهرب الحوفزان وبسطام ففاتا
ركضا، وقتل شريك بن الحوفزان، قتله شهاب ابن الحارث أخو عتيبة، وأسر الاحيمر بن
عبد الله بن الضريس الشيباني.

يوم جدود

غزا الحوفزان وهو الحارث بن شريك فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة،
فأخذ نعماً كثيراً ونساء فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فاعجب بها وأعجبت به،
فلم يتمالك أن وقع بها، فلما انتهى إلى جدود منعهم بنو يربوع ابن حنظلة أن يردوا الماء،
ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم فلم يكن لبني بكر بهم يد، فصالحوهم على
أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم حتى يردوا الماء، فقبلوا ذلك منهم وأجازوهم، فلما أتى
الصريح بني سعد، ركب قيس ابن عاصم في أثر القوم حتى أدركهم بالأشمين، فالح قيس
على الحوفزان، وقد حمل الزرقاء رديفاً على فرسه الزبد، وعقد شعرها على صدره، فاخذ
قيس بن عاصم بحيث يكلم الحوفزان، فقال له قيس: يا أبا حماد، أنا خير لك من الفلاة
والعطش، قال له: ما يشاء الزبد. فلما رأى قيس أن فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء فقال:
ميلي به يا جعار، فجزا الحوفران قورنها بالسيف ودفعها بمرفقه وألقاها عن عجز فرسه
فردها قيس بن عاصم إلى بني ربيع.

يوم سفوان

قال أبو عبيدة: التقت بنو ما زن وبنو شيبان على ماء يقال سفوان، فزعمت بنو شيبان
أنه لهم، وأرادوا أن يجلوا تميماً عنه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظهرت عليهم بنو تميم وشلوهم
حتى بلغوا المحدث، وكانوا قبل ذلك يتوعدون بني مازن، فقال في ذلك الوداك المازني:

رويداً بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى إذا الخيل جالت في القنا المتداني
عليها الكماة الغر من آل مازن ليوث طعان كل يوم طعان
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم لأي مكان

يوم نقا الحسن

وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان
فيه قتل بسطام. قال أبو عبيدة: غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد -

وقيس بن مسعود هو ذو الجدين، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة ابن أد بن طابخة -
فأغار على ألف بعير لمالك بن المنتفق فيها فحلها قد فقأ عينه، وكان في الإبل مالك بن
المنتفق، فركب فرساً له ونجا ركضاً حتى إذا دنا من قومه نادى: يا صباحاه، فركبت بنو
ضبة، وتداعت بنو تميم، فتلاحقوا بالنقا، فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه:
أيهم رئيس القوم؟ قال: حاميتهم صاحب الفرس الأدهم - يعني بسطاماً - فعلا عاصم
عليه بالرمح فطعنه، فلتخطئ صماخ أذنه حتى خرج الرمح من الناحية الأخرى وخر. فلما
رأى ذلك بنو شيبان خلو سبيل النعم وولوا الأدبار، فمن قتيل وأسير، وأسر بنو ثعلبة
نجاد بن قيس أخا بسطام في سبعين من بني شيبان: وقال شمعلة بن الأخضر بن هبيرة:

ويوم شقائق الحسنين لاقت بنو شيبان آجالاً قصارا
شككنا بالرماح وهن زور صماخي كبشهم حتى استدارا

أيام بكر على تميم
يوم الزويرين
قال أبو عبيدة: كانت بكر بن وائل تنتجع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى بها إذا أجدبوا،
فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصيبونها ولا شيئاً يظفرون به إلا اكتسحوه، فقال بنو
تميم: امنعوا هؤلاء القوم من رعي أرضكم، فحشدت تميم، وحشدت بكر واجتمعت، فلم
يتخلف عنهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيبان، وكان غازياً، فقدمت
بكر عليهم عمر الأصم أبا مفروق - وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي
ربيعة بن ذهل بن شيبان - فحسد سائر ربيعة الأصم على الرياسة، فأتوه فقالوا: يا أبا
مفروق، إنا قد زحفنا لتميم وزحفوا لنا أكثر ما كنا وكانوا قط. قال: فما تريدون؟ قالوا:
نريد أن نجعل كل حي على حياله، ونجعل عليهم رجلاً منهم، فنعرف غناء كل قبيلة، فإنه
أشد لاجتهاد الناس. قال: والله إني لأبغض الخلاف عليكم، ولكن يأتي مفروق فينظر فيما
قلتم. فلما جاء مفروق شاوره أبوه، فقال له مفروق: ليس هذا أرادوا، وإنما أرادوا أن
يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك، والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل

بذلك أبداً، ولئن ظفر بك لا تزال لنا رياسة نعرف بها، فقال الأصم: ياقوم، قد استشرت
مفروقاً فرأينه مخالفاً لكم، ولست مخالفاً رأيه وما أشار به.
فأقبلت تميم بجملين مجلين
مقرونين مقيدين وقالوا: لا نولي حتى يولى هذا الجملان، وهما الزويران، فأخبرت بكر بقولهم
الأصم فقال: وأنا زويركم إن خشوهما فخشوني، وإن عقروهما فاعقروني، قال: والتقى القوم
فاقتتلوا قتالاً شديداً. فأسرت بنو تميم حراث بن مالك أخا بني مرة بن همام. فركض به
رجل منهم وقد أردفه، فاتبعه ابنه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس الذي أسر أباه،
فطعنه فأرداه عن فرسه، واستنقذ أباه، ثم انهزمت بنو تميم.
وقال رجل من بني سدوس:

يا سلم إن تسألي عنا فلا كشف عند اللقاء ولسنا بالمقاريب
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا جيش الزورين في جمع الأحاليف
ظللوا وظللنا نكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

يوم الشيطين
لبكر على تميم
قال أبو عبيدة: لما ظهر الإسلام - قبل أن يسلم أهل نجد والعراق - سارت بكر بن وائل
إلى السواد وقالت: نغير على بني تميم بالشيطين، فإن في دين ابن عبد المطلب أنه من قتل
نفساً قتل بها، فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها.
فارتحلوا من لعلع بالذراري والأموال، فأتوا الشيطين في أربع، وبينهما مسيرة ثمانية أميال
فسبقوا الخبر فصبحوهم وهم لا يشعرون، ورئيسهم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن
خالد ذي الحدين، فقتلوا بني تميم قتلاً ذريعاً وأخذوا أموالهم.
قال: قتل من بني تميم يوم
الشيطين ولعلع ستمائة رجل، قال: فوفد وفد من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا: ادع الله على بكر بن وائل! فأبى صلى الله عليه وسلم.

يوم صعفوق
لبكر على تميم
أغارت بنو ربيعة على بني سليط بن يربوع يوم صعفوق،
فأصابوا منهم أسرى، فأتى
طريف بن تميم العنبري فروة بن مسعود، وهو يومئذ سيد بني ربيعة، ففدي منهم أسرى
بني سليط ورهنهم ابنه، فأبطأ عليهم فقتلوا ابنه.

يوم مبايض
لبكر على تميم
قال أبو عبيدة: كانت الفرسان إذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام، وأمن بعضهم بعضاً،
تقنعوا كي لا يعرفوا، فكان طريف بن تميم لا يتقنع، فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن
وائل، وكان طريف قد قتل شراحيل الشيباني أحد بني عمرو بن ربيعة، فقال خميصة:
أروني طريفاً، فأروه إياه، فتأمله ونظر إليه، ففطن له طريف فقال: مالك تنظر؟ فقال:
أتوسمك لأعرفك، فلله علي إن لقيتك أن أقتلك أو تقتلني.
قال: فمضى لذلك ما شاء الله، ثم إن بني عائذة حلفاء بني ربيعة بن ذهل، خرج منهم
رجلان يصيدان، فعرض لهما رجل من بني شيبان، فذعر عليهما صيدهما، فوثبا عليه
فقتلاه، فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما، فأبت بنو ربيعة ذلك عليهم، فقال
هانئ بن مسعود: يا بني ربيعة، إن إخوتكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم، ففارقوهم،
وساروا حتى نزلوا بمبايض: - ماء لهم - فأبق عبد لرجل من بني ربيعة، وسار إلى بلاد
تميم، فأخبرهم أن حياً جديداً، أي منتقى من قومه، من بكر بن وائل نزول على مبايض
وهم بنو ربيعة، فقال طريف العنبري: هؤلاء فأرى ياآل تميم، وأقبل معه أبو الجدعاء أخو
بني طهية، وجاءه فدكى بن أعبد المنقري في جمع من بني سعد بن زيد مناة، فأنذرت بهم
بنو ربيعة؛ فانحاز بهم هانئ بن مسعود، وهو رئيسهم إلى علم مبايض، وأقام عليه وشرفوا
بالأموال والسرح، وصبحتهم تميم، فقال لهم طريف: أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكلب
يصف لكم ما وراءهم، فقال لهم أبو الجدعاء - رئيس حنظلة - وفدكي - رئيس بني
سعد بن زيد مناة: أنقاتل أكليا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم؟ ما هذا برأي! وأبوا عليه.
وقال هانئ لأصحابه: لا يقاتل رجل منكم، ولحقت تميم بالنعم والبغال فأغاروا عليها، فلما
ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانئ بن مسعود لأصحابه: احملوا عليهم، فهزموهم. وقتل
طريف العنبري، قتله خميصة الشيباني.
يوم فيحان
لبكر على تميم

قال أبو عبيدة: لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتيبة بن الحارث إذ أسره يوم الغبيط
بأربعمائة بعير فقال: لأدركن عقر إبلي، فأغار بفيجان، فاخذ الربيع بن عتيبة واستاق ماله،
فلما سار يومين شغلوا عن الربيع بالشراب، فبال على قيده حتى لان؛ ثم خلعه وانحل منه،
ثم أحال في متن ذات النسوع - فرس بسطام - وهرب، فركبوا في أثره، فلما يئسوا منه ناداه
بسطام: ياربيع، هلم طليقاً، فأبى، وأتوه في نادي قومه بحدثهم، فجعل يقول في أثناء حديثه:
إيها يا ربيع! انج ياربيع! وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بني يربوع فإذا هو براع فاستسقاه
وضربت الفرس براسها فماتت، فسمى ذلك المكان هبير الفرس، فقال له أبوه عتيبة: أما إذ
نجوت بنفسك فإني مخلف لك مالك.

يوم ذي قار الأول

لبكر على تميم

قال: فخرج عتيبة في نحو من خمسة عشر فارساً من بني يربوع، فكمن في جنبي ذي قار
حتى مرت بهم إبل بني الحصين، وهي بالعدوانة: اسم ماء لهم، فصاحوا بمن فيها من
الحامية والرعاية، ثم استاقوها، فاخلف للربيع ما ذهب له وقال:

ألم ترني أفأت على ربيع جلاداً في مباركها وخورا
وأني قد تركت بني حصين بذي قار يرمون الأمورا

يوم الحاجز

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة: خرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة، فلقيه بنو أسيد ابن عمرو بن
تميم، فأسروه وجعلوا يغمسونه في الماء في الركبة ويقولون: ياأيها المانح دلوى دونكا
حتى قتلوه، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز، فاخذ ثمامة بن باعث ابن صريم
رجلاً من بني أسيد وجيهاً فيهم فقتله، وقتل على الظنة مائة منهم.

يوم الشقيق

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة: أغار أبجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة، فسبى سليمى بنت
محصن، فولدت له أبجر، ففي ذلك يقول أبو النجم:

ولقد كررت على طهيه كرة حتى طرقت نساءها بمساء

حرب البسوس

وهي حرب بكر وتغلب ابني وائل

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة من رؤساء
العرب وهم: عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث.
وعامر هو قائد معد يوم البيداء حين تمدحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول
واقعة كانت بين تهامة واليمن.
والثاني: ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وهو قائد
معد يوم السلان، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن.
والثالث: كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه: أعز من كليب وائل، وقاد معداً كلها يوم
خزاز، ففض جموع اليمن وهزمهم، واجتمعت عليه معد كلها جعلوا له قسم الملك وتاجه
وتحيته وطاعته، فغبر بذلك حيناً من الدهر، ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى
بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول: وحش أرض كذا في
جواري فلا يهاج، ولا تورد إبل أحد مع إبله، ولا توقد نار مع ناره.
وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة، وكان كليب قد تزوج جليلة بنة مرة
بن ذهل بن شيبان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقة يقال لها: السراب، وبها يضرب
المثل في التشاؤم، فيقال: أشأم من السراب وأشأم من البسوس وهي معقولة بفناء بيتها في
جوار جساس بن مرة، فمرت بها إبل لكليب، فلما رأت السراب الإبل تازعث عقالها حتى
قطعته، وتبعت فلما رآها أنكرها، فانترعها بسهم فحرم ضرعها، فنفرت وهي ترغو، فلما
رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت: واذلاه! واجاراه.

مقتل كليب وائل

قال: فأجمشت جساساً، فركب فرساً له مغروراً به، وتبعه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن
شيبان على فرسه، ومعه رمحه، حتى دخلا على كليب الحمى، فطعنه جساس فقصم
صلبه، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قطنة، فوقع كليب وهو يفحص برجله وقال
لجساس: أغثني بشربة من ماء، فقال له: تجاوزت شبيثاً والأحص، ففي ذلك يقول عمرو بن
الأهتم:

وإن كليباً كان يظلم قومه فأدركه مثل الذي تريان

فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكر ظلم الأهل أي أوان
وقال لجساس أغثني بشربة وإلا فخير من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الأحص وماءه وبطن شبيث وهو غير زؤان
وقال نابغة بني جعد:
أبلغ عقالاً أن خطة داحس بكفيك فاستأخر لها أو تقدم
كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر ذنباً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
وقال لجساس أغثني بشربة تدارك بها منا علي وانعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه وبطن شبيث وهو ذو متوسم
قال: فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهي، وتشمر المهلهل أخو
كليب - واسمه عدي بن ربيعة، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من هلهل الشعر، أي أرقه -
فاستعد المهلهل لحرب بكر، وترك النساء والغزل، وحرم القمار والشراب، وجمع إليه قومه،
فأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان يعذر إليهم فيما وقع من الأمر، فأتوا مرة بن ذهل بن
شيبان وهو في نادي قومه، فقالوا له: إنكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليباً بناب من الإبل،
فقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمة، وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم، ونحن
نعرض عليكم حلالاً أربعاً، لكم فيها مخرج ولنا مقنع، قال مرة: ما هي؟ قالوا: تحيي لنا
كليباً أو تدفع لنا جساساً قاتله فنقتله به، أو هماماً فإنه كفء له، أو تمكننا من نفسك فإن
فيك وفاء من دمه، فقال: أما إحيائي كليباً فهذا ما لا يكون. وأما جساس فإنه غلام طعن
طعنةً على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوت عليه. وأما همام فإنه أبو
عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لي فأدفعه إليكم يقتل
بجريرة غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة غداً فأكون أول قتيل بينهما، فما
أتعجل من الموت، ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما فهؤلاء بني الباقون فعلقوا في
عنق أيهم شئتم تسعة فانطلقوا به إلى رجالكم فاذبحوه ذبح الجزور وإلا فألف ناقة سوداء
المقل أقيم لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل، فغضب القوم وقالوا: لقد أسأت، تبذل لنا صغار
ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب.

ووقعت الحرب بينهم، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها، واعتزلت قبائل بكر بن
وائل، وكرهوا مجامعة بني شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم، وأعظموا قتل جساس
كليباً بناب من الإبل، فظعنت لجيم عنهم، وكفت يشكر عن نصرتهم، وانقبض الحارث بن
عباد في أهل بيته، وهو أبو بجير وفارس النعامة. وقال المهلهل يرثي كليباً من أبيات:

بات ليلي بالأنعمين طويلاً أرقب النجم ساهراً أن يزولا
كيف اهدي ولا يزال قتيل من بني وائل ينسى قتيلا

في قصيدة طويلة.
وقال أيضاً يرثيه من أخرى:

نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
القائد الخيل تردى في أعنتها زهواً إذا الخيل لجت في تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها إلا وقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة كمناً أنابيبها زرقاً عواليها
ترى الرماح بأيدينا فتوردها بيضاً ونصدرها حمراً أعاليها
لا أصلح الله يوماً من يصالحكم ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها

يوم النهي
فالتقوا بماء يقال له: النهي، كانت بنو شيبان نازلة عليه، ورئيس تغلب المهلهل، ورئيس
شيبان الحارث بن مرة، فكانت الدائرة لبني تغلب، ولم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة.
يوم الذنائب
ثم التقوا بالذنائب، وهي أعظم وقعة كانت لهم، فظفرت بنو تغلب وقتل من بكر مقتلة
عظيمة، وفيه قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن شيبان، وهو جد الحوفزان، قتله
عتاب بن سعد بن زهير بن جشم، وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن
شيبان، وقتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة،
وهو أحد الحرقيين، وكان شيخاً كبيراً، فحمل في هودج، فلحقه عمرو بن مالك بن
الفدوكس بن جشم فقتله.
يوم واردات
ثم التقوا يوم واردات وعليهم رؤساؤهم الذين تقدم ذكرهم، فظفرت بنو تغلب، واستحر

القتل في بني بكر، فيومئذ قال الشعثمان: شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل
بن ثعلبة وسيار بن الحارث بن سيار، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه، فمر به
مهلهل مقتولاً فقال: والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز علي فقداً منك يوم عنيزة.

يوم عنيزة

ثم التقوا بعنيزة، فظفرت بنو تغلب، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت
الدائرة فيها لبني اغلب على بني بكر، فمنها يوم الحنو، ويوم عويرضات، ويوم أنين، ويوم
ضرية، ويوم القمصيبات، كلها لتغلب على بكر، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن
يستقبلوا أمرهم.

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينعاها على بكر في قصيدة طويلة أولها:

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب لأخبر بالذنائب أي زير
وإني قد تركت بواردات بجيراً في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل أشفى للصدور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا برزت مخبأة الخدور

وقال المهلهل أيضاً وقد أشرف في الدماء:

أكثرت قتل بني بكر بربهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم حتى أبهرج بكراً أينما وجدوا

أبهرج: أي أدعهم بهرجاً، لا يقتل بهم قتيل، ولا تؤخذ بهم دية.

وقال أيضاً:

قتلوا كليباً ثم قالوا أربعون كذبوا ورب الحل والإحرام
حتى تبيد قبيلة وقبيلة ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسراً يمسحن عرض ذوائب الأيتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه مما يرى ندماً إلى إبهام

يوم قضة

قال: ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر وقع، وكانت أكثر بكر
قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليباً، وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب،
حتى قتل ابنه بجير بن الحارث بن عباد، فلما بلغه قتله قال: نعم القتيل أصلح بين ابني وائل،
وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله مفؤاً له، فقيل له: إنما قتله بشسع نعل
كليب. وكان المهلهل قال لما قتل بجير بن الحارث: بؤ بشسع نعل كليب، فلما سمع الحارث

ذلك غضب، وكان له فرس يقال له النعامة، فركبها وتولى قتال تغلب بنفسه، فكانت الدائرة
فيه على تغلب، فتفرقت قبائل تغلب وهرب المهلهل. وقال الحارث بن عباد:

قوبا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيالي
قربا مربط النعامة مني شاب رأسي وأنكرتني رجالي
لم أكن من جناتها علم الل ه وإني بحرها اليوم صال

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كرر فيها:

قربا مربط النعامة مني
في خمسين بيتاً

وكان أول يوم شهده الحارث يوم قضة، وهو يوم تحلاق اللمم، وفيه يقول طرفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدي البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النعم

يوم تحلاق اللمم

ويوم تحلاق اللمم، إنما سمى بذلك لأن الحارث بن عباد لما تولى الحرب قال لقومه: احملوا
معكم نساءكم يكن من ورائكم، فإذا وجدن جريحاً منهم قتلوه، وإذا وجدن جريحاً منا
سقينه وأطعمنه، فقالوا: ومن أين يتميز لهن؟ فقال: احلقوا رءوسكم لتمتازوا بذلك،
فعلوا، فسمى به، فقال جحدر بن ضبيعة - وكان من شجعانهم -: اتركوا لمتي وأقتل لكم
أول فارس يقدمهم، فتركوه، وهو الذي قتل عمراً وعامراً التغلبيان، كعن أحدهما بسنان
رمحه، والآخر بزجه، ثم صرع بعد ذلك، فلما رأته نساء بكر دون حلق ظنوه من تغلب
فأجهزوا عليه.

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عباد المهلهل عدي بن ربيعة وهو لا يعرفه فقال له: دلني
على عدي وأخلي عنك، فقال له عدي: عليك العهد بذلك إن دللتك عليه، قال نعم، قال
فأنا عدي، فجز ناصيته وتركه وقال فيه:

لهف نفسي على عدي ولم أع رف عدياً إذ أمكنتني اليدان

وكان الحارث آلى ألا يصالح نغلباً حتى تكلمه الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت
أنها ما تقوم له حفروا سرباً تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا له: إذا مر بك الحارث
فغن بهذا البيت:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فلما مر الحارث اندفع الرجل وغنى بالبيت، فقيل للحارث قد بر بقسمك فابق بقية قومك،
فأمسك، فاصطلحت بكر وتغلب.
ثم إن المهلهل فر بنفسه فنزل بمذحج في بني جنب، فخطبوا إليه ابنته، وقيل أخته،
فمنعهم، فاجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من أدم، فقال في ذلك:

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدها الأراقم في جنب وكان الخباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون في ذلة ولا عدم

ثم اشترى المهلهل عبدين يغزوان معه، فغزا بهما حتى طال عليهما ذلك، فاختارا الراحة
منه، فاجمعا على قتله بموضع قفر، فلما شعر بما هما به ولم ير لنفسه ملجأ قال لهما: أبلغا
عني هذه المراسلة، فقالا هات، فقال:

من مبلغ عني بأن مهلهلاً لله دركما ودر أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بيته فقالا: مات بأرض كذا وذكرا وصيته، فلم يدر أحد ما أراد،
فقالت ابنته: والله ما كان أبي ردي الشعر، ولا سفساف الكلام، وإنما أراد أن يخبركم أن
العبدين قتلاه، وإنما معنى البيت:

من مبلغ عني بأن مهلهلاً أضحى قتيلاً بالفلا مجدلا
لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقرا بذلك. وقيل: إنه أصبح قتيلاً بين رجلي جمل هاج. والله تعالى
أعلم بالصواب.

الكلاب الأول

قال أبو عبيدة: لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها، وتقاطعت أرحامها؛ ارتأى
رؤساؤهم فقالوا: إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا، فأكل القوي الضعيف، فنرى أن نملك
علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير، فيأخذ للضعيف من القوي، ويرد على المظلوم من الظالم،
ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون، فيفسد ذات بيننا، ولكننا نأتي تبعاً
فنملكه علينا، فأتوه فذكروا له أمرهم فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي،
فقدم فنزل بطن عاقل.
ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة اللخميين، وملوك الشام

الغسانيين، وردهم إلى أقاصي أعمالهم، ثم طعن في نيطة فمات فدفن ببطن عاقل.
واختلف ابناه شرحبيل وسلمة في الملك، فتواعدا الكلاب، فأقبل شرحبيل في ضبة
والرباب كلها، وبني يربوع، وبكر بن وائل. وأقبل سلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من
بني مالك بن حنظلة، وعليهم سفيان بن مجاشع، وعلى تغلب السفاح، وإنما قيل له السفاح
لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم: اندروا إلى ماء الكلاب، فسبقوا ونزلوا عليه، وإنما خرجت
بكر مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب، فالتقوا على الكلاب، واستحر القتل في بني يربوع،
وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله، وكان شرحبيل قد قتل ابنه حنشاً، فأراد أبو حنش
أن يأتي برأسه إلى سلمة، فخافه فبعثه مع عسيف له، فلما رآه سلمة دمعت عيناه وقال
له:
أنت قتلته؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنش، إنما أدفع الثواب إلى قاتله، فهرب أبو حنش
منه، فقال سلمة في ذلك:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثواب
تعلم أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب

يوم الصفقة
وهو يوم الكلاب الثاني
قال أبوعبيدة: كان يوم الكلاب متصلاً بيوم الصفقة. وكان من حديث الصفقة أن كسرى
كان قد أوقع ببني تميم، فأخذ الأموال وسبى الذراري بمدينة هجر، وذلك أنهم أغاروا على
لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة، ثم إن بني تميم
أداروا أمرهم، وقال ذو الحجى منهم: إنكم قد أغضبتم الملك، وقد أوقع بكم حتى
وهنتم، وتسامعت بما لقيتم القبائل، ولا تأمنون دوران العرب.
فجمعوا سبعة من رؤسائهم وشاوروهم في أمرهم، وهم: أكثم بن صيفي الأسدي،
والاحيمر بن يزيد بن مرة المازني، وقيس بن عاصم المنقري، وأبير بن عصمة التيمي،
والنعمان بن جساس التيمي، وأبين بن عمرو السعدي،
والزبرقان بن بدر السعدي فقالوا
لهم: ماذا ترون؟ فقال أكثم بن صيفي، وكان يكنى أبا حنش: إن الناس قد بلغهم ما

لقينا، ونخاف أن يطمعوا فينا، وإني قد نيفت على التسعين، وقد نحل قلبي كما نحل
جسمي، وأخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم، فليعرض علي كل رجل منكم رأيه وما
يحضره فإني متى أسمع الحزم أعرفه، فقال كل منهم ما عنده، وأكثم ساكت لا يتكلم، حتى
قام النعمان بن الجساس فقال: يا قوم، أنظروا ماءً يجمعكم ولا يعلم الناس بأي ماء أنتم حتى
تنفرج الحلقة عنكم، وقد صلحت أحوالكم، وانجبر كسيركم، وقوى ضعيفكم، ولا أعلم
ماءً يجمعكم إلا قدة، فقال أكثم: هذا هو الرأي، فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب، وبين أدناه
وأقصاه مسيرة يوم، وأعلاه مما يلي اليمن، وأسفله مما يلي العراق. فنزلت سعد والرباب
بأعلى الوادي، ونزلت حنظلة بأسفله.
قال: وكانوا لا يخافون أن يغزوا في القيظ، لبعد تلك الصحارى وشدة الحر بها وقلة المياه،
فأقاموا بقية القيظ لا يعلم أحد بمكانهم، حتى إذا تهور القيظ بعث الله ذا العيينتين، وهو
من أهل مدينة هجر، فمر بقدة وصحاريها، فرأى ما بها من النعم، فانطلق حتى أتى أهل
هجر فقال: هل لكم في جارية عذراء، ومهرة شوهاء، وبكرة حمراء، ليس دونها نكبة؟
قالوا: ومن لنا بذلك؟ قال: تلكم تميم ألقاء مطروحون بقدة. فمشى بعضهم إلى بعض
وقالوا: اغتنموها من بني تميم.
فأخرجوا معهم أربعة أملاك بقال لهم اليزيدون: يزيد بن هوبر، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد
بن المأموم، ويزيد بن المخرم، وهم كلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثي، وكان كل
واحد منهم على ألفين، فمضوا حتى إذا كانوا ببلاد باهلة قال جرير بن جزء الباهلي لابنه:
يا بني، هل لك في أكرومة لا يصاب أبداً مثلها؟ قال: وما ذلك؟ قال: هذا الحي من تميم
قد لجاوا ها هنا مخافة كسرى، وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم، فأركب جملي الأرحبي،
وسرسيراً رويداً عقبة من الليل، ثم حل عنه حبليه وأنحه وتوسد ذراعه، فإذا سمعته قد
أفاض بجرته وبال فاستنقعت ثفناته في بوله، فشد حبليه ثم ضع السوط عليه، فإنك لا
تسال جملك شيئاً من السير إلا أعطاكه حتى تصبح القوم.
ففعل ما أمره به.

قال الباهلي: فحللت بالكلاب قبل الجيش فناديت: يا صباحاه! فإنهم ليثبون إلي
ليسألوني من أنت؟ إذ أقبل رجل منهم من بني شقيق على مهر قد كان في النعم فنادى: يا
صباحاه، قد أتى على النعم، ثم كر راجعاً نحو الجيش، فلقيه عبد يغوث الحارثي وهو أول
الرعيل، فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن الدم، فقال عبد يغوث: أطيعوني وامضوا بالنعم
وخلوا العجائز من تميم ساقطة أفواهها، فقالوا: أما دون أن تنكح بناتهم فلا.
وقال ضمرة بن لبيد الحماسي ثم المذحجي الكاهن: أنظروا إذا سقتم النعم فإن أتتكم
الخيل عصباً عصباً تنتظر العصبة أن تنتظم الأخرى حتى تلتحق بها فإن أمر القوم هين،
وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضاً حتى يردوا وجوه النعم فإن أمرهم شديد.
وتقدمت سعد والرباب في أوائل الخيل والتقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النعم ولم
ينتظر بعضهم بعضاً. ورئيس الرباب النعمان بن الجساس ورئيس بني سعد قيس بن
عاصم، فالتقى القوم، فكان النعمان أول صريع، واقتتل الفريقان حتى حجز بينهم الليل، ثم
أصبحوا على راياتهم، فنادى قيس بن عاصم: يا آل سعد! يريد سعد بن زيد، ونادى
عبد يغوث: يا آل سعد! يريد سعد العشيرة، فلما سمع قيس ذلك نادى: يا آل كعب! يريد
كعب بن سعد، ونادى عبد يغوث: يا آل كعب! يريد كعب بن عمرو، فلما رأى ذلك نادى
يا آل مقاعس! فلما سمع وعلة ابن عبد الله الجرمي - وكان صاحب لواء أهل اليمن -
نادى: يا آل مقاعس، تفاءل بع فطرح له اللواء، وكان أول من انهزم، فحملت عليهم سعد
والرباب فهزموهم، ونادى قيس بن عاصم: يا آل تميم، لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجالة لكم،
ثم جعل يرتجز ويقول:

لما تولوا عصباً شوازباً أقسمت لا أطعن إلا راكباً

إني وجدت الطعن فيهم صائباً
وأمر قيس بت عاصم أن يتبعوا المنهزمة، ويعرقبوا من لحقوه، ولا يشتغلوا بالقتل عن
أتباعهم، فخروا دوابرهم، وفي ذلك يقول وعلة:

فدي لكم أهلي وأمي ووالدي غداة كلاب إذ تحز الدوابر

وأسر عبد يغوث، أسره مصاد بن ربيعة بن الحارث وكتفه وأردفه خلفه،وكان مصاد قد
أصابته طعنة في مأبضه، وكان عرقه يهمى، فنزفه الدم، فمال عن فرسه مقلوبا. فلما رأى
ذلك عبد يغوث قطع كتافه وأجهز عليه وانطلق على فرسه، وذلك أول النهار، ثم ظفر به
بعد في آخره، ونادى مناد: قتل اليزيدون، وشد قبيصة بن ضرار الضبي على ضمرة بن
لبيد الحماسي الكاهن فطعنه فخر صريعاً، فقال له قبيصة: ألا أنبأك تابعك بمصرعك اليوم،
ثم أسر عبد يغوث، أسره عصمة بن أبير التيمي.
قال أبوعبيدة: انتهى عصمة بن أبير إلى مصاد فوجده صريعاً، وكان قبل ذلك رأى عبد
يغوث أسيراً في يديه، فعلم أنه الذي أجهز عليه فاقتص أثره فلحقه وقال: ويحك! إني رجل
أحب اللين، وأنا خير لك من الفلاة والعطش. قال: ومن أنت؟ قال: عصمة بن أبير،
فانطلق به عصمة حتى جثاه عند الأهتم على أن جعل له من فدائه جعلا، فتركه الأهتم
عند امرأته العبشمية، فأعجبها جماله وكمال خلقته، وكان عصمة الذي أسره غلاماً نحيفاً،
فقالت له: من أنت؟ قال: أنا سيد القوم، فضحكت وقالت: قبحك الله سيد قوم حين
أسرك مثل هذا، ففي ذلك يقول عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

فاجتمعت الرباب إلىالاهتم وقالت: ثأرنا عندك، وقد قتل مصاد والنعمان فأخرجه إلينا،
فأبى الأهتم أن يخرجه إليهم، فكاد أن يكون بين الحيين: الرباب وسعد، فتنة حتى أقبل
قيس بن عاصم المنقري فقال: أيؤتى قطع حلف الرباب من قبلنا؟ فضرب فاه بقوس فهتمه،
فسمى الأهتم، فقال الأهتم: إنما دفعه إلى عصمة ابن أبير، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلي،
فليجئ فيأخذه، فأتوا عصمة فقالوا: يا عصمة، قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد، وثأرنا
أسيرك، فما كان ينبغي لك أن تستحييه! فقال: إني ممعل وقد أصبت الغني، ولا تطيب
نفسي على أسيري، فاشتراه بنو جساس بمائة بعير، فدفعه إليهم، فخشوا أن يهجرهم،
فشدوا على لسانه تسعة، فقال: إنكم قاتلي لا محالة، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على

نفسي! فقالوا: إنك شاعر ونخاف أن تهجونا، فعقد لهم ألا يفعل، فأطلقوا لسانه، فقال
قصيدته التي أولها:
ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا
ومنها:
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسجعوا فإن أسارى لم يكن من توانيا
وقد علمت عرسي مليكه أنني أنا الليث معديا عليه وعاديا
ومنها:
كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كرى قاتلي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا
قال: فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد: بؤ بمصاد! فقال بنو النعمان: يالكاع! نحن
نشتريه ونبؤ بمصاد، فوقع بينهم، في ذلك الشر، ثم اصطلحوا.
يوم طخفة
قال: كانت الرفادة، وقيل الردافة، ردافة الملوك لعتاب بن هرمي بن رياح، ثم كانت لقيس بن
عتاب، فسأل حاجب بن زرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان بن مجاشع،
فسألها النعمان بني يربوع وقال: أعقبوا إخوتكم في الرفادة، قالوا: إنهم لا حاجة لهم فيها،
وإنما سألها حاجب جسداً لنا وأبوا عليه، فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان: إن
بني يربوع لا يسلمون ردافتهم إلى غيرهم. وقال حاجب: إن بعث الملك إليهم جيشاً لم
يمنعوه ولم يمتنعوا. فبعث النعمان إليهم قابوساً ابنه، وحسان بن المنذر؛ فكان قابوس على
الناس، وحسان على المقدمة، وبعث معهم الصنائع والوضائع - فالصنائع: من كان يأتيه من
العرب، والوضائع: المقيمون بالحيرة - فالتقوا بطخفة ، فانهزم قابوس ومن معه، وضرب
طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره، وأخذه ليجز ناصيته، فقال قابوس: إن الملوك لا تجز
نواصيها، فجهزه وأرسله إلى أبيه، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر ابن عمرو الرياحي،
ثم من عليه وأرسله، ففي ذلك يقول مالك بن نويرة:
ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه جزار من الهندي أبيض مقضب

يوم فيف الريح

قال أبو عبيدة: تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب، وقبائل من مراد
وجعفي وزبيد وخثعم، وعليهم أنس بن مدرك، وعلى بني الحارث الحصين، فأغاروا على
بني عامر بن صعصعة بطيف الريح، وعلى بني عامر، عامر بن مالك ملاعب الأسنة.
قال: فاقتتل القوم، فكسروهم، وارفضت قبائل من بني عامر، وصبرت بنو نمير، وأقبل عامر
بن الطفيل وخلفه دعى بني جعفر فقال: يا معشر الفتيان، من ضرب ضربة أو طعن طعنة
فليشهدني فكان الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة، قال عند ذلك: أبا علي، فبينما
هو كذلك إذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثي، فقال له من ورائه: عندك يا عامر والريح عند أذنه
فوهصه - أي طعنه -، فأصاب عينه، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته، وأخذ
مسهر رمح عامر، ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل من أبيات:

لعمري وما عمري على بهين لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وقال مسهر - وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر -:

وهصت بخرص الرمح مقلة عامر فأضحى نحيفاً في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا إذا قيسية ذهبت بنا جرى دمعها من عينها فتحدرا
مخافة ما لاقت حليلة عامر من الشر إذ سربالها قد تعفرا

قال: وكانت هذه الوقعة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وأدرك مسهر
بن يزيد الإسلام فأسلم.

يوم زرود الأول

غزا الحوفزان حتى انتهى إلى زرود خلف جبل من جبالها، فأغاروا على نعم كثير لبني
عبس فاجتازوها، وأتى الصريخ لبني عبس فركبوا، ولحق عمارة بن زياد العبسي الحوفزان
فعرفه - وكانت أم عمارة قد أرضعت مضر بن شريك، وهو أخو الحوفزان - فقال: يا بني
شريك، قد علمتم ما بيننا وبينكم، قال الحوفزان - وهو الحارث بن شريك -: صدقت يا
عمارة، فانظر كل شيء هو لك فخذه، فقال عمارة: لقد علمت نساء بني بكر بن وائل أني
لن أملا أيدي أزواجهن وأبنائهن شفقة عليهن من الموت، فحل عمارة ليعارض النعم ليرده،

وحال الحوفزان بينه وبين النعم، فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحوفزان، وطعنه نعامة بن
عبد الله بن شريك: وأسر ابنا عمارة: سنان وشداد، وكان في بني عبس رجلان من
طيء: ابنان لأوس ابن حارثة، مجاورين لهم، وكان لهما أخ أسير في بني يشكر، فلما فقدته
بنو شيبان نادوا: يا ثارات معدان! فعند ذلك قتلوا إبني عمارة وهرب الطائيان بأسيرهما.
فلما برئ عمارة من جراحه أتى طيئاً فقال: ادفعوا إلي هذا الكلب الذي قتلنا به، فقال
الطائي لأوس: ادفع إلى بني عبس صاحبهم، فقال لهم: تأمرنني أن أعطي بني عبس قطرة
من دمي، وإن ابني أسير في بني يشكر؟ فوالله ما أرجو فكاكه إلا بهذا. فلما قفل الحوفزان
من غزوه بعث إلى بني يشكر في ابن أوس، فبعثوا به إليه، فافتدى به معدان، وقال نعامة بن
شريك:

استنزلت رماحنا سنانا وشيخنا بطخفة عنانا
ثم أخوه قد رأى هوانا لما فقدنا بيننا معدانا

يوم غول الأول
وهو يوم كنهل
قال أبو عبيدة: أقبل ابنا هجيمة - وهما من غسان - في جيش فنزلا في بني يربوع،
فجاورا طارق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع، فنزلا معه على ماء يقال له: كنهل،
فأغار أناس من ثعلبة بن يربوع، فاستاقوا نعمهما وأسروا من كان في النعم، فركب قيس بن
هجيمة بخيله حتى أدرك بني ثعلبة، فكر عليه عتيبة بن الحارث، فقال له قيس: عل لك يا
عتيبة إلى البراز؟ قال، ما كنت لأسأله وأدعه، فبارزه، قال عتيبة: فما رأيت فارساً أملأ
لعيني منه، فطعنني فأصاب قربوس سرجي، حتى وجدت مس السنان في باطن فخذي، ثم
أرسل الرمح وهو يرى أن قد أثبتني وانصرف فأتبعته الفرس، فلما سمع زجلها رجع جانحا
على قربوس سرجه، وبدا لي فرج الدرع فطعنته بالرمح، فقتلته وانصرفت فلحقت النعم،
وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلاً، ثم ابتغى فقال: هل لك في البراز؟
فقلت: لعل الرجعة خير لك، قال: أبعد قيس؟ ثم شد علي وضربني على البيضة، فخلص
السيف إلى رأسي، فضربته، فقتله فقال جرير:

وساق ابني هجيمة يوم غول إلى أسيافنا قدر الحمام
يوم الجبابات
قال أبو عبيدة: خرج بنو ثعلبة بن يربوع فمروا بناس من طوائف بكر بن وائل بالجبابات،
خرجوا سفارا، فنزلوا وسرحوا إبلهم ترعى، وفيها نفر منهم يرعونها، منهم: سوادة بن يزيد
بن بجير العجلي، ورجل من بني شيبان، وكان محموماً، فمرت بنو ثعلبة بن يربوع بالإبل
فاطردوها وأخذوا الرجلين من بني شيبان، فسألوهما: من معكما؟ قالا: معنا شيخ من
يزيد بن بجير العجلي في عصابة من بكر بن وائل خرجوا سفارا يريدون البحرين، فقال الربيع
ودعموص ابنا عتيبة بن الحارث بن شهاب:
أنذهب بهذين الرجلين وهذه الإبل ولم يعلموا من أخذها، ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ
إبلهم وصاحبهم لنعينهم بذلك، فقال عميرة لهما: ما وراءكما إلا شيخ ابن يزيد قد أخذتما
أخاه وأطردتما إبله دعاه، فأبيا ورجعا إليه وأخبراهم وتسميا لهم، فركب شيخ ابن يزيد
فاتبعهما وقد وليا، فلحق دعموصا فأسره، ومضى ربيع حتى أتى عميرة فأخبره أن أخاه
قد قتل، فرجع على فرس له يقال لها الخنساء حتى لحق القوم، فافتك منهم دعموصًا على
أن، يرد عليهم أخاهم وإبلهم، فردها إليهم، فكفر بنو عتيبة ولم يشكروا عميرة، فقال عميرة
في ذلك:
ألم ترد دعموصا يصد بوجهه إذا ما رآني مقبلاً لم يسلم
ألم تعلما يا ابني عتيبة مقدمي على ساقط بين الأسنة مسلم
فعارضت فيه القوم حتى انتزعته جهاراً ولم أنظر له بالتلوم
يوم الشعب
غزا قيس بن شرقاء التغلبي، فأغار على بني يربوع بالشعب، فاقتتلوا، فانهزمت بنو يربوع،
فأسر سحيم بن وثيل الرياحي، فقال سحيم في ذلك:
أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم
ففدى نفسه وأسر أيضاً متمم بن نويرة، فوفد مالك بن نويرة على قيس بن شرقاء في فدائه
فقال:
هل أنت يا قيس بن شرقاء منعم أو الجهد إن أعطيته أنت قابله
فلما رأى وسامته قال: بل منعم، فأطلقه له.

يوم غول الثاني

فيه قتل طريف شراحيل وعمرو بن مرثد المحلمي

غزا طريف بن هشيم في بني العنبر بن تميم فأغار على بكر بن وائل بغول، فاقتتلوا، ثم إن
بكراً انهزمت، فقتل طريف شراحيل أحد بني ربيعة، وقتل أيضاً عمرو بن مرثد ، وقتل
المجشر.

يوم الخندمة

كان رجل من مشركي قريش يحد حربة يوم فتح مكة، فقالت له امرأته: ما تصنع بهذه؟
قال: أعددتها لمحمد وأصحابه! فقالت له: ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال:
والله إني لأرجو أن أخدمك بعض نسائهم، وأنشأ يقول:

إن يقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كامل واله
وذو غرارين سريع السله

فلما لقبهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوي على شيء فلامته امرأته في
ذلك، فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة
لقيتنا بالسيوف المسلمة يفلقن كل ساعد وجمجمة
ضربا فلا تسمع إلا غمغمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وهذه القصة تذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة.

يوم اللهيماء

قال أبو عبيدة: كان سبب الحرب التي كانت بين عمرو بن الحارث بن تميم ابن سعد بن
هذيل، وبين عمرو بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة، أن قيس بن عامر بن غريب
أخا بني عمرو بن عدي وأخاه سالماً، خرجا يريدان بني عمرو بن الحارث، على فرسين،
يقال لأحدهما: اللعاب، والآخر: غفزر، فباتا عند رجل من بني نفاثة، فقال النفاثي لقيس
وأخيه، أطيعاني وارجعا، لأعرفن رماحكما تكسر في قتاد نعمان، قالا: إن رماحنا لا
تكسر إلا في صدور الرجال! قال: لا يضركما؛ وستحمدان أمري، فأصبحا غاديين. فلما
شارفا متن اللهيماء من نمان، وبنو عمرو بن الحارث فويق ذلك بموضع يقال له أديمة، وأغارا
على غنم لجندب بن أبي أعيبس، وفيها جندب، فتقدم إليه قيس، فرماه جندب على
حلمة ثديه وبعجه قيس بالسيف فأصابت ضبة السيف وجه جندب، وحز قيس ونفرت

الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفرسه عفرز، فضرب جندب خطم الفرس
بالسيف فقطعه، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى ثدييه، فخر جندب ووقف عليه سالم،
وأدرك العشي سالماً، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه بحقويه، ولم ينج إلا بحفن سيفه
ومئزره فقال حذيفة بن أنيس في ذلك من أبيات:

كشفت غطاء الحرب لما رأيتها تميل على صفو من الليل أعسرا
أخو الحرب إن عصت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويمشي إذا ما الموت كان أمامه كذا الشبل يحمي الأنف أن يتأخرا
نجا سالم والنفس منه بشرقة ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا
وطاب عن اللعاب نفساً ورمة وغادر قيساً في المكر وعفزرا

يوم خزار

قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك، وخالد بن جبلة، وإبراهيم بن محمد
بن نوح العطاردي، وغسان بن عبد الحميد، وعبد الله بن سالم الباهلي، ونفر من وجوه
أهل البصرة كانوا بتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزار. فقال
خالد بن جبلة: كان الأحوص ابن جعفر الرئيس. وقال عامر ومسمع: كان الرئيس كليب
وائل. وقال ابن نوح: كان الرئيس زرارة بن عدس، وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلا،
فتحاكموا إليه فقال: ما شهدها عامر بن صعصعة، ولا دارم بن مالك، ولا جشم بن بكر،
اليوم أقدم من ذلك، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يجيء ومعه كاتب وطنفسة بقمد
عليها، فيأخذ من أموال نزار ما شاء، كعمال صدقاتهم اليوم، وكان أول يوم امتنعت معد
عن الملوك: ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد، فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليال،
ودخنوا ثلاثة أيام، فقيل له: ما الخزاز؟ قال: هو جبل قريب من أمرة على يسار الطريق
خلفه صحراء منعج، ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم:

ونحن غداة أوقد في خزار رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا
قال أبو عمرو بن العلاء: ولو كان جده كليب وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الرفادة وترك
الرياسة.
يوم النسار
قال أبو عبيدة: تحالفت أسد وطيئ وغطفان، ولحقت بهم ضبة وعدي، فغزوا بني عامر
فقتلوهم قتلاً شديداً، فغضبت بنو تميم لمقتل بني عامر، فتجمعوا حتى لحقوا طيئاً وغطفان
وحلفاءهم من ضبة وعدي يوم الفجار، فقتلت تميم طيئاً اشد مما قتلت عامر يوم النسار،
فقال بشر بن أبي خازم:
غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعقبوا بالصيلم
يوم ذات الشقوق
قال: فحلف ضمرة بن ضمرة النهشلي وقال: الخمر علي حرام حتى يكون لنا يوم يكافئه،
فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك:
الآن ساغ لي الشراب ولم أكن آتى الفجار ولا اشد تكلمي
حتى صبحت على الشقوق بغارة كالتمر تنثر في جرين الجرم
وأفأت يوماً بالحفار بمثله وأجزت نصفاً من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلا من بين عارفة النساء وأيم
ذهب الرماح بزوجها فتركنه في صدر معتدل القناة مقوم
يوم خو
قال أبو عبيدة: أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا إبلهم، فأتى الصريخ الحي فلم
يتلاحقوا إلا مساء بموضع يقال له خو، وكان ذؤاب بن ربيعة الأسدي على فرس أنثى،
وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب على حصان يستثنى ريح الألئي في سواد الليل ويتبعها،
فلم يعلم عتيبة إلا وقد أقحم فرسه على ذؤاب ابن ربيعة، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين
يديه، فرآه ذؤاب فطعنه في نحره فقتله، ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو
لا يعلم أنه قاتل أبيه، فلم يزل عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل قاطعه عليها، وتواعدا
بسوق عكاظ في الأشهر الحرم أن يأتي هذا بالإبل وهذا بالأسير، فأقبل أبو ذؤاب بالإبل،
وشغل لربيع بن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ، فظن ربيعة أبو ذؤاب أن ذؤابا قتل بعتيبة،
فقال يرثيه:

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ما إن أحاول جعفر بن كلاب
إن المودة والهوادة بيننا خلق كسحق الريطة المنجاب
ولقد علمت على التجلد والأسى أن الرزية كان يوم ذؤاب
إن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأحبهم فقدا على أعدائه وأشدهم فقداً على الأصحاب
فلما بلغ إليهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة.

أيام الفجار

الفجار الأول

قال أبو عبيدة: أيام الفجار عدة، فأولها بين كنانة وهوازن.
وكان الذي هاجه أن بدر بن
معشر أحد بني عقال بن مليك ين ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن
كنانة جعل له مجلساً
بسوق عكاظ، وكان منيعاً في نفسه، فقام في المجلس وقام
على رأسه قائم وأنشأ يقول:
نحن بنو مدركه بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف كأنهم لجة بحر مسدف
قال: ومد رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني
فليضربها، فضربها الأحيمر
بن مازن أحد بني دهمان بن نضر بن معاوية، فأندرها من الركبة
وقال: خذها إليك أيها
المخندف! قال أبو عبيدة: إنما خرصها خريصية يسيرة وقال في
ذلك:
نحن بنو دهمان ذو التغطرف بحر لبحر زاخر لم ينزف
نبني على الأحياء بالمعرف
قال أبو عبيدة: فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم
قتال، ثم تراجعوا ورأوا أن
الخطب يسير.

الفجار الثاني

قال: كان الفجار الثاني بين قريش وهوازن، وكان الذي هاجه
أن فتية من قريش قعدوا إلى
امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة بسوق عكاظ. وقالوا: بل
أطاف بها شباب من
بني كنانة وعليها برقع فأعجبهم ما رأوا من هيئتها، فسألوها أن
تسفر عن وجهها، فأبت
عليهم، فاتى أحدهم، من خلفها فشد دبر درعها بشوكة إلى
ظهرها وهي لا تدري، فلما
قامت تقلص الدرع عن دبرها، فضحكوا وقالوا: منعتنا النظر إلى
وجهها فقد رأينا دبرها،
فنادت المرأة: يا آل عامر! فتحاور الناس، وكان بينهم قتال
ودماء يسيرة، فحملها حرب بن
أمية وأصلح بينهم.

الفجار الثالث

وهو بين كنانة وهوازن
وكان الذي هاجه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نضر بن معاوية،
فأعدم الكناني، فوافى النضري بسوق عكاظ بقرد، فأوقفه في سوق عكاظ فقال: من
يبيعني مثل هذا بما لي على فلان حتى أكثر في ذلك. وإنما فعل ذلك تعبيراً للكناني ولقومه،
فمر به رجل من بني كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله فهتف النضري: ياآل هوازن! وهتف
الكناني: ياآل كنانة! فهاج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال، ثم رأوا الخطب يسيرا
فتراجعوا.
قال أبو عبيدة: إنما سميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور
التي يحرمونها، وهذه يقال لها أيام الفجار الأول.
الفجار الآخر
وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن
وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، فأبت أن تقتل بعروة
البراض لأن عروة سيد هوازن، والبراض خليع من بني كنانة، وأرادوا أن يقتله سيداً من
قريش.
وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة، وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة
سنة " يعني أناولهم النبل.
وكان سبب هذه لحرب أن النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق
عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له، حتى تباع
هنالك ويشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه. وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم
من ذي القعدة، فيتسوقون إلى حضور الحجج، ثم يحجون، فجهز النعمان عير اللطيمة ثم
قال: من يحيرها؟ فقال البراض بن قيس الضمري: أنا أجيرها على بني كنانة، فقال النعمان:
ما أريد إلا رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامة، فقال عروة الرحال - وهو يومئذ رجل
هوازن - أكلب خليع يجيرها لك؟ أبيت اللعن! أبا أجيرها لك على أهل الشيح

والقيصوم من أهل نجد وتهامة! فقال البراض: أعلى بني كنانة تجيرها يا عروة؟ قال: وعلى
الناس كلهم! فدفعها النعمان إلى عروة، فخرج بها وتبعه البراض، وعروة لا يخشى منه
شيئاً، إلى أن نزل بأرض يقال لها أوارة، فشرب من الخمر وغنته قينة، ثم نام، فجاء البراض
فدخل عليه، فناشده عروة وقال: كانت مني زلة، وكانت الغفلة مني ضلة، فقتله وخرج وهو
يرتجز ويقول:

قد كانت الغفلة مني ضله هلا على غيري جعلت الزلة
فسوف أعلو بالحسام القلة

وقال:

وداهية يهال الناس منها شددت لها بني بكر ضلوعي
هتكت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالي بالضروع
جمعت له يدي بنصل سيف أفل فخر كالجدع الصريع

واستاق اللطيمة إلى خيبر، واتبعه المساور بن مالك الغطفاني، وأسد بن خيثم الغنوي
حتى دخلا خيبر، فكان البراض أول من لقيهما، فقال لهما: من الرجالن؟ قالا: من غطفان
وغني. قال البراض: ما شأن غطفان وغني بهذا البلد؟ قالا: ومن أنت؟ قال: من أهل
خيبر. قالا: ألك علم بالبراض؟ قال: دخل علينا طريدا خليعاً فلم يؤوه أحد بخيبر ولا
أدخله بيتاً . قالا: فأين يكون؟ قال: وهل لكما به طاقة إن دللتكما عليه؟ قالا: نعم.
قال: فانزلا، فنزلا وعقلا راحلتيهما. قال: أيكما أجرأ عليه وأمضى مقدما وأحد سيفاً؟
قال الغطفاني: أنا. قال: فانطلق أدلك عليه، فانطلقا حتى انتهيا إلى خربة في جانب خيبر
خارجة عن البيوت، فقال البراض: وهو في هذه الخربة وإليها يأوي، فانظرني حتى أنظر أثم
هو أم لا، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال: هو قائم في البيت الأقصى خلف هذا
الجدار، فهل عند سيفك صرامة؟ قال: نعم. قال: هات سيفك أنظر إليه اصارم هو؟
فأعطاه سيفه، فهزه البراض ثم ضربه فقتله، ووضع السيف خلف الباب وأقبل إلى الغنوي
فقال: ما وراءك؟ قال: أجبن من صاحبك، تركته قائماً في البيت الذي فيه الرجل، والرجل
نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه، قال الغنوي: يالهفا! لو كان لي من ينظر راحلتينا، قال

البراض: هما علي إن ذهبنا، فانطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاور الغنوي باب
الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما
وراحلتيهما وانطلق.
وبلغ قريشاً خبر البراض بسوق عكاظ، فخلصوا نجياً، واتبعتهم قيس لما بلغهم أن البراض
قتل عروة الرحال، وعلى قيس أبو برإ عامر بن مالك، فادركوهم وقد دخلوا الحرم،
فنادوهم: يا معشر قريش، إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة أبداً، أو نقتل به عظمياً منكم،
وميعادنا معكم هذه الليلة من العام القابل، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان ابنه: قل لهم:
إن موعدكم قابل في هذا اليوم، فقال خداش بن زهير في هذا اليوم، وهو يوم نخلة، من أبيات
أولها:
يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سجينة لولا الليل والحرم
وكانت العرب تسمى قريشاً سخينة لأكلها السخن.
يوم شمطة
وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
قال: فجمعت كنانة قرشيها وعبد مناتها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن
خزيمة، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي السلاح بأداة كاملة، سوى ما ألبس من
قومه، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة. قال:
وجمعت سليم وهوازن
وجموعهما وأخلافهما، غير كلاب وبني كعب فإنهما لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم
نخلة، فاجتمعوا بشمطة من عكاظ في هذه الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى
كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها، وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى
حرب بن أمية، وعلى إحدى مخبتيها عبد الله بن جدعان، وعلى الأخرى كريز بن ربيعة،
وحرب بن أمية في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي، فزحف بعضهم
إلى بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان من آخر النهار
تداعت هوازن وصابرت، وانكشفت كنانة فاستحر القتل فيهم، فقتل منهم تحت رايتهم مائة
رجل، ويقال ثمانون، ويم يقتل من قريش أحد يذكر، فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة.

يوم العبلاء

قال: ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ، والرؤساء عليهم الذين ذكرناهم في يوم شمطة، فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على كنانة. وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير، قتله مرة بن معتب الثقفي، وقال رجل من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلاً تنتابه الطير لحماً بين أحجار

يوم شرب

ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ، فالتقوا بشرب، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرنا، وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ممن لم تكن له حمولة، فالتقوا، وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان: يوم شمطة والعبلاء، فحمشت قريش وكنانة، وصايرت بنو مخزوم وبنو بكر، فانهزمت هوازن وقتلت قتلاً ذريعاً، فقال عبد الله بن الزبعري يمدح بني المغيرة:

ألا لله قوم لدت أخت بنى سهم
هشام وأبو عبد مناف مدره الخصيم
وذو الرمحين أشباك من القوة والحزم
فهذان يدودان وذا من كثب يرمي

وأبو عبد مناف: هاشم بن المغيرة، وذو الرمحين: أبو ربيعة بن المغيرة، قاتل يوم شرب برمحين. وأمهم ريطة بنت سعد بن سهم، فقال في ذلك جذل الطعان:

جاءت هوازن أرسالاً وإخوتها بنو سليم فهابوا الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

يوم الحريرة

ثم جمع هؤلاء وأولئك والتقوا على رأس الحول بالجزيرة، وهي حرة إلى جنب عكاظ والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا في سائر الأيام، وكذلك على المجنبتين إلا أن أبا مساحق بن قيس اليعمري قد كان مات، فكان بعده على بكر بن عبد مناة ابن كنانة أخوه بن جثامة قيس، فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة، وهو آخر الأيام الخمسة التي تزاحفوا فيها، فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية، وقتل من بني كنانة ثمانية

نفر، قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بني عامر ابن صعصعة، وقتل جماعة أخر، فقال
خداش بن زهير:
إني من النفر المحمر أعينهم أهل السوام وأهل الصخر واللوب
الطاعنين نحور الخيل مقبلة بكل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم وأبلوكم بلاءهم يوم الحريرة ضرباً غير تكذيب
لاقيتم منهم آساد ملحمة ليسوا بزراعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا نأخذ نحوركم وإن تباهوا فإني غير مغلوب
وقال الحارث بن كلدة الثقفي:
تركت الفارس البذاخ منهم تمج عروقه علقاً عبيطاً
دعست لبانه بالرمح حتى سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرديت قومك بإبن صخر وقد جشمتهم أمراً سليطاً
وكم أسلمت منكم من كمي جريحاً قد سمعت له غطيطا
مضت أيام الفجار الآخر، وهي خمسة أيام في أربع سنين.
قال أبو عبيدة: ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يذروا الفضل، ويتعاهدوا ويتواثقوا.
يوم عين أباغ
قال أبو عبيدة: كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء، ثم مات فملك ابنه عمرو،
ثم هلك فملك بعده أخوه قابوس، ثم مات فملك أخوه المنذر بن المنذر ابن ماء السماء.
وذلك في مملكة كسرى بن هرمز، فغزاه الحارث الغساني، وكان بالشام من جهة قيصر،
فالتقوا بعين أباغ، فقتل المنذر، فولى كسرى النعمان بن المنذر، ثم سعى إلى كسرى في
النعمان فقتله، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله.
وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه هرب، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى،
فقدم إليه فقتله. واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي.
وكان النعمان لما شخص إلى كسرى أودع حلقته، وهي ثمانمائة درع وسلاحاً كثيراً، هانئ
بن مسعود الشيباني، وجعل عنده ابنته هنداً التي تسمى حرقة، فلما قتل النعمان قالت فيه
الشعراء، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات:
ألم تر للنعمان كان بنجوة من الشر لو أن أمرأً كان ناجيا
فلم أر مخذولاً له مثل ملكه أفل صديقاً باذلاً أو مواسيا
يوم ذي قار
قال أبو عبيدة: يوم ذي قار هو يوم الحنو، ويوم قراقر، ويوم الجبابات، ويوم ذات العجرم، ويوم
بطحاء ذي قار، وكلها حول ذي قار.

قال أبو عبيدة: لم يكن هانئ بن مسعود المستودع حلقة النعمان، وإنما هو ابن ابنه، واسمه
هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود، لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله
عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي
نصروا.
ولما قتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان، فأبى
هانئ بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل، فقدم
عليه النعمان بن زرعة التغلبي فقال: يا خير الملوك، ألا أدلك على غرة بكر بن وائل، قال
نعم، قال: أقرها واظهر الإضراب عنها حتى يجليها القيظ ويدنيها منك، فأقرهم، حتى إذا
قاظوا نزلت بكر حنو ذي قار، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث
خصال: إما أن يسلموا الحلقة، وإما أن يعروا الديار، وإما أن يأذنوا بحرب. فتنازعت بكر
بينها، فهم هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة، وأشار به على بكر وقال: لا طاقة لكم لجموع
الملك، فلم تر من هانئ سقطة قبلها.
وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي: لاأرى غير القتال فإن إن ركبنا الفلاة لمتنا
عطشاً، وإن أعطينا بأيدينا نقتل مقائتنا وتسبى ذرارينا، فراسلت بكر عنها وتوافت بذي
قار، ولم يشهدها أحد من بني حنيفة، ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة نفر: هانئ بن قبيصة
الشيباني، ويزيد بن مسهر الشيباني، وحنظلة بن ثعلبة العجلي.
فقال حنظلة بن ثعلبة لهانئ بن قبيصة: يا أبا أمامة. إن ذمتكم ذمتنا عامة، وإنه لن يوصل
إليك حتى تفنى أرواحنا، فاخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك، فإن تظفر فسترد عليك،
وإن تهلك فأهون مفقود، ففرقها فيهم. وقال للنعمان: لولا أنك رسول ما أبت إلى قومك
سالماً.
قال: فعقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر. وعقد لخالد بن يزيد البهراني على
قضاعة وغياد. وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، ومعه كتيبتاه: الشهباء
ودوسر. وعقد للهامرز التستري على ألف من الأساورة، وكتب إلى قيس بن مسعود بن

خالد ذي الجدين - وكان عامله على طف سفوان - يامره أن يوافي إياس بن قبيصة، فسار
إليه.
وسار إياس بمن معه من الجند وغيرهم، فلما دنوا من بكر أقبل قيس بن مسعود إلى قومه
ليلاً، فأمرهم بالصبر ثم رجع.
فلما التقى الزحفان وتقرب القوم، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال: يا معشر
بكر، إن نشاب الأعاجم يفرقكم، فعاجلوهم إلى اللقاء وابدءوهم بالشدة، وقال هانئ بن
مسعود: ياقوم، مهلك مقدور، خير من منجي مغرور.
إن الجزع لا يرد القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية خير من الدنية، واستقبال
المنية خير من استدبارها، فالجد الجد، فما من الموت بد.
ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء فسقطن إلى الأرض وقال: ليقاتل كل رجل عن
حليلته، فسمى مقطع الوضن.
قال: وقطع يومئذ سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب
السيوف فتجالد القوم، وقتل يزيد بن حارثة اليشكري الهامرز مبارزة، ثم قتل يزيد بعد
ذلك. فضرب الله وجوه الفرس فانهزموا، واتبعتهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم،
وأسر النعمان بن زرعة التغلبي. ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة، فكان أول من
انصرف إلى كسرى بالهزيمة هو. وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه. فلما أتاه
إياس بن قبيصة سأله عن الجيش فقال: هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم. فأعجب ذلك
كسرى وأمر له بكسوة، ثم استأذنه إياس فقال: أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر،
فأردت أن آتيه، فأذن له.
ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق فسال: هل دخل على الملك أحد؟
فقال: إياس، فظن أنه قد حدثه الخبر، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقتلهم، فأمر به
فنزعت كتفاه. وقد أكثرت الشعراء في يوم ذي قار. فمن ذلك ما قاله أعشى بكر من
قصيدة له:

لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا يبيض لمثل الهام تختطف

يطارق وبنو ملك مرازية من لأعاجم في آذانها النطف
كأنما الآل في حافات جمعهم والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم ولا عن الطعن في اللبات منحرف
وقال الأعشى يلوم قيساً من أبيات:
أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل
رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم فلا يبلغني عنك ما أنت فاعل
فعريت من أهل ومال جمعته كما عريت مما تعر المغازل
شفى النفس قتلي لم توسد خدودها وساداً ولم تعضض عليها الأنامل
لعلك يوم الحنو إذ صبحتهم كتائب لم تعصك بهن العواذل
قال: ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه،
ففيه قال الأعشى:
وعريت من أهل ومال جمعته
القسم الخامس من الفن الخامس
أخبار الملة الإسلامية
لما انتهى الغرض في التاريخ إلى الغاية التي ذكرتها والقصص في الأخبار التي أوردتها والدول
والوقائع التي انتخبتها، مما طالعته وحررتها؛ عمدت إلى ذكر الملة الإسلامية التي فضلها الله
تعالى على سائر الملل، ورفع أهلها بالعمل الصالح ووفقهم لصالح العمل، ووعدهم برحمته؛
فهم من وعده في أمن، وحذرهم عقابه؛ فهم من وعيده على وجل، وبعث فيهم رسولا من
انفسهم وانفسهم فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وعدل، وجعله شافعاً لذنوبهم في
يوم أحجم فيه من سواه عن الشفاعة وبنفسه اشتغل، وجعلهم به خير أمة أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله؛ إذ حجد غيرهم ونكل؛ فهم الشهداء
على الناس لأنبيائهم، وناهيك بها رتبةً تقدم بها أواخر القوم على الأول. وقلت: بالله
التوفيق، ومنه الإعانة وعيلان لمنكل.
الباب الأول من القسم الخامس من الفن الخامس
سيرة رسول الله
وهي السيرة التي ظهرت آياتها واشتهرت معجزاتها وأشرقت انوارها وانتشرت أخبارها
وعمت فضائلها وطابت بكرها وأصائلها وحسنت أوصافها وكثر انصافها وجاءت في

ظلمة تتقد، وما انكر العدو فضائلها بل شهد:
وفضائلٍ شهد العدوّ بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء
تالله لقد عجز الواصفون عن وصفها واعترف المادحون
بالتقصير عن بلوغ اليسير من
مدى مدحها:
وإذا أردت لك الثناء الّذي والله قد أثنى عليك أقول
ولنبدأ بذكر نسبه الطاهر صلى الله عليه وسلم، وما كنا قدمناه مستوفًى في باب
الأنساب، فلا غنية عن سرده ههنا.
هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله، بن عبد المطلب - واسم عبد
المطلب: شيبة الحمد - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد مناف - واسمه
المغيرة - بن قصي - واسمه زيد - بن كلاب، بن مرة، بن كعب، ابن لؤي، بن غالب، بن
فهر. وإلى فهر جماع قريش، ومن كان فوق فهر فليس هو بقرشى. وفهر هو ابن مالك، بن
النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة - واسم مدركة عامر - بن الياس، بن مضر، بن
نزار، بن معد، بن عدنان.
روى عن ابن عباس، رضى الله عنهم ان ارسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا
انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنا بن أدد، ثم يمسك ويقول: كذب النسابون. قال الله
عز وجل: "وَقُرُوناً بَيْنَ ذِلِكَ كَثِيراً". قال ابن عباس: لو شاء رسول الله صلى الله عليه
وسلمايعلمه لعلمه.
وعن هشام بن محمد قال: سمعت من يقول: كان معد على عهد عيسى بن مريم عيلان
لسلام.
وقد تقدم في باب الأنساب، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني من كتابنا
هذا في السفر الثاني من هذه النسخة، ما اختاره الشريف أبو البركات محمد بن أسعد بن
علي بن معمر الحسيني الجوانى النسابة في مقدمته بعد معد: بن عدنان، بن أد، بن أدد، بن
اليسع، بن الهميسع، بن سلاما بن نبت، ابن حملن بن قيذار، بن إسماعيل الذبيح، بن
إبراهيم الخليل، صلى الله عليهم وسلم، ابن تارح، وهو آزر، بن ناحور، بن ساروغ، بن
أرغو، ابن فالغ، بن عابر، وهو هود النبى عيلان لسلام - وهو جماع قيس ويمن ونزار

وخندف - بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح النبي عيلان لسلام، بن لمك، بن
متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عيلان لسلام، بن يارد، ابن مهلائيل بن قينان، بن
انوش، بن هبة الله شيث، بن أبي البشر آدم عيلان لسلام.
هذا ما أورده الشريف الجواني قال: وعيلان كثر أئمة الأنساب.
وسنزيداشاء الله تعالى، في أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم، زيادةً حسنة
يحتاج إلى إيرادها من عدنا فمن بعده، تقف عليها قريب ان اشاء الله تعالى، بعد ذكرنا
لأمهاته صلى الله عليه وسلم.
أمهات الرسول
قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله تعالى في طبقاته الكبرى: أخبرنا هشام بن محمد
بن السائب الكلبي عن أبيه قال:
أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، ابن زهرة، بن
كلاب بن مرة. وأمها برة، بنت عبد العزى، بن عثمان، بن عبد الدار، بن قصي؛ بن
كلاب. وأمها أم حبيب، بنت أسد، بن عبد العزى، ابن قصي بن كلاب. وأمها برة بنت
عوف، بن عبيد، بن عويج، بن عدي، ابن كعب، بن لؤي. وأمها قلابة بنت الحارث، بن
مالك، بن حباشة، بن غنم، بن لحيان، بن عادية، بن صعصعة، بن كعب، بن هند، بن
طابخة، بن لحيان، بن هذيل، بن مدركة، بن الياس، بن مضر.
وأمها أميمة بنت مالك، ابن
غنم بن لحيان، بن عادية، بن صعصعة. وأمها دب بنت ثعلبة، بن الحارث، ابن تميم، بن
سعد، بن هذيل، بن مدركة. وأمها عاتكة بنت غاضرة، بن حطيط، بن جشم، بن
ثقيف، بن منبه، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس، بن
عيلأن - واسمه الياس - بن مضر. وأمها ليلى بنت عوف، بن ثقيف. وأم وهب بن عبد
مناف بن زهرة بن كلاب قيلة. ويقال: هند بنت أبي قيلة.
وقال ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية.
وعن محمد بن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: انما خرجت من نكاح

ولم أخرج من سفاح من لدن آدم؛ لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء؛ لم أخرج إلا من
طهرة. والله الفعال.
آباء رسول الله
فمن بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب
قد تقدم ذكر آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الأنساب، وذكرنا كل أب من
آبائه وأولاده ومن أعقب منهم، وجعلنا العمدة على سرد عمود النسب لشريف على ما
تقف عليه هناك في السفر الثاني من كتابنا هذا من هذه النسخة، وسردنا النسب أيضاً
انفاً. وقد رأين ان انذكر في هذا الموضع نبذةً أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الاسماء،
والكنى، والأمهات، وبعض الوقائع والأخبار، مما لم يتقدم ذكره، فنقول وبالله التوفيق:
أما عدنا فإليه انقطع علم أهل الأنساب حقيقة؛ لما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه كان إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنا أمسك، ثم قال: كذب النسابون. قال
الله جل ثناؤه: "وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرا". وقد روى انه قال: عدنا بن أدد. والله أعلم.
وأما معد بن عدنان، فكنيته أبو قضاعة، كنى بولده قضاعة وهو بكره. ومعد بتحريك
العين وتشديد الدال، وفي طيء معد بتسكين العين بن مالك ابن قميئة، وفي خثعم أيضاً معد
بتسكين العين بن الحارث، بن تميم، بن كعب، بن مالك، بن قحافة. وأم معد بن عدنان:
مهدد، بنت اللهم بن جلحب الجرهمية، وقيل فيها مهاد بنت لهم. وقيل اللهم بنت
جلحب، وفي رواية خليد، بن طسم، بن يلمع، ابن عابر، بن اسليخيا بن لاوذ، بن سام، بن
نوح. حكاه الزبير بن بكار.
وذكر عبد الملك بن حبيباولد معد بن عدنا سبعة عشر رجلأن درج منهم بلا عقب
تسعة، وأعقب ثمانية.
وقال أبو الربيع بن سالم: ذكر الزبير بن أبي بكر،ابختنصر لما أمر بغزو بلاد العرب، وإدخال
الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم انبياء الله تعالى، وردهم رسالاتهم، أمر إرميا بن حلقيا –
وكان فيما ذكر نبي بني إسرائيل في ذلك الزمان - بن معد بن عدنان الذي من ولده خاتم
النبيين، واحمله معك إلى الشام، وتول أمره.

وقال السهيلي: أوحى الله تعالى إلى إرمي ان احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض
العراق، فاني مستخرجٌ من صلبه نبياً اسمه محمد؛ فحمل معه معد وهو ابن اثنتي عشرة
سنة، وكا مع بني إسرائيل إلىاكبر وتزوج امرأة اسمها معانة.
قال أبو الربيع بن سالم: ويقال
المحمول عدنان، والأول أكثر. قال: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ان الله تعالى
بعث ملكين فاحتملا معدا فلما رفع الله تعالى بأسه عن العرب، رداه إلى موضعه من تهامة،
فكان بمكة ونواحيها مع أخواله من جرهم.
وقال الزبير: حدثني على بن المغيرة قال: لما بلغ بنو معد عشرين رجلأن أغاروا على
عسكر موسى عيلان لسلام، فدعا عليهم ثلاث مرات فقال: يا رب، دعوتك على قوم فلم
تجبني فيهم بشيء. قال: يا موسى، دعوت على قوم فيهم خيرتي في آخر الزمان.
وفي هذه الرواية ما فيها من المنافاة لما تقدم من انه كان مع إرميا ومن قال انه كان على
عهد عيسى عيلان لسلام. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.
وأما نزار بن معد، فكنيته أبو إياد، وقيل أبو ربيعة. ونزار بكسر النون. قال السهيلي:
من النزر وهو القليل. وكا أبوه حين ولد له، ونظر إلى النور بين عينيه، وهو نور النبوة الذي
كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فرح به فرحاً شديدا ونحر وأطعم
وقال:اهذا كله نزر لحق هذا المولود، فسمى نزاراً لذلك. وأم نزار: معاية بنت جوشم بن
جلهمة، بن عمرو، بن هلينيه بن دوة، بن جرهم. قال السهيلي: ويقال اسمها ناعمة.
وأما مضر بن نزار فأمه وأم إياد: سودة بنت عك، بن الذيب، بن عدنان. وقال محمد بن
الحسين في كتاب التحفة:ان أم مضر اسمها سودة بنت عك، قال: وقيل حبية بنت عك
وقاله الزبير بن بكار. وروى ان أم مضر خاصةً سودة بنت عك؛ وربيعة وانمار وإياد أمهم
شقيقة بنت عك؛ وإلى مضر تنتسب مضر الحمراء لسكناها قباب الأدم، ومضر السوداء
سميت بذلك لسكناها المظال.
وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالنسب: انهم قالوا: لما حضرت نزاراً الوفاة، آثر

إياداً بولاية الكعبة، وأعطى مضر ناقة حمراء فسمى مضر الحمراء، وأعطى ربيعة فرسه،
فسموا ربيعة الفرس، وأعطى انماراً جارية له تسمى بجيلة فحضنت بنيه، فسمى بجيلة
انمار.
وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم: ان العصا من العصية، وا خشينا من
أخشن، وقصتهم مع الأفعى الجرهمي، وهو في الباب الأول من القسم الثاني من الفن الثاني
في السفر الثالث من هذه النسخة من كتابنا هذا.
قال ابن الأثير الجزري: ومضر أول من حدا وكا سبب ذلك انه سقط عن بعيره،
فانكسرت يده فجعل يقول: يا يداه ! يا يداه ! فأتته الإبل من المرعى، فلما صلح وركب
حدا وكا من أحسن الناس صوتاً. وقيل بل انكسرت يد مولى له فصاح، فاجتمعت الإبل،
فوضع مضر الحداء وزاد الناس فيه.
قال السهيلي: وفي الحديث: "لا تَسبُّوا ربيعة ولا مُضَر فانهما كانا مؤمنين" وروى عبد
الملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيبارسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "لا
تَسبُّوا مضَر فانه كان مسلماً على ملة إبراهيم". وعن عبد الملك بن حبيب والزبير
وجماعة:اربيعة ومضر الصريح من ولد إسماعيل ابن إبراهيم، عليهما السلام. قال: وحدثني
أبو معاوية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: مات أدد
والد عدنان، وعدنان، ومعد بن عدنان، وربيعة، ومضر، وقيس عيلان، وتميم، وضبة،
وأسد، وخزيمة، على الإسلام على ملة أبيهم إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بما يذكر به
المسلمون. والله الموفق.
وأما الياس بن مضر، فكنيته أبو عمرو. وقال صاحب الاشتمال:
قال الزبير: ولد مضر بن
نزار الياس بن مضر، فلما أدرك الياس انكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم
وسيرهم، وبا فضله فيهم، ولأن جانبه لهم، حتى جمعهم رأيه ورضوا به، فردهم إلى سنن
آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها.
وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، وهو أول من وضع حجر الركن للناس بعد غرق

البيت وانهدامه زمن نوح. فكان الياس أول من ظفر به، فوضعه في زاوية البيت.
وبعض الناس يقولون: انما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل.
قال: وفى هذا كله نظر.
قال: وقال الزبير: ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة، كتعظيمها لقما
وأشباهه. قال ابن دحية: وهو وصى أبيه، وكا ذا جمال بارع ودين، تعظمه العرب قاطبة،
وهو أول من مات بالسل. قال السهيلي: وانما سمى السل داء ياس وداء الياس لأن الياس
بن مضر مات به.
ولما مات أسفت امرأته خندف عيلان سفاً شديداً. وكانت نذرت،اهلك، ألا تقيم في بلدٍ
مات فيه، ولا يظلها بيت، وتسيح في الأرض، وحرمت الرجال والطيب بعده. فلما هلك
خرجت سائحة حتى هلكت. وكانت وفاته يوم الخميس، فنذرتاتبكيه كلما طلعت شمس
يوم الخميس حتى تغيب الشمس. قال السهيلي: ويذكر عن النبي صلى اله عليه وسلم انه
قال: "لا تسبوا الياس فانه كان مؤمناً". وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي، صلى الله
عليه وسلم، بالحج". والله أعلم.
وأما مدركة بن الياس فقال ابن السائب: واسمه عمرو. وقال ابن إسحاق والزبير: عامر،
وكنيته أبو الهذيل، وقيل أبو خزيمة. وأمه خندف، واسمها ليلى بنت حلوا بن عمرا بن
الحاف بن قضاعة. واسم أمها ضرية بنت ربيعة بن نزار، وبها سمى حمى ضرية.
وأما خزيمة بن مدركة فكنيته أبو أسد، وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف ابن قضاعة.
وقيل سلمى بنت أسد بن ربيعة، وخزيمة هذا هو الذي نصب هبل على الكعبة، فكان
يقال هبل خزيمة، هكذا ذكره ابن الأثير. وروى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم
ان اخزيمة مات على ملة إبراهيم عيلان لسلام.
أما كنانة بن خزيمة، فكنيته أبو النضر، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان، ويقال:
بل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلأن. قال أبو الحسن سلام ابن عبد الله بن سلام
الإشبيلي: وقال أبو عمرو العدواني لابنه في وصيته: يا بني أدركت كنانة بن خزيمة - وكا

شيخاً مسناً عظيم القدر، وكانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله - فقال: انه قداخروج نبي
بمكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسا ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا
شرفاً إلى شرفكم، وعزاً إلى عزكم، ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق. والله المرفق.
وأما النضر بن كنانة، فكنيته أبو يخلد، كنى بابنه يخلد. واسم النضر قيس. قال أبو ذر
الخشنى: النضر: الذهب الأحمر. وهو النضار؛ سمي النضر بذلك لوضاءته وإشراق
وجهه. وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر أخت تميم بن مر. والذي
عيلان كثر أهل السير والمؤرخين كنانة خلف على برة بعد أبيه خزيمة، على ما كانت
الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها. ويرد هذا
ما روى عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال: "ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية
شيء؛ ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام"، وقول ابن الكلبي: كتبت لرسول الله، صلى
الله عليه وسلم خمسمائة أم، فلم أجد فيها شيئاً مما كان من أمر الجاهلية". وقد تقدم ذكر
ذلك انفاً.
وقد اعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا أدلةً على انه ليس بسفاح ولا من أمر
الجاهلية. وفي أعذارهم وأدلتهم بعض تكلف. وقد حصل الظفر - ولله الحمد والمنة -
بما يزيل هذا الإشكال، ويرفع هذا الاحتمال، ويخلص من مهاوى هذه الشبة؛ وهو
الصحيح،اشاء الله تعالى، وسنذكره بعد ذكر أعذارهم وأدلتهم.
أما ما استدلوا به على تقديرايكون كنانة خلف على برة بنت مر بن اد بعد أبيه، فقال
السهيلي، رحمه الله، في قوله تعالى: "ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكم من النِّساء إلاّ ما قد
سَلَف"؛ أي إلا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام، قال: وفائدة الاستثناء ألا يعاب
نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعلم انه لم يكن في أجداده بقية ولا سفاح؛ ألا
ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه في القرا إلا ما قد سلف نحو: "ولا تَقْرَبُوا الزِّنا"؛ ولم يقل إلا
ما قد سلف "ولا تَقْتُلُوا النَّفْس التي حَرّم اللهُ إلا بالحقّ" ولم يقل إلا ما قد سلف، ولا في

شيء من المعاضي التي نهى عنها إلا في هذه الآية، وفي الجمع بين الأختين؛ لأن الجمع بينهما
قد كان مباحاً في شرع من قبلنا؛ وقد جمع يعقوب عيلان لسلام، بين راحيل وأختها ليا؛
فقوله: إلا ما قد سلف التفاتٌ إلى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى. ونقل السهيلي هذه
النكتة عن القاضي أبي بكر بن العربي.
واعتذار من اعتذر عن هذه الواقعة على هذا المنوال.
وأما ما ارتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثما عمرو بن بحر الجاحظ - رحمه الله
- في كتاب له سماه كتاب الأصنام قال فيه: وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد
وفاته، وهي برة بنت أد بن طابخة بن الياس بن مضر، وهي أم أسد بن الهون؛ ولم تلد
لكنانة ولدا ذكراً ولا انثى، ولكن كانت ابنة أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت
تميم بن مر عند كنانة بن خزيمة، فولدت له النضر بن كنانة.
قال: وانما غلط كثير من
الناس لما سمعو ان اكنانة خلف على زوجة أبيه لانفاق اسمهما وتقارب نسبهما. قال:
وهذا الذي عليه مشايخنا وأهل العلم بالنسب. قال: ومعاذ اللهايكون أصاب نسب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسلم مقت نكاح؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما
زلتُ أخُرج من نكاحٍ كنكاح الإسلام، حتى خرجت من أمي وأبي".
قال: ومن اعتقد غير
هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر. قال: والحمد لله الذي طهره من كل وصم وطهر به.
وأما مالك بن النضر، فكنيته أبو الحارث، وأمه عاتكة بنت عدوان، وهو الحارث بن
عمرو بن قيس عيلأن، ولقبها عكرشة، وقيل عوانة بنت سعد القيسية، وقيل غير ذلك.
ومالك هو أبو قريش كلها.
وأما فهر بن مالك - وهو قريش، وفهر لقب غلب عليه - فكنيته أبو غالب، وهو جماع
قريش في قول هشام بن الكلبي. وأم فهر جندلة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض
الجرهمي؛ ومن جاوز فهرا فليس هو من قريش.
وقد اختلف في تسمية قريش قريشا ومن أول من تسمى به، فقال محمد بن كعب: انما
سميت قريش قريشاً لتجمعها بعد تفرقها وقال محمد بن سلام: لما جمع قصي قبائل النضر،

وحارب بهم خزاعة، وغلب على الحرم، سموا قريشاً
لاجتماعهم. وقيل: انما سموا قريشاً
لأنهم يتقرشون البضاعات فيشترونها. وقيل: جاء النضر بن
كنانة في ثوب له فقالوا: قد
تقرش في ثوبه كانه جمل قريش، أي شديد مجتمع. وقيل: أول
من سماهم بهذا الاسم قصي
بن كلاب. قاله المبرد. وقال الشعبي: النضر بن كنانة هو
قريش، وانما سمى قريشاً لانه كان
يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسد ذلك بماله، والتقريش:
هو التفتيش، وكا بنوه يقرشون
أهل الموسم فيزودونهم بما يبلغهم، فسموا بذلك من فعلهم.
وقال الزبير بن بكار قال عمي: قريش بن بدر بن يخلد بن النضر
كان دليل بني كنانة في
تجارتهم، فكان يقال قدمت عير قريش، وأبوه بدر بن يخلد
صاحب بدر الموضع الذي
كانت به الوقعة المشهورة، وذكر عن عمهافهراً هو قريش،
قال: وقد اجتمع النساب من
قريش وغيرهماقريشاً انما تفرقت عن فهر. والذي عليه من
أدركت من نساب قريشاولد فهر
بن مالك قريش، ومن جاوز فهراً فليس من قريش.
وروى عن هشام بن السائب: ان النضر بن كنانة هو قريش.
وقيل عنه في موضع آخر:
ولد مالك بن النضر فهرا وهو جماع قريش. وقال أبو عبيدة
معمر ابن المثنى: أول من وقع
عيلان سم قريش النضر بن كنانة، فولده قريش دون سائر بني
كنانة. وقال أبو عمر محمد بن
عبد الواحد الزاهد: قريش مأخوذ من القرش، وهو وقع الأسنة
بعضها على بعض؛ لأن
قريشاً أحذق الناس بالطعان.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل عمرو بن العاص: لم
سميت قريش قريشاً ؟
قال: بالقرش، دابة في البحر تأكل كل الدواب لشدتها. وقال:
المطرزي: هي ملكة الدواب،
وسيدة الدواب وأشدها فكذلك قريش سادات الناس.
وكا فهر رئيس الناس بمكة. والله أعلم.
وأما غالب بن فهر، فكنيته أبو تيم، وأمه ليلى بنت الحارث، بن
تميم، بن سعد، بن هذيل،
بن مدركة؛ ولغالب هذا من الولد: لؤي، وتيم الأدرم؛ وكا تيم
كاهنا وانما قيل له تيم الأدرم
لأن أحد لحييه كان انقص من الآخر. وفي قريش تيمان: تيم بن
مرة، وتيم الأدرم. قال ابن

قتيبة: بنو الأدرم من أعراب قريش ليس بمكة منهم أحد. والله أعلم.
وأما لؤي بن غالب، فكنيته أبو كعب، وأمه عاتكة بنت يخلد، بن النضر بن كنانة، وهي
إحدى العواتك اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: بل أمه سلمى بنت
عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة الخزاعية.
وأما كعب بن لؤي، فكنيته أبو هصيص، وأمه ماوية بنت كعب بن القين ابن جسر
القضاعية. قيل: انما سمى كعب كعباً لأرتفاعه على قومه، وشرفه فيهم. وكا عظيم القدر
عند العرب؛ فلهذا أرخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرخوا بالفيل؛ روى أبو نعيم في الدلائل عن
الطبراني بسنده إلى عبد العزيز بن أبي ثابت قال: أرخت كنانة من موت كعب بن لؤي،
وأرخت قريش بعد موته من عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون
سنة.
وكعب هذا أول من سمى يوم الجمعة الجمعة، وكانت العرب تسمى يوم الجمعة العروبة؛ قاله
السهيلي. ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم، وانما سماه الجمعة لأجتماع
قريش فيه وخطبته فيهم.
وأول من قال أما بعد كعب؛ فكان يقول: أما بعد، فاستمعوا وافهموا. ثم قال: حرمكم
عظموه وتمسكوا به، وسيأتي لكم نبأ عظيم، وسيخرج له نبي كريم.
قال السهيلي: وكا يخطبهم ويذكرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعلمهم انه
من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيما به، وينشد ويقول:

يا ليتني شاهدٌ فحواء دعوته إذا قريشٌ تبغّى الحقّ خذلانا

وأما مرة بن كعب، فكنيته أبو يقظة، وأمه مخشية، وقيل وحشية بنت شيبان، بن
محارب، بن فهر. وفي مرة يجتمع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسب أبي بكر
الصديق، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما.
وأما كلاب بن مرة، فكنيته أبو زهرة، واسمه حكيم. وكلاب لقب غلب عليه، وسبب
ذلك انه كان محباً للصيد مولعاً به، وكا أكثر صيده بالكلاب، وجمع منها شيئاً كثيرا فكان
إذا مر بقوم بكلابه قالوا: هذه كلاب ابن مرة، فغلب ذلك عليه؛ وفيه يقول الشاعر:

حكيم بن مرّة ساد الورى ببذل النّوال وكفّ الأذى
وأم كلاب هند بنت سرير، بن ثعلبة، بن الحارث، بن فهر، بن مالك، بن كنانة.
ويقال:اكلاباً هذا أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرةً للكعبة.
وأما قصي بن كلاب فاسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة، وقصي لقبه، ويلقب أيضاً مجمعاً. قال
السهيلي، في قصي تصغير قصي: أي بعيد. وقال الرشاطي: وانما قيل له قصي لأن أباه
كلاب بن مرة كان قد تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل، واسم سيل، خير بن حمالة، بن
عوف، بن عثمان، بن عامر وهو الجادر بن جعثمة، وهو يشكر، وهم من الأزد فولدت له
زهرة وزيدا ثم هلك كلاب وزيد صغير فطيم، وقال السهيلي: انه كان رضيعا فتزوج فاطمة
أم قصي ربيعة بن حرام، بن ضنة، بن عبد، ابن كبير، بن عذرة، بن سعد، بن زيد، بن
قضاعة، فاحتملها ربيعة ومعها زيد، فربى زيد في حجر ربيعة، فسمى قصياً لبعده عن دار
قومه.
وقال الخطابي: سمى قصياً لأنه قصى قومه، أي نقصاهم بالشام فنقلهم إلى مكة. قال
الرشاطي: ثمازيداً وقع بينه وبين ربيعة شر، فقيل له: ألا تلحق بقومك ؟ وعير بالعربة، وكا
لا يعرف لنفسه أباً غير ربيعة، فرجع قصي إلى أمه، وشكا لها ما قيل له، فقالت له: يا بني،
انت أكرم منه نفساً وأبا انت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام. فأجمع
قصي على الخروج، فقالت له أمه: أقم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج في حاج العرب،
فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاعة حتى قدم مكة، فحج وأقام بمكة.
وكا الذي يلي أمر البيت يومئذ حليل، بن حبشية، بن سلول، بن كعب، ابن عمرو
الخزاعي. فخطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبى. فعرف حليل نسبه فزوجه، وأقام
قصي معه، فولدت له حبى أولاده، وهم: عبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار، وعبد،
وبرة، وتخمر وهي بالتاء المثناء من فوق وخاء معجمة ساكنة وميم مضمومة وراء.
فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هلك حليل، وأوصى بولاية البيت لآبنته حبى.

فقالت: اني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعلت ذلك إلى سليم ابن عمرو، بن بوى،
بن ملكان، وهو أبو غبشان، ويقال له المحترش، فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر
وقعود، فضربت به العرب المثل، فقالوا: أخسر من صفقة أبي غبشان. فنازعته خزاعة
البيت فانتزعه منهم. والله الناصر.
انتزاع قصي البيت من خزاعة
ومن ولى البيت بعد إسماعيل عيلان لسلام إلى ان انتزعه قصي بن كلاب
قال محمد بن إسحاق بن يسار: لما توفي الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،
وولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء اللهايليه، ثم ولى البيت بعده مضاض ابن
عمرو الجرهمي، وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم، وجرهم
وقطوراء يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عم، وكانا ظعنا من اليمن، فأقبلا سيارة، وعلى
جرهم مضاض بن عمرو، وعلى قطوراء السميدع، رجل منهم. فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا
ماءٍ وشجر، فأعجبهما فنزلا به؛ فنزل مضاض بمن معه من جرهم أعلى مكة بقعيقا فما
حاز، ونزل السميدع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز، وكا كل منهما يعشر من دخل
مكة مما يليه، وكلٌ منهما في قومه لا يدخل على صاحبه.
ثماجرهما وقطوراء بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها ومع مضاض بنو إسماعيل
وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السميدع، فسار بعضهم إلى بعض؛ فخرج مضاض بن
عمرو من قعيقعا في كتيبته سائراً إلى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق
والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك؛ فيقال ما سمى قعيقعا قعيقعا إلا لذلك. وخرج السميدع
من أجياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ما سمى أجياد أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل
منه مع السميدع. فالتقوا بفاضح واقتتلوا قتالاً شديدا فقتل السميدع، وفضحت قطوراء؛
فيقال ما سمى فاضح فاضحاً إلا لذلك.
ثم ان القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ: شعباً بأعلى مكة، فاصطلحوا
به، وأسلموا الأمر إلى مضاض. فلما اجتمع إليه أمر مكة، وصار ملكها له، نحر للناس

فطبخوا وأكلوا فيقال ما سميت المطابخ المطابخ إلا لذلك.
وبعض أهل العلم يزعم انها انما
سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله، والله أعلم.
فكا الذي كان بين مضاض والسميدع أول بغي كان بمكة. ثم نشر الله ولد إسماعيل
بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك
لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمةايكون بها بغى أو قتال؛ فلما ضاقت مكة على ولد
إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم.
ثماجرهما بغوا بمكة، واستحلوا خلالاً من الحرمة، وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا
مال الكعبة الذي يهدى لها فرق أمرهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغبشا
من خزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو
بكر وغبشان، فنفوهم من مكة؛ وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلماً ولا بغيا.

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر
الركن، فدفنها في زمزم؛ وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن. فحزنوا على ما فارقوا
من أمر مكة وملكها حزناً شديداً؛ فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك، وليس
بمضاض الأكبر. والله المعين:

وقائلةٍ والدّمع سكبٌ مبادر وقد شرقت بالدّمع منها المحاجر
كا لم يكن بين الحجون إلى الصّفا انيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب منّى كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى ! نحن كنّا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابتٍ نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابتٍ بعزٍ فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعزّزنا فأعظم بملكنا فليسٌ لحيٍّ غيرنا ثمّ فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته فأبناؤه منّا ونحن الأصاهر
فا تنثن الدنيا علينا بحالها فا لها حالاً وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرةٍ كذلك يا للنّاس تجرى المقادر
أقول إذا نام الخلى ولم انم: إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر

وبدّلت منها أوجهّا لا أحبّها قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغبطةٍ بذلك عضّتنا السّنون الغوابر
وبدّلنا كعبٌ بها دار غربة بها الذئب يعوى والعدوّ المكاشر
فسحّت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمنٌ وفيها المشاعر
وتبكى لبيتٍ ليس يؤذى حمامه يظلّ به أمناً وفيه العصافر
وفيه وحوشٌ لا ترام انيسةٌ إذا خرجت منه فليست تغادر
وقال أيضاً يشير إلى بكرٍ وغبشا الذين خلفوا مكة بعدهم:
يأيها الناس سيرو ان اقصركم ا تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثّوا المطّى وأرخوا من أزمّتها قبل الممات وقصّوا ما تقصّونا
كنّا اناساً كما كنتم فغيّرنا دهرُ فانتم كما كنّا تكوونا